الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـامعة الحـاج لخضـر — كلية الآداب والعلـوم الإنسـانية

– بـــاتنــة– — قسم اللغــة العربية وآدابهـا

الألغـاز الشعبيّـة فـي منـطقـة وادي سـوف

(جمـــع وتصنيـــف ودراســـة)

مذكرة مقدمة لنيل شهـادة الماجستيـر

في الأدب الشعبـي الجزائـري

إعداد الطـــالب :

كمـال بن عمر

إشراف الدكتـــور :

معمـر حجيج

السنة الجـــامعية: 2006 / 2007

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـامعة الحـاج لخضـر — كلية الآداب والعلـوم الإنسـانية

– بـــاتنـة– — قسم اللغـة العربية وآدابهـا

الألغـاز الشعبيّـة فـي منـطقـة وادي سـوف

(جمـــع وتصنيـــف ودراســـة)

مذكرة مقدمة لنيل شهـادة الماجستيـر

في الأدب الشعبـي الجزائـري

إعداد الطـــالب : كمـال بن عمر

إشـراف الدكتـــور : معمـر حجيج

لجنـة المنـاقشـة

رئيســـــــا			
مشرفـا ومقررا			
عضوا منـاقشـا			
عضوا منـاقشـا			
عضوا منـاقشـا			

السنة الجـــامعية: 2006 / 2007

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإهـــداء

- إلى محضني الأوّل حيث نبع الحنان الذي لا يزول ولا يحول:

والديَّ الكريمين الرّحيمين شكراً وبرًّا وإحسانـــا.

- إلى محضني الثاني حيث دفء السَّكن الذي لا تزيده الأيَّام إلاَّ صفاءً ووفاءً :

زوجتي الودود الصبور موّدة ورحمـــة وامتنـــانـــا .

- إلى معجزة الصُّلب والترائب حيث تحوّلت قطرات الماء الخرساء إلى حبّ فيّاض متبادل، دافق ناطق حالاً ومقالاً: إيثار وهيثم وريحان حبًّا وعطفاً وحنانا.

- إلى كلّ صديق وفيٍّ حميم ذاق حلاوة الصّداقة، فراح يبذل في مضمارها بلا مقابل، وبلا حدود، و « لولا التشهد كانت لاؤه نعم!».

- إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل العلمي.

- كمال بن عمر -

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شكر وامتنان

لا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتوجّه بأسمى عبارات الشكر والامتنان والتقدير إلى كلّ من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، وكان له فضل المشاركة – بعد عـــون الله وتوفيقـــه – في إخراج هذا العمل على صورته الحالية. ذلك أنّي أرى شكري لهم ديْناً علـــيّ واجـــب قـــضائه. و" لم يشكر الله من لم يشكر الناس " كما جاء في الأثر. ومن هؤلاء الفضلاء:

- إسماعيل بوراس ،عبد اللّطيف شويرف ، حسين نصيره، العيد نصيره، البشير عبيد، خالد دحده.. الذين أعانوني – بوفاء وسخاء – في الكتابة والنّسخ والطبع.
- الأساتذة الأفاضل بالمركز الجامعي بالوادي: الأستاذ: أحمد زغب، والأستاذ: علي غنابزية، والأستاذ: عبد الرحمان تركي.. على تزويدهم لي ببعض المراجع الهامّة إلى جانب الدعم المعنوي والتشجيع.
- الطالب الباحث: " أبو بكر مسعي " الذي كلّفته بشراء بعض المراجع من مصر الشقيقة فبكّر وسعى وأوفى، وكان اسمًا على مُسمَّى.
- أساتذة اللغة العربية و آدابها بجامعة باتنة، والمشرفون على مكتبة القسم فيها على كـــل أشـــكال الإفادة و الإعانة و التسهيل.
- المشرفون على « مكتبة الدكتور " أبو القاسم سعد الله " » بدار الثقافة بالوادي وأخصّ بالذّكر السيّد: ابراهيم أحمد الصَّالح الذي يسر لي الإفادة من بعض المراجع القيّمة. وكذلك المشرفون على مكتبة سيدي سالم بالوادي.
- الطلبة الجامعيّون الذين ساعدوني في مرحلة جمع الألغاز: ياسين، وحسين، وعليّ .. متمنيًّا لهم النَّجاح والتوفيق في دراستهم الجامعيّة .
- الرواة الفضلاء من رجال ونساء الّذين فتحوا لي قلوبهم حفاوةً وترحيباً، وأمدّوني بما جادت به الذاكرة الشعبيّة من كنوز كادت أن تندثر برحيل جيلهم لولا لطف الله وهمّة الباحثين.
- كل من كان لهم فضل دعم وعون قلّ أو كثر، ونسيت ذكر أسمائهم في هذا المقام راجيًا منهم أن يعذروني. ذلك أنَّ " أعقل النّاس أعذرهم للناس " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقـدمة

من المعلوم - بوجه عام- أنّ الدراسات الأكاديمية حول الأدب الشّعبي قليلة ومحدودة قياسا بما هـو عليه الحال في الأدب الرّسمي بمختلف أجناسه. ولسنا – في هذا المقام- بصدد المفاضلة بـين الأدبـين: الرسمي والشعبي، وإنّما أردنا تقرير حقيقة موضوعيّة تتعلّق بالحقل الأكاديميّ. كما لا يتّسع المقام لتفصيل أسباب هذا الفارق في الاهتمام الأكاديمي بين الأدبين.

ولعلّ الأدب الشعبي لم يكتسب مشروعيّته التاريخية والمعرفية إلاّ في ظلّ النظريات المعاصرة في الأدب والنقد، تلك النظريات التي اكتشفت في فضاءاته النصيّة المتنوعة من الأصالة والعمق، والخصوبة والثـراء ما أغراها بالمزيد من التوغل في عوالم الإبداعات الشعبية في مستوياتها النّسقية البنيويّـة، وفي امتـداداتها السياقية على حدّ سواء.

وفي ضوء هذه المعطيات الجديدة، اتّسعت دائرة الاهتمام بالأدب الشعبي لتتجاوز الدراسات الأدبيـة والنقدية إلى حقول معرفية أخرى كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثربولوجيا، والتاريخ الثقافي.

وهكذا خرج الأدب الشعبي من طي الإهمال والنسيان والتهميش ليتبوّأ موقعـه الأكـاديمي المتميّـز في بعض الجامعات العربية من خلال معاهد علم الاجتماع والأنثربولوجيا، أو معاهد اللّغة العربية وآدابها كما في مصر والجزائر .

والأدب الشعبي الجزائري - على مستوى الدراسة والنقد- لا يزال في طور التأسـيس والتجريـب مع تقديرنا الكبير للدراسات الرائدة والقيّمة لنخبة من الباحثين في هذا المجال من أمثال المرحـوم التلـي بن الشيخ، وعبد المالك مرتاض، وعبد الحميد بورايو، ومحمد عيلان، والعربي دحو وغيرهم.

ولعلّ حداثة التجربة بالنسبة للأدب الشعبي في الجزائر- تدريسًا وتأليفا- تفسّر لنا ماذكرناه في البداية حول قلّة الدراسات الشعبية ومحدوديتها، وكونها لا تعدو أن تكون مقاربات تأسيسية تجريبية، خصوصا إذا علمنا أنّ مقياس الأدب الشّعبي لم يعتمد في الجامعة الجزائرية إلا في منتصف السبعينيات من القـرن الماضي على وجه التقريب.

وفي نظري أنّ الأدب الشعبي في الجزائر يستمدّ أصالته وقيمته من ثرائه وتنوعه في إطار من الوحـدة والتلاحم عرف بهما الشعب الجزائري عبر تاريخه الطويل. فأدبنا الشعبي فُسيفـساء متميّـزة بأصـولها الأمازيغيَّة والعربيّة على السّواء انصهرت وتلاحمت في تناغم بديع على امتداد الفضاء التاريخي والجغرافي للجزائر. ومن هذا المنطلق، فإن الدراسات الأدبية الشعبية في الجزائر مدعوّة إلى مراعاة البعد التـاريخي والجغرافي لكلّ المناطق والأقاليم وفق المنظور الذي قدمناه آنفا بخصوص عبقرية أدبنا الشعبيّ الجامع بـين الخصوبة والثراء والتنوّع من جهة، والوحدة والتلاحم والتناغم من جهة أخرى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبناءً على كلّ ما تقدّم، يمكننا الحديث عن أهمية الموضوع الذي اخترناه لبحثنا والذي يحمل العنوان الآتي:

{ الألغاز الشعبية في منطقة وادي سوف: جمع وتصنيف ودراسة }.

ولعلّ أهميّة هذا الموضوع تتمثّل في شقّين: شقّ عام، وشق خاصّ: فالشقّ العام يتعلّق بما سبق ذكره من قلّة الدراسات الأدبيّة والنّقديّة في الأدب الشعبي الجزائري بشكل عام.

أمّا الشق الخاص، فمردّه إلى الجنس الأدبيّ الشعبيّ المختار: وهو اللّغز الشعبي في منطقة وادي سوف . فهذا المجال لا يزال جديدًا من حيث الجمع والتصنيف والدراسة، على حين ثمّة شيء من الاهتمام بأجناس أدبية شعبية أخرى كالحكايات، والأمثال، والشعر الشعبي.

فاللّغز الشعبي بمنطقة سوف موضوع جدير بالدراسة باعتباره بنية نصيّة متميزة تعكس صور الحياة ومظاهر البيئة الطبيعية، والتاريخية، والاجتماعية، والثقافية للمنطقة، إلى جانب وظيفته التّعليميّة والترفيهيّة التي كان يؤدّيها بشكل مستقلّ، أو بالتناص مع أجناس أخرى كالحكاية الخرافية التي كثيرًا ما تحوي في فضائها السّردي ألغازًا شعبيّة ذات وظيفة اختبارية تمتحن من خلالها القدرات الذهنية للبطل بما يكشف عن تفوّقه الذهني إلى جانب تفوّقه العضليّ والنّفسي.

ولعلّ من أبرز الدوافع التي أدّت بي إلى اختيار هذا الموضوع، هو الدّافع المشترك المنبثق من الوعي المشترك لدى عموم الباحثين في مجال الأدب الشعبي.

إنه الوعي الباعث على ضرورة المحافظة على الموروث الشّفوي الشعبيّ بمختلف أجناسه وموضوعاته باعتباره الوعاء الجماعيّ الذي يحوي ذاكرة الأمة بمعتقداتها،وقيمها، وأذواقها، وعاداتها، وتقاليدها...إلخ.

وهذا المخزون الجماعي للمورثات الشعبية، سجّل حضورَه القويّ في ماضي الأمّة، ولا يزال يمارس هذا الحضور – وإن بدرجات متفاوتة - في حاضرها عبر توارث الأجيال . فالاهتمام بالأدب الشعبي – جمعًا وتصنيفًا ودراسة- يُعَدّ عملاً يمليه الواجب الثقافي الوطني الذي يلحّ على كلّ باحث قادر أن يُسهم في إعادة بناء الثقافة الوطنيّة بخصوصيّاتها الحضاريّة الممتدّة ماضيا، وحاضرا، ومستقبلا، ولاسيّما في ظلّ التحديّات التي تفرضها العولمة المهيمنة المتعالية.

أما الدّافع الثاني المتعلّق باختيار اللغز الشعبيّ تحديدًا، فيتمثل في عامل الجدّة الذي يتميّز به هذا الجنس الأدبي الشعبيّ من حيث الجمع والتصنيف والدراسة بالقياس إلى أجناس أدبيّة شعبية أخرى سبقت الإشارة إليها.

ومن هذا المنطلق، آثرتُ أن يكون لي فضل الولوج إلى هذا العالم الجديد من خلال هذا العمل الأكاديميّ الذي يندرج في إطار المقاربات التأسيسيّة التّجريبيّة التي أشرنا إليها في بداية هذه المقدمّة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي هذا السّياق، أشير إلى أن اختياري لجنس اللّغز كان منذ الوهلة الأولى من منطلق أنه مجال جديد بكر لم يسبقني إليه أحد من قبل. فلقد طفت في المكتبات المحليّة، فوجدت بعض الكتب في عدّة أجناس من الأدب الشّعبي كالقصّة الشعبية، والشّعر الشعبي، والمَثَل الشعبي وهي مثبتة في قائمة مراجع هذا البحث.لكنّني لم أجد أيّ إصدار تناول اللغز الشعبي، فعقدت العزم حينئذ على المبادرة إليه وطرقه، وإحراز فضل السّبق فيه.

وبعد وضع التصوّر الأولي لموضوع البحث، والموافقة عليه،وشروعي في مرحلة الجمع، فُوجئتُ ذات يوم في أحد المعارض التي أقيمت في دار الثقافة بالوادي برسالة صغيرة بعنوان " الألغاز الشعبية في وادي سوف" جمع فيها صاحبها الأستاذ: محمد الصالح بن علي مئتيْن وثلاثين - (230) – لغزًا.

و لم تثنني تلك الرّسالة المفاجئة عن مواصلة عملي في جمع الألغاز الشَّعبيَّة من شتّى المناطق والجهات في ولاية الوادي. وآليت على نفسي ألاَّ أطّلع على ألغاز تلك الرسّالة إلاّ بعد إتمام عملية الجمع. وبعد إتمامها بحصيلة تناهز أربعمئة وثلاثين-(430)- لغزًا، شرعت في الموازنة بين المدوّنَتَيْن، فوجدتُ ألغازًا عديدة متطابقة حرفيًّا،وألغازًا أخرى تشابهت مضامينها واختلفت صيغها قليلا أو كثيرًا، وأخذت عددًا من الألغاز من مدوّنة الأستاذ محمّد الصالح بن علي وأدرجتها في مدوّنتي لخلوّها منها.

ورسالة الأستاذ ابن علي تتألّف من خمس وثلاثين-(35)- صفحة من الحجم المتوسّط تحوي في القسم الأكبر منها مدوّنة الألغاز المجموعة مرتّبةً وفق النظام الألفبائي متبوعةً بحلولها مختومةً بصفحة تشتمل على شرح لمعاني بعض المفردات الصَّعبة الواردة في الألغاز. وفي الصفحات الأولى من الرسالة مقدمة قصيرة يليها تعريف عام بالألغاز الشّعبيّة، ونبذة مختصرة عنها بوادي سوف تشمل أهم أنواعها، وبعض قصصها وطقوس تداولها. وقد استفدتُ من بعض المعلومات الواردة في الرسّالة وأدرجتها ضمن قائمة مراجع البحث .ولا يسعني- في هذا المقام- إلاَّ أن أنوّه بجهود الأستاذ محمد الصالح بن علي في خدمة الثقافة الشعبيَّة، تلك الجهود الدالة على وعيه المتقدّم ومدى همّته واهتمامه في هذا المجال الهام .

أما البحث الذي نحن بصدده، فقد تميّز بشيء من التوسّع والتعمّق، والتّفصيل مشتملاً على ثلاث مراحل وهي: الجمع والتّصنيف، والدّراسة. فالجمع تَمَّ على مستوى منطقة وادي سوف من جهاتها الأربع: شمالاً وجنوبًا، شرقًا وغربًا، واعتمد فيه التلقي المباشر من أفواه الرواة ممّا سمح بسؤالهم عن معاني بعض الكلمات الصّعبة في الألغاز والإفادة من بعض المعلومات الإضافيّة بشأنها. أمَّا التصنيف، فقد هُديت فيه – بحمد اللّه- إلى منهجيَّة تصنيفيّة أفادتني كثيرًا ويسرت لي سبيل الدّراسة . فلقد تَمَّ التّصنيف على أساس ردّ موضوعات الألغاز، ومحاورها إلى مختلف العوالم الّتي تنتمي إليها في البيئة المحيطة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي عوالم الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، والعوالم المشتركة بينها.أمَّا الدّراسة، فقد قسّمتها إلى فصل تمهيدي، وثلاث فصول أساسيَّة، وخاتمة:

ففي الفصل التمهيدي، تناولنا الإطار العام لمنطقة البحث من حيث البعد الجغرافي والتاريخي، والبعد الاجتماعي والاقتصادي، والبعد الديني والثقافي، كمّا قدّمنا لمحة مختصرة عن لهجة منطقة سوف، والأدب الشعبي فيها.

وفي الفصل الأوّل، تطرّقنا إلى هوية اللّغز الشّعبي من حيث مفهومه، ونشأته وأسبابها، ومجالات تطوّره والعوامل المتحكمة في ذلك، ووظيفته داخل المجتمع الذي يتداوله، وعلاقة البعد الوظيفي بالبعد التداولي.

وقد خصّصنا الفصل الثاني لدراسة تجليّات البيئة السُّوفية من خلال ألغازها الشعبية عبر مختلف العوالم التي تَمَّ على أساسها التّصنيف، وهي: عالم الإنسان، وعالم الحيوان، وعالم النبات، وعالم الجماد، والعوالم المشتركة.

أمّا الفصل الثالث والأخير، فقد تناولنا فيه البنية الأسلوبيّة للّغز الشّعبيّ من حيث اللّغة والبلاغة،والمستويات الصوتيّة،والمعجمية، والتركيبيَّة. مع الإشارة إلى البنية الهيكلية للغز الشّعبي، وأهميّة البعد التداولي في دراسته.

وكانت الخاتمة لتسجيل أهم النتائج الَّتي توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

ولقد اقتضت طبيعة الموضوع القائم على الجمع والتّصنيف والدّراسة، وطبيعة فصوله، ونوعية الإشكاليات التي أثارها البحث.. أن يستعين الباحث بأكثر من منهج، بيد أنَّ المنهج الأساسي الذي اعتمد في أغلب فصول البحث هو المنهج الوصفي التّحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة المعنيّة بالدّراسة بجميع عناصرها، ومكوّناتها وحيثياتها، وملابساتها، ثمَّ يقدّم مقاربات تحليلية تهدف إلى الكشف عن بعض الجوانب الهامّة فيها ومحاولة استخلاص بعض النتائج أو بعض الحقائق بشأنها. وهذا ما اعتمدناه في أغلب جوانب البحث ولاسيّما في الفصلين الثاني، والثالث. كما استعنا بالمنهج التاريخي في موضوع نشأة اللغز وأسبابها، وتطوره وعلاقته في ذلك بنشأة وتطور بقية الأجناس الشعبية ولاسيّما السّرديّة منها. وفي بعض المواضع، حاولنا الإفادة من بعض الآليات التحليليّة للمنهج التّداولي في بيان علاقة النصوص بمستعمليها إبداعًا، وتلقيًّا، وتداولاً.

أمّا أبرز الصعوبات التي اعترضت طريق البحث، فتتمثل في فرز ألغاز المدوّنة وتصنيفها بعد إتمام مرحلة الجمع من شتّى الجهات. حيث لم تأخذ المدوّنة صورتَها النهائيّة تصفيةً وتصنيفًا، إلاَّ بعد جهد وعناء عبر قراءات كثيرة مدقّقة ومعمّقة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أبرز الصعوبات – أيضًا- قلّة المراجع في الأدب الشّعبي بشكل عام، وفي الألغاز الشّعبية بشكل خاصّ قياسًا بأجناس أدبيّة شعبيّة أخرى.

ولقد تمكنّت – بعون الله- من تجاوز هذه العقبة من خلال تكييف خطّة البحث على نحو يسمح لي بالاستفادة من عدّة مراجع تنتمي إلى حقول معرفيّة مختلفة كالتاريخ وعلم الاجتماع إلى جانب بعض المعاجم باللّغتين: العربيّة والفرنسيّة، وبعض الكتب الأدبية واللّغويّة العامّة، ومجموعة من الدوريّات والمخطوطات والرسائل الجامعيّة. أمّا مراجع التخصُّص، فقد استعرتُ بعضها من مكتبة معهدنا بجامعة باتنة، والبعض الآخر تلقيته من لدن بعض الزملاء والأصدقاء وقمت بتصوير نُسخ منه، وبعضها وصلني من مصر الشقيقة بفضل طالب باحث يدرس هناك.

ومن أهم المراجع المتخصّصة الّتي استفاد منها البحث كتابان:

1)- كتاب:" أشكال التعبير في الأدب الشّعبي " للدكتورة: نبيلة إبراهيم.

2)- كتاب:" الألغاز الشعبية الجزائرية.. " للدكتور: عبد المالك مرتاض .

وفي الختام، لا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أقدم من الشكر أجزله إلى كلّ من أعانني في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، وأخصّ بالذّكر أستاذي الكريم الدكتور: معمر حجيج رئيس مشروع دفعتنا في تخصص الأدب الشعبي الجزائري.

ولقد كانت رئاسته لهذا المشروع ناجحة وموفّقة إذ وفّر لنا كلّ ما احتجنا إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. ولعلّ من أجلّ الخدمات الّتي أسداها إلينا سعيه الحثيث من أجل استقدام أساتذة زائرين من الأسماء اللاّمعة في الأدب الشعبي الجزائريّ من أمثال الأستاذ الدكتور عبد الحميد بورايو، والأستاذ الدكتور: محمّد عيلان. ولقد وُفّق في هذا المسعى النبيل، فانفتحت لنا بذلك آفاق جديدة في مجال تخصصنّا أفادتنا كثيرا في اختيار مواضيع بحوثنا وأغرتنا بالمزيد. فأصالةً عن نفسي ونيابةً عن زملائي وزميلاتي في الدفعة، أجدّد لأستاذنا الكريم الدكتور: معمر حجيج أسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان. ولقد شرّفني بإشرافه على هذا البحث ورعايته له بالدّعم والتشجيع منذ خطواتي الأولى في طريقه إلى أن وصل إلى مرحلته الأخيرة. فله مرّةً أخرى- جزيل الشكر والامتنان.

وأخيرًا،فهذا جهدي واجتهادي، فإن أصبتُ، فذلك محض فضل الله عليّ، وإن كان غير ذلك، فحسبي أنّي اجتهدتُ، وعسى أن أُوفّق في بحوث أخرى إن شاء الله.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل التمهيـــدي:

الإطـــار العـــام لمنطقـــة البحـــث:

- التمهيـــــد

أولا: الإطـــــار الجغرافي.

ثانيا:الإطـــــار التاريخي.

ثالثا:الإطـــــار الاجتماعي و الاقتصادي.

رابعا:الإطـــــار الديني و الثقـــافي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإطـــار العام لمنطقة البحث:

يُعدُّ هذا الفصل التمهيدي مدخلاً ضروريًّا لهذا البحث. ذلك أنّ العمل الأدبي – بوجه عام – يمثّـــل تفاعلاً إبداعيا بين المبدع و بيئته بمختلف أبعادها وتجلّياتها. فالبيئـــة بأبعادهـــا الجغرافيـــة، والتاريخيّـــة، والاجتماعيّة، والثقافية و غيرها، تُعتبر لدى المبدع بمثابة المادّة الخام الّتي تنصهر مـــن خـــلال التجربـــة الإبداعية ليعاد تشكيلها و إخراجها في صورة نص أدبي محدد الهويّة، واضح القسمات.

ولقد ألفينا الألغاز الشعبية المتداولة في منطقة وادي سوف تُصوّر بيئتها تصويرا يتميز بقـــدر كـــبير من الدقّة والشّمول و الأصالة. فقد صورت تلك الألغاز عوالم الإنسان، و الحيوان، والنبات، والجمـــاد داخل البيئة السّوفية بما كشف عن معتقدات الجماعة، و عاداتها، و تقاليدها، وأذواقها، وأنماط عيـــشها على مستوى النشاط الزّراعي، و تربية المواشي، و الصناعات التقليديّة وغيرها.

وبناء على ما تقدّم، تبيّن لنا أنّه من الضرورات المنهجيّة الّتي يقتضيها مثل هذا البحث أن نخـــصص لـــه فصلا تمهيديّا نسلّط من خلاله بعض الضوء على الإطار العام لمنطقة البحث من حيث البعـــد الجغـــرافي و التّاريخي، و البعد الاجتماعي و الاقتصادي، و البعد الديني و الثّقافي.

أوّلا: الإطار الجغرافي:

لعلّ العلاقة بين موضوع بحثنا و الإطار الجغرافي لمنطقة البحث تتّضح بجـــلاء إذا علمنـــا أنّ الأدب و الجغرافيا – بشكل عام – يلتقيان في مساحات اهتمام مشتركة؛ فالجغرافيا بوصفها علما يدرس المناطق والأقاليم باعتبارها فضاءات مكانيّة تميّزها جملة من الخصائص الطبيعيّة و الأنشطة البشريّة، تشترك مـــع الأدب الذي يُعنى، هو أيضا، و بطريقته الخاصّة، بتصوير الأماكن و الفـــضاءات بتجلّياتهـــا الطبيعيّـــة، وإيحاءاتها الرمزيّة من حيث علاقتها بالحياة الإنسانيّة." فكل من الجغرافيا والأدب على حدّ سواء يهـــتم بالكتابات حول الأماكن و الأفضية. كلاهما عمليّتان تعبيريّتان، بمعنى أنّهما تجعـــلان الأمـــاكن هادفـــة في وسيلة اجتماعيّة... ليس الأدب وحده الذي يتضمّن المغزى، وإنما تتضمّنه كذلك الكتابات الجغرافيّة حول الأماكن" [1].

---

[1] مايك كرانغ، الجغرافيا الثقافية، ترجمة د.سعيد منتاق، سلسلة عالم المعرفة من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005 ، ط1، ص 67 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا بخصوص العلاقة بين الأدب و الجغرافيا بوجه عام؛ أمّا العلاقة المباشرة بين موضوع البحث والإطار الجغرافي لمنطقة البحث، فإنّها تتجلّى من خلال ما أشرنا إليه آنفا بشأن الألغاز الشّعبيّة في منطقة وادي سوف الّتي صوّرت البيئة الجغرافيّة للمنطقة بمختلف مظاهرها الطبيعيّة وامتداداتها البشريّة وفق المنظور الذي كانت تتيحه الثقافة الشعبية السائدة آنذاك.

ومن الحقائق المعروفة لدى عموم الدّارسين أنّ للبيئة تأثيرا كبيرا على أصحابها يظهر عبر أقوالهم وأحوالهم جميعا بما في ذلك إبداعاتهم الماديّة و الأدبية. فيدلّك الأثر المشاهد على المؤثّر بقدر يسير من الملاحظة. و قد عبّر أحد الباحثين الغربيين عن هذا المعنى بقوله: " الإقليم ميدالية ختمت على شبه أصحابها" [1]. وهذه الحقيقة لاحظناها بوضوح على مستوى بحثنا هذا عند الجمع، و عند التّصنيف على حدّ سواء.

وفي هذا المبحث الأوّل حول الإطار الجغرافي، سنقتصر على الجغرافيا الطبيعيّة دون الجغرافيا البشريّة ذات الطابع الاجتماعي و الاقتصادي و التي سنخصّص لها مبحثا مستقلاّ. و قد آثرنا الفصل بين المبحثين لاعتبارات منهجيّة.

1- منطقة وادي سوف:

1.1. - دلالات التّسمية:

اشتهرت منطقة البحث بتسميتين اثنتين هما:"الوادي". و "وادي سوف". و إذا كانت دلالة " الوادي " معروفة و محدّدة فإنّ دلالة "سوف" ظلّت محلّ اجتهاد و اختلاف بين الباحثين بسبب غياب المصادر التّاريخيّة الموثّقة الّتي تشير إلى الجذور و البدايات الأولى لهذه التّسمية. ذلك أنّ تاريخ سوف ظلّ غير محدّد إلى غاية القرن الخامس الميلادي. و لا يمكن معرفة تاريخ هذه المرحلة إلاّ عبر كتابات الإغريق واللاّتين. و بداية خروج المنطقة من عزلتها ارتبطت بانتشار الإسلام و الفتوحات العربية [2].

---

[1] - المرجع السّابق، ص 29 .

[2] Andrés-Roger Voisin, Le Souf – Monographie, El-Walid, Ed El-Oued, 2004. p59.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و بناء على ما تقدّم، تعدّدت دلالات لفظة "سوف" لدى الباحثين بحسب ما توفّر لهم من مـــصادر محدودة، و روايات مختلفة. و يمكننا حصر هذه الدلالات و الاجتهادات في اتّجاهين متقابلين:

- الاتّجاه الأوّل عاد بلفظة "سوف" إلى أصولها البربريّة.

- الاتّجاه الثاني التمس للفظة تأويلات عربيّة اعتمادا على بعض القرائن المحليّة.

ولقد بنى أصحاب الاتّجاه الأوّل اجتهادهم على العامل التاريخي باعتبار أنّ السّكان القـــدامى لمنطقـــة "سوف" كانوا من البربر*.

ومن هذا المنطلق، تشير بعض المصادر إلى أنّ كلمة "سوف" تعني "النهر" في لغة قبيلة زناتة البربريّـــة الّتي سكنت أرض سوف [1].

و يرى الباحث أحمد نجاح أنّ لفظة "الوادي" في العربيّـــة مرادفـــة في المعـــنى للفظـــة "ســـوف" في الأمازيغيّة القديمة، و يستشهد على ذلك بمثل شعبيّ أمازيغي ينسب إلى بني ميزاب [2]. كما أنّ البنية اللّفظيّة لكلمة ''سوف'' مشابهة للكلمات البربريّة القديمة: "issouf" أو "assouf" ، وفي الأمازيغيّة الحديثة: "assif" وهي تعني"الواد"، و بتوسيع الدّلالة تطلق على "النهر". وتلتقـــي كلمـــة "ســـوف" من جانب آخر مع اللّهجة التّارقية:"le souf Mellan" أي: النهر الأبيض [3].

ولقد ذكر أحد الباحثين في تاريخ المنطقة أنّه توصّل إلى أقدم المصادر التّاريخيّة الّتي أشارت إلى منطقة سوف فوجد أنّ التّسمية التي كانت تطلق عليها هي: "أسوف". و قد وجدت هذه التّسمية في كتابات بعض المؤرّخين الأباضيّين منهم أبوزكريّاء يحي بن أبي بكر (ت 471هـــ).

كما أشار هذا الباحث إلى أنّ أقدم مصدر ذكر "سوف" من دون أَلِف هـــو كتـــاب ''طبقـــات المشايخ'' للدرجيني الأباضي (ت 670 هـــ)[4]. وهناك رواية أخرى تربط اسم "سوف" "بمَـــسُوفَة" وهي فرقة الملثّمين الذين ينتسبون إلى الأمازيغ التّوارق."

---

* - سنتطرّق إلى هذا الأمر في مبحث " الإطار التاريخي " .

(1) ينظر : J.Scelles-Millie,Contes Sahariens du Souf,Maison Neuvre etLa Rose,1964 Paris, p17

(2) A. Nadjah,Le Souf des Oasis,ed. La Maison desLivres,Alger,1971,p32.

(3) Andrés R.Voisin, op.cit, p 15.

(4) ينظر: علي غنابزيّة،مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13 هـــ 19 م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،2001 ، ص 06 (مخطوط) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ففي تاريخ ابن خلدون أنّهم مرّوا بهذه الأرض فلعلهم سكنوها زمنا أو فعلوا فيها شيئا فسمّيت بهم "[1]، وتوجد بالقرب من بلاد التّوارق أماكن تحمل اسم"سوف" أو"أسوف" منها: إقليم "أدرار سوف توت" و "وادي أسوف"*.

و ما أوردناه في الأسطر السّابقة يمثّل خلاصة اجتهادات الاتّجاه الأوّل من الباحثين الذّين رجحوا الأصول الأمازيغيّة للفظة "سوف." أمّا أصحاب الاتجاه الثاني الّذين بحثوا عن تأويلات عربية للّفظة، فخلاصة ما ذهبوا إليه يمكن إيجازها في الدّلالات الآتية:

- هناك من ربط معنى "سوف" بفكرة "التصوّف" على أساس أنّ أرض سوف كانت محلاّ للعُبـّـَادْ والزُّهَادْ من أهل التصوّف.

- و منهم من نسبها إلى مادّة "الصّوف" باعتبار أنّ أهلها الأوّلين كانوا يلبسون الصّوف من أغنامهم لعدم و جود غيره من أنواع المنسوجات عندهم.

- وقيل توجد منطقة بأرض الشّام تسمّى "سوف" قدم بعضٌ من أهلها مع الفتح الإسلامي، فسمّوا أرض سوف باسم بلدهم الأصليّة بالشّام.

- وبعضهم أرجعها إلى "السّيوف" جمع سيف، وتطلق على الكثبان الرمليّة المنتشرة بأرض سوف. وشُبّه الكثيب بالسّيف لأنّه ممتدٌّ وأعلاه حادٌّ [2].

و بعد استعراض خلاصة الاجتهادات المتعلّقة بالدّلالات المحتملة لكلمة "سوف"، يمكننا أن نرجّح ما ذهب إليه أصحاب الاتّجاه الأوّل بخصوص الجذور الأمازيغيّة للفظة "سوف" و الّتي تحمل في المحصّلة النّهائيّة معنى "الوادي " أو "النّهر". ذلك أنّ الأدلّة و القرائن الّتي ساقوها دعما لمذهبهم تبدو أقوى في دلالتها، و أدعى للاقتناع.

" و قد ورد في القاموس الموسوعي الحديث تعريف لوادي سوف باسم ’’ النيل‘‘، و أنّه نهر صحراوي قديم ، و الذي غُطِّي مجراه الآن بالرّمال، وهو التيرتون الّذي ذكره الجغرافيون القدماء، وأنّ العرب الفاتحين الأوائل عرفوه تحت الاسم المطلق للنّيل من نال: صار كريما" [3].

---

[1] - إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصّحراء و سوف، تعليق الجيلاني العوامر، الدار التّونسيّة للنّشر، تونس، الشركة الوطنية للنّشر و التّوزيع، 1977، ص 39 .

* - علي غنابزية، المرجع السّابق، ص 07 .

[2] - إبراهيم العوامر، المرجع السّابق، ص 38 ، 39 .

[3] - علي غنابزية، المرجع السّابق، ص 08 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا المعنى الّذي رجّحناه يدعّمه ما ورد في بعض الأساطير والنّصوص القديمة الّتي تحدّثت عن نهـــر كان يجري في المنطقة في العصور السّالفة ثمّ غار في باطن الأرض[1] ، والجدير بالذّكر – هاهنا - أنّ هذا النّهر الغائر ظلّ يتحرّك في جوف الأرض ممّا سمح للنّخيل الّتي كانت جذورها على اتّصال مباشـــر بـــه، أن تنمو بشكل طبيعي سليم، لأنّ المياه الرّاكدة تقتل الأشجار الّتي تعيش عليها [2].

و من النّصوص التّاريخيّة الّتي أشارت إلى هذا النّهر القديم المسمّى (النّيل) ما أورده العدواني في القرن 17 م بقوله: " قال الراوي: ثمّ انحدروا إلى سوف وكان فيها يومئذ غديرة النّيل" [3]. وقال في موضع آخر راويا عن القدماء وصفهم لأرض سوف: "... و النّيل يجري عليها " [4]. والمقصود بالنّيل عمـــوم النّهر أو الوادي لأنّ العرب قديما كانوا يعتقدون أنّ النّيل هو سيّد الأنهار، وأنّ الله سخّر له سائر الأنهار لتمدّه بالماء [5]، وهذه النصوص و الاقتباسات الّتي أوردناها تمثّل أدلّة جديدة تدعم الأدلّة و القرائن الّتي اعتمدها الفريق الأوّل من الباحثين المذكورين آنفا. أمّا تأويلات الفريق الثّاني، فإنّهـــا تبـــدو لي بعيـــدة في دلالاتها، و يغلب عليها طابع التكلّف. وفي هذا السّياق، أتّفق مع ما ذهب إليه الباحث أحمد زغـــب بهذا الشأن في قوله : " أمّا محاولات اشتقاق ''سوف'' من أصل عربيّ، فيبدو لي ممّا فيه مـــن إجهـــاد وتكلّف في التأويل، أنّه لا يعدو كونه تعبيرا عن إحساس السكان بعراقة المنطقة في العروبة" [6]، ومجمل القول، أنّ الأصل الأمازيغي لكلمة "سوف" تبيّن أنّه هو الأرجح، فقد وجدنا أنّها تعني بشكل مباشـــر "الوادي" أو "النّهر" في اللّهجات الأمازيغيّة القديمة عند قبيلة زناتة، ولدى بني ميزاب والتوارق أيـــضا. وحتّى نطقها مسبوقة بالهمزة: "أسوف" يؤكّد أصلها الأمازيغي كما هـــو معـــروف في بنيـــة الأسمـــاء الأمازيغية. أمّا نسبتها إلى "الصّوف"، أو "التصوّف"، أوحتّى"السّيوف" فتبدو – حقّا – أنّهـــا بعيـــدة ومتكلّفة.

---

(1) – ينظر: A. Nadjah. Op.cit ,p 32. et André-R-Voisin. Op.cit .p15

(2) - علي غنابزية، مجتمع وادي سوف ، مرجع سّابق، ص 08 .

(3) – محمد العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق د. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996، ص 109.

(4) - نفسه، ص 134.

(5) - علي غنابزية، المرجع السّابق، ص 08 .

(6) – أحمد زغب، التطوّر الدلالي في لهجة منطقة سوف، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001، ص 12(مخطوط) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2.1- الموقع و الحدود الجغرافية:

تقع منطقة وادي سوف في الجنوب الشّرقي من الجزائر، و هي تنتمي إلى العرق الشّرقي الكبير، يحدّها من الشمال إقليم الزّاب (بسكرة و الزرائب)، ويمتّد حتّى جبال الأوراس، والنمامشة، وإلى منطقة نقرين[1].

ومن جهة الشّرق: الحدود التونسيّة عبر نفطة و نفزاوة، و بلدة نقرين التابعة لولاية تبسّة. ومن الجنوب: الحدود اللّيبيّة عبر واحات غدامس، و من جهة الغرب: تقرت و تماسين بمنطقة ورقلة [2].

تمتدّ الرقعة التّرابية لإقليم سوف من الجنوب إلى الشمال بين خطّيّ عرض: 31° - 34° شمالا، و بين خطّيّ طول 6° - 8° شرقا [3].

و تقدّر المسافة الرابطة بين سطيل شمالا إلى غدامس جنوبا بحوالي 620 كلم، و بين وادي ريغ غربا إلى الحدود التونسيّة شرقا بحوالي:160 كلم. أمّا المساحة الإجماليّة لوادي سوف فتقدّر بحوالي: 82.800 كلم2 . وهي محاطة بثلاثة شطوط هي: ملغيغ، مروانة، والغرسة من جهة الشمال، وشط الجريد التونسي من الجهة الجنوبية [4].

وهذه الخصائص الجغرافيّة جعلت منطقة وادي سوف تتمتّع بموقع استراتيجيّ متميّز حيث إنّها تجاور دولتين هما: تونس وليبيا، كما أنّها محاطة بخمس ولايات هي: بسكرة، تبسّة، الجلفة (عبر بلدة المرارة)، ورقلة، وخنشلة *. وهذا الموقع المتميّز أكسب المنطقة أهميّة تجاريّة وتاريخيّة.**

---

(1) - إبراهيم مياسي، (من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبّة)، مجلّة الثقافة، الجزائر، 1996، العدد 113، ص194 .

(2) — ينظر: إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، مرجع سّابق ، ص 37 .

(3) - إبراهيم مياسي، المرجع السّابق، ص 194 .

(4) - ينظر: Andrés Roger Voisin,Le Souf, op cit, p 15 .

* هناك مشروع طريق وطني يربط بين الوادي وبعض مدن الشرق ومنها خنشلة مرورا بمنطقة الفيض (حوالي 70كلم) .

** من الأدوار التاريخية الهامّة الّتي عُرفت بها وادي سوف أنّها كانت منطقة عبور للأسلحة الوافدة من الحدود التونسيّة والليبية إلى منطقة الأوراس إبّان حرب التحرير كما يؤكّد ذلك مجاهدو المنطقة. وقد أشار إلى ذلك مفدي زكريّاء في الإلياذة عند قوله عن وادي سوف: و يا وادي سوف العرين الأمين♣ ومعقل أبطالنا الثائرين

إلى أن يقول - وهذا محل الشاهد- :

ودرب السلاح لأوراسنا ♣ وقد ضاقت السبل بالسالكين (ينظر: مفدي زكرياء ، إلياذة الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001 ، ص 74) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3.1- الخصائص الطبيعية:

أ- طبيعة الأرض:

تُغطّي الرّمال معظم أراضي سوف مشكّلة ما يقارب ثلاثة أرباع المساحة الإجماليّة [1]. ومن مظاهرها الكثبان الرمليّة الّتي تُسمى عند العامّة "السّيوف" كما أشرنا سابقا. وعندما تكون شديدة العلّو، يطلق عليها اسم "الغرود" [2]. وتسود في بعض المناطق الأخرى حمادات أرضيّة تشكل طبقات حجريّة متنوّعة منها: "الترشة" ويصنع منها الجبس. و "اللّوس" وهي حجارة صلبة تستعمل في البناء. و هناك أنواع أخرى مختلفة مثل: "الصلصالة"، و "التافزة" وغيرهما [3].

أمّا الماء في أرض سوف الصحراويّة، و الّذي يُعَدُّ العنصر الأكثر أهميّة بالنّسبة لحياة الإنسان والمواشي والنّبات، فإنّ أهمّ ميزة له ما ذكرناه سلفا بخصوص المياه الجوفيّة المتحرّكة في باطن الأرض[4] ، والتي كان لها الدور الأساس في حياة النّخيل الّذي كان يُمثّل – بحقّ – النّشاط الزّراعي الأوّل لسكّان المنطقة، والذي يكاد أن يكون هو الثروة الوحيدة فيها [5].

ب- الخصائص المناخية:

بحكم الطّابع الصّحراويّ لمنطقة سوف، فإنّ المناخ السائد فيها هوالمناخ الصحراوي القارّي الذي يتميّز بشدّة الحرارة صيفا، و شدّة البرودة شتاء لجفافه. ففي بعض أيّام الصيف قد تتعدّى درجة الحرارة 50°م، وفي بعض ليالي الشّتاء تنخفض إلى ما دون الصّفر[6].

والرّياح تُعرف بحسب مصادرها واتّجاهاتها، وتأثيرها على الطّقس، ومنها: "الشّهيلي" الذي يأتي من جهة الجنوب ويتميّز بشدّة حراراته وجفافه. أما "البحري" فهو ريح رطب يغشى الإقليم ببرودة منعشة، و يهبّ من الجهة الشرقيّة وبالتّحديد من خليج قابس بتونس.

---

(1) - ينظر: Andrés R Voisin, op.cit, p 06

(2) - في التّراث الشّعري السّوفي قصيدة شعبية شهيرة بعنوان: " غرود عالية" يغنّيها المطرب المحلّي المعروف عبد الله مناعي ومطلعها:
غرود عالية والموت فيها جتني ♣ لا صبت ناسي، ولا عرب زارتني.
و تروى في مناسبتها قصّة غرامية حزينة ذات نهاية مأساويّة. (ينظر: حسّان الجيلاني، من التراث الغنائي بوادي سوف، دار الشهاب، باتنة- الجزائر، د.ت، ص-ص 152-159).

(3) - إبراهيم العوامر، المرجع السّابق، ص- ص 42 – 43 و A.Nadjah,Le souf des oasis, op.cit, p14

(4) - Ibid، p 13-14- 15

(5) - Ibid, p 59

(6) - Andrés R- Voisin, op.cit, p 44.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهناك أنواع أخرى من الرياح "كالغربيّ" و "الظّهراوي" وهي رياح قويّة تثير في الغالب زوابع رمليّة مزعجة [1].

أمّا الأمطار في إقليم سوف، فهي – على العموم – نادرة بسبب بعد المنطقة عن البحار، فقد تهطل شتاء في بعض الجهات دون غيرها، وقد تهطل فيها جميعا و لكنّ ذلك نادر. وقد يكون هطولها في الخريف أو أوائل الرّبيع[2].

ج- أنواع النبات:

يُمثّل النّخيل الغطاء النباتي الأبرز في أرض سوف، وهو أنواع كثيرة متباينة؛ وقد ذكرالدكتور أحمد نجاح أنّ أنواع النخيل بسوف يقدّر عددها بمئة وخمسين إلى مئتي نوع[3]. ومن تلك الأنواع: الغرس، دقلة نور، دقلة بيضاء، تكرمست، تافزوين، تافرزايت[4]...الخ وإلى جانب النّخيل، تُغرس بأرض سوف أنواع أخرى من الأشجار المختلفة. هذا بالإضافة إلى الأعشاب والنباتات الصحراويّة المتنوّعة الّتي يعتمد عليها البدو الرحّل في رعي أغنامهم [5].

د- أنواع الحيوان:

تتواجد بمنطقة وادي سوف أنواع كثيرة من الحيوانات لعلّ من أبرزها ما كان ألصق بحياة النّاس اليوميّة ومصالحهم في معاشهم، كالمواشي من إبل وغنم و ماعز الى جانب الخيل و البغال والحمير،كما يوجد العديد من الحيوانات البرّيّة كالغزال، والذئب، والأرنب، والفنك، وكثير من الطيور مختلفة الأشكال والألوان، والهوام كالأفاعي و العقارب، والزواحف مثل الورن و الشرشمان الذي يُسمّى "سمك الرمل" [6].

---

(1) - Andrés R- Voisin, op.cit , p 44,45

(2) - إبراهيم العوامر، الصروف، مرجع سّابق، ص 51 .

(3) - A.Nadjah, op.cit, p56

(4) - إبراهيم العوامر، المرجع السّابق، ص64،65 .

(5) - المرجع نفسه، ص 52 و ما بعدها .

(6) - المرجع نفسه، ص-ص 67-74 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا: الإطار التاريخي:

لعلّ أهميّة هذا المبحث التاريخي من حيث علاقته بموضوع البحث، تتمثّل في كون الألغاز الشعبيّة – كغيرها من الأجناس الأدبيّة الأخرى - تعكس في مجموعها جملة من القيم المتنوّعة تعود في بعض جوانبها إلى أصول تاريخيّة تتوارثها الأجيال المتعاقبة.

وسنتناول الفضاء التاريخي لمنطقة وادي سوف من خلال مرحلتين اثنتين:

1-مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي.

2-مرحلة ما بعد الفتح الإسلامي.

وسنعتمد في هذا المبحث على إشارات مختصرة تتناسب مع الغرض المنشود من وراء هذا الفصل التّمهيدي في سياق خدمة أهداف هذا البحث.

1-مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي:

- *الأجناس المتعاقبة على أرض سوف:*

تشير المصادر التّاريخيّة الّتي تناولت تاريخ وادي سوف إلى عدّة أجناس كانت قد تعاقبت على هذه المنطقة على الرّغم من طابعها الصّحراوي و عزلتها. و لعلّ السرّ في ذلك يعود إلى موقعها الإستراتيجي المتميّز الذي أشرنا إليه في المبحث السّابق. " وسوف لم تكن مجرّد مكان عبور، ولكنّها كانت مأهولة بسكّان من عدّة أجناس كانوا يمرّون بها من كلّ الاتجاهات على ظهور الجمال" [1].

ومن تلك الأجناس البربر الذين سكنوا كل بلاد المغرب بما فيها التّخوم الشماليّة للصحراء كما هو معروف. و من أواخر القبائل البربريّة التي دخلت أرض سوف قبيلة زناتة* بفرقها الكثيرة التي منها: زوارة، زواغة، وبنويفرن وغيرها. وإنّ أكثر الأماكن الموجودة الآن تُسمّى بهم[2]. ومن تلك الأماكن: تغزوت، تكسبت بالإضافة إلى أسماء بعض التمور منها: تفرزايت، تكرمست، تافزوين...الخ.

---

(1) - A.Nadjah, op.cit, p 30

* - يذكر العدواني قبائل بربريّة أخرى سكنت أرض سوف منهم: بنو مرين وبنو تّبوت. ينظر:'' تاريخ العدواني''، ص 92 .

(2) - إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ص- ص103-106 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتذكر المصادر التاريخيّة أجناسا أخرى سكنت أرض سوف منها: الفينيقيون[1]، والرّومان * الّـــذين بنوا فيها عدّة قرى وُجدت آثار منها في سندروس، وقمار، و الرقيبة ، وغرد الوصيف [2].

وآخر الأجناس الّذين استوطنوا منطقة وادي سوف قبل الفتح الإسلامي هم البيزنطيّون الّذين عملوا على نشر الدّيانة المسيحيّة فيها. قال إبراهيم العوامر: " ومن الروم ذهب جماعة من الرهبـــان إلى جهـــة الجنوب و منها أرض سوف فنزلوا عند من سبقوهم من الرّومان بجهلمة وسحبان و بنوا أمكنة ســـواها للعزلة و العبادة و الاستيطان" [3].

2-مرحلة ما بعد الفتح الإسلامي:

تذكر المصادر التاريخيّة أنّ وادي سوف قد فُتحت في عهد عقبة بن نافع الفهري الذي وُلّـــي أمـــر افريقية في عام 46 هـــ. و كان قد عيّن حسّانا بن النّعمان على رأس جيش وأمره بالتوغّل في المنطقـــة ما بين بسكرة و ورقلة بما فيها منطقة سوف. وكان من بين سرايا المـــسلمين الّـــتي مكثـــت بالمنطقـــة تُلّقن أهلها تعاليم الإسلام، البعض من بني عدوان، فكوّنـــوا النـــواة الأولى لوجـــود قبيلـــة عـــدوان العربية بأرض سوف [4].

وصول بني هلال وبني سليم إلى وادي سوف:

كان وصول بني هلال إلى أرض سوف في حدود سنة 1051 م [5]. و كان توافـــدهم في شـــكل دفعات متلاحقة. أمّا بنو سليم، فقد تأخّروا بطرابلس و لم يدخلوا إفريقية صحبة الحملة الهلاليـــة بـــل تأخّروا حينا من الزّمن [6].

---

[1] - إبراهيم العوامر، الصروف ، ص 109 .

* - يذكر الدكتور أحمد نجاح في كتابه (سوف الواحات) ص 29 أنّه أوّل من أشار إلى وجود قطع نقديّة رومانيّة بسوف، وأنّه سلّمها إلى متحف الوادي .

[2] – ينظر: Andrés R Voisin, op.cit, p 63.

[3] - المرجع نفسه، ص 114.

[4] - المرجع نفسه، ص 118 .

[5] - A.Nadjah, op.cit, p 48.

[6] - الصروف، ص 129 . ويذكر العوامر أنّ دخولهم سوف كان في حدود 840 هـــ -1437 م.(ينظر ص 174).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نزول عدوان وطرود بوادي سوف:

سبقت الإشارة إلى أنّ أوّل وفد من بني عدوان قَدِم إلى سوف منذ بداية الفتح الإسلاميّ للمنطقة، ثمّ التحقت الوفود الأخرى حوالي سنة 655 هـ -1258 م [1].وأسّسوا قرية الزقم* .أمّا طرود، فقد دخلوا إلى الوادي عام 800 هـ-1398 م [2].

وعلى الرّغم من بعض النّزاعات الّتي نشبت بين طرود، وعدوان، وزناتة بسبب التنافس الشّديد على مواطن الكلأ و الماء كما كان عليه الحال بين القبائل العربيّة في الجاهليّة، أقول: رغم تلك النّزاعات، إلاّ أنّ الأوضاع كانت تؤول إلى الهدوء بشكل تدريجيّ ولاسيّما بعد انتقال زناتة – الذين كانوا على مذهب الرّافضة [3] – إلى ميزاب وغيرها بفعل المدّ السنيّ[4]. ولقد حصل امتزاج بين مختلف القبائل الّتي كانت متواجدة بأرض سوف بسبب الولاء والمصاهرة[5]. وهكذا أنشأ سكّان وادي سوف كيانا متجانسا في إطار الحضارة العربيّة مع الاحتفاظ ببعض التّقاليد المحليّة ذات الأصول البربريّة [6].

نسب سكان وادي سوف:

بناء على ما تقدّم، يتبيّن لنا أنّ أكثرالعروش و القبائل المشكّلة لسكّان وادي سوف حاليّا، تنتمي إلى طرود، وعدوان، وسليم، وهلال، و ينسبون جميعا إلى قيس عيلان و هو النأس بن مضر الذي يرتقي نسبه إلى العرب العدنانيّة [7]،

---

[1] - إبراهيم العوامر، المرجع السّابق، ص 146. و يذكر صاحب الصروف (ص 270) نسب كل من عدوان وطرود على النحو الآتي: تنتسب قبائل عدوان إلى عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

و تنتسب قبائل طرود إلى طرود بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

* تعد الزقم من أقدم قرى وادي سوف واليها ينسب مؤرخ سوف محمد العدواني، وبها قبره. انظر مقدمة " د . أبو القاسم سعد الله" لتاريخ العدواني، ص 18 .

[2] - إبراهيم العوامر، المرجع السّابق، ص 161 .

[3] – المرجع نفسه، ص166.

[4] - أبوالقاسم سعد اللّه، مقدمة تاريخ العدواني، مرجع سابق، ص 33 .

[5] - إبراهيم العوامر، المرجع السّابق، ص 174 .

[6] ينظر: A.Nadjah, op.cit,p48.

[7] - إبراهيم العوامر، المرجع السّابق، ص 270 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيد أنّ هذا لاينفي وجود بعض العشائر المنحدرة من أصول بربريّة مثل الجلايصة، وأولاد بوعافية [1].بالإضافة إلى وجود بعض الأقليّات تعود إلى أصول مختلفة يسمّيهم العوامر بالأخلاط.

نشاط آل الشابّي* بوادي سوف:

كان للأسرة الشّابيّة نشاط روحي و دعوي بارز في منطقة وادي سوف، اضطلع به – أساسا – أحد أبنائها وهو الشيخ محمّد المسعود الشابّي المتوفّى سنة 1028 هـ [2]، والذي يعود نسبه إلى عبد الله بن مسعود الصّحابي الجليل [3].

وكان قدوم الشّيخ المسعود إلى وادي سوف لأداء تلك المهمّة الدينيّة بدافع الحرص على دين القوم، بعد أن بلغه أنّ علاقة سكّان وادي سوف بالإسلام – فهما وممارسة – يشوبها بعض الدّخن. و لم يغادر الشيخ وادي سوف إلّا بعد أن ترك وراءه أتباعا، وأنصارا تأثروا بدعوته وطريقته**. كما أسّس مسجدين، أحدهما بالوادي، والثاني بقمار سنة 1597 م [4]، و مسجد الوادي يقع وسط سوق الوادي، ويسمّى إلى اليوم باسمه فيقال جامع سيدي المسعود.

وادي سوف في العهد العثماني:

خلال العهد العثماني في الجزائر (1518 – 1830)، كانت وادي سوف تابعة – إداريّا – لبايلك الشرق الجزائري و عاصمته قسنطينة. ولكنّها، في واقع الأمر، لم تخضع لسلطة الباي بالرغم من وجود ممثّلين له في الأقاليم منهم" شيخ العرب" الذي يشرف على عمليّة جمع الضّرائب. ومع ذلك، كانت الوادي تتعرّض من حين لآخر إلى ضغوط من قبل سلطان تقرت تحت عرش بني جلاب ولا سيّما في الفترة مابين 1700م إلى 1844 م و ظلّت على هذه الحال إلى حين دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة *.

---

[1] – ينظر: إبراهيم العوامر، المرجع السّابق، ص290-323 .

* الشابّي:ينسب هذا اللّقب إلى بلدة الشابّة الواقعة قرب المهدية بتونس، ومن بين إخوة الشيخ المسعود، عبد الصمد الشابي المعروف بإبداع الألغاز الشعبية المتميّزة ذات البنية المحكمة .وقد توفي سنة 1025هـ ه (ينظر:العدواني ،ص20) .

[2] - ينظر: أبو القاسم سعد الله (مقدمة تاريخ العدواني)، ص20 .

[3] – المرجع نفسه، ص110 -111 .

** تزّعم سيدي المسعود طريقة دينيّة تدعى الطريقة الشابيّة سميّت فيما بعد الطريقة الزردقية (العوامر، ص192) .

[4] - العوامر، الصروف ، ص192.

* ينظر: على غنا بزية، مجتمع وادي سوف ، ص-ص13-19 .ويورد الباحث عدّة أسباب للتمرّد السّوفي على السلطة العثمانيّة منها : بعد الإقليم عن عاصمة البايلك قسنطينة ، والطابع القبلي العربي لسكان سوف المعروف منذ القدم بالنزعة الإستقلاليّة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاحتلال الفرنسي لوادي سوف:

في سنة 1854، دخل العقيد الفرنسي "ديفو،Desvaux" بقوّاته المسلّحة إلى الوادي قادما إليها من باتنة قصد استطلاع الوضع العام.

ثمّ انتنقل إلى تقرت ليعيّن "سي علي باي بن فرحات" قائدا ممثّلا لفرنسا في إقليم تقرت، وادي ريغ ووادي سوف. و لم يقبل سكّان سوف بهذا الوضع الجديد، بل قاوموه مقاومة شديدة بشنّ حروب عديدة ضدّ الغزاة الأجانب و لم تتمكّن قوات الاحتلال الفرنسي من دخول أرض وادي سوف إلاّ سنة 1882عبر قرية الدبيلة، و لم تستطع الوصول إلى مدينة الوادي إلاّ سنة 1887[1] على الرغم من قرب المسافة بين البلدتين*. وهذا يعني أنّها واجهت مقاومة شديدة.ومن أبرز أبطال المقاومة الشّعبية بوادي سوف "بوشوشة" الذي حارب الفرنسيين من عام 1870 إلى عام 1874[2]. ثم استمرت المقاومة بقيادة الهاشمي الشّريف و ابنه عبد العزيز. وأبرز محطّاتها "هدّة عميش" عام 1918[3]. و أثناء ثورة التحرير الكبرى، قام سكّان سوف بواجبهم الوطني دعما و نصرة بأشكال مختلفة أشرنا إلى جانب منها في الصفحات السّابقة.

ثالثا: الإطار الاجتماعي و الإقتصادي:

من المعلوم لدى الدّارسين أنّ الأدب الشّعبي بكافّة أجناسه ذو طابع اجتماعي. ذلك أنّه ينسب - في الغالب - إلى الجماعة الشّعبية الّتي تتداوله فيما بينها، حتّى و إن كان منشؤه فرديا.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول: إنّ الألغاز الشّعبيّة ذات صبغة اجتماعيّة تداوليّة. و سيأتي بيان هذا في الفصول اللاّحقة.

و بناء على ما تقدّم، يمكننا فهم أهميّة هذا المبحث بالنّسبة لموضوع البحث، فهو يقدّم بعض الإضاءات المتعلّقة بأصول النظام الاجتماعي، وأنماط العلاقات الّتي تحكم مختلف البنى المشكّلة للنّسيج الاجتماعي. بالإضافة إلى أهمّ أنواع التجمّعات السكّانية الّتي يتداول من خلالها النّاس الألغاز الشّعبيّة، وغير ذلك من أوجه النشاط الاجتماعي، بالقدر الذي يمكّننا من معرفة بعض القيم والملامح العامّة المميّزة للجماعة الشّعبيّة المعنيّة بالبحث.

---

(1)- ينظر : André- R- Voisin,le souf op.cit,p75 .

* تقدر المسافة بين الدبيلة والوادي بحوالي: 20كلم .

(2) ينظر: Ibid ,p75.

(3) الانتفاضة الأولى كانت بقيادة الشيخ الهاشمي الشريف عام 1918، أما الثانية فقائدها ابنه الشيخ عبد العزيز الشريف -(عضو جمعية العلماء المسلمين)- من 13 إلى 18 أفريل عام 1938 (ينظر : Ibid. p77).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و لقد فضّلنا الجمع بين الجانبين: الاجتماعيّ و الاقتصادي طلبا للإختصار من جهة، وإدراكا منّا للتّداخل الحاصل – غالبا – بين البعدين المذكورين من جهة أخرى. فالنّشاط الاقتصادي يُعَدُّ - بلا ريب - أحد أوجه السّلوك الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعيّة.

1- الإطار الاجتماعي:

- أصول النظام الاجتماعي:

أ- الأسرة: تمثّل الأسرة الخليّة الأساسيّة في النّسيج الاجتماعي . والأب هو ربّ الأسرة وقائدها، وهو الذي يحسم ويفصل في كلّ القرارات، ذات الصلّة بشؤونها بعد مشاورة بقيّة الأطراف، ولاسيّما كبار الأبناء. وعند غياب الأب أو وفاته، يتولّى القيادة الابن الأكبر. ومن مميّزات الأسرة السّوفيّة القديمة كونها تتّسع للآباء والبنين والحفدة جميعا، فيعيش الكلّ تحت سقف منزل واحد مكوّن من عدّة حجرات*. وتظلّ الأسرة متماسكة على هذه الحال لمدّة طويلة، ولا تسمح الأعراف لأيّ من الأبناء بالانفصال مع أسرته الصّغيرة إلاّ عند الضرورة القصوى[1].

ب- مكانة المرأة: إذا كانت الأسرة هي الخليّة الأساسيّة في النّسيج الاجتماعي،فإنّ المرأة يفترض أن تكون هي النّواة المركزيّة في هذه الخليّة. بيد أنّ هذه المعادلة لم تتحقّق في المجتمع السّوفي القديم بسبب التّقاليد الرّاكدة الموروثة من عصور الإنحطاط. تلك التّقاليد الّتي همّشت دور المرأة وجعلته ثانويّا يقتصر على رعاية الأطفال - في إطار الجهل والأميّة-، وترتيب "الحوش"، والعمل في المطبخ. وما يتبقّى من وقت، تستّغلّه في صناعة الصوف لفائدة أفراد الأسرة، أو للبيع في السّوق [2]. وهي على الدّوام ماكثة في البيت لا تبرحه إلاّ نادرا عند الضرورة، وفي الغالب يكون خروجها ليلا [3].

ج - العائلة الكبيرة أو(العرش):وهي مجموعة من الأسر تشترك –غالبا- في اللّقب، وتتجاور في السّكن، والأملاك الفلاحيّة، ويقودها " شيخ العرش " الذي يتمتّع بسلطة معنويّة يستّمدّها من ثقة الجماعة فيه بحكم رجاحة عقله، ونفاذ كلمته. وتُقدّم الأسر صورا مشرقة للتضامن والتكافل فيما بينها في إطار ما يعرف بـ " العوّانة "، ولاسيّما في موسم جني التّمور، وفي أشغال البناء [4].

---

* هذا اللّقاء العائلي الموسّع هو الّذي يمكّن الجدّة – غالبا – من رواية الحكايات وعرض الألغاز على أحفادها .

[1] – ينظر: على غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص131 .

[2] – المرجع نفسه، ص133 .

[3] – أحمد بن الطاهر منصوري: الدر الموصوف في تاريخ سوف ،دار الهدى ،ج1 ،ص90 .

[4] – علي غنابزية ، المرجع السابق، ص138 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

د- بعض عادات وتقاليد المجتمع السّوفي: لا يتّسع المقام– هاهنا– للتّفصيل والإفاضة فيما يتعلّق بأعراف المجتمع السّوفي، وعاداته وتقاليده. إذ ليس ذلك من مقاصد بحثنا وأهدافه.وإنّما غايتنا، في هذا السّياق، تقديم إشارات عامّة وسريعة تُلقي شيئا من الضوء يكشف بعض جوانب هذا الموضوع.

ولعلّ من أبرز العادات والتّقاليد في مجتمع وادي سوف، تلك المتعلّقة بمظاهر التّعاون، والتّضامن، والتكافل الاجتماعي. وقد أشرنا إلى إحدى صورها المتمثلة في نظام " العوّانة " وهي مرادفة لما يعرف بـ " التويزة " في مناطق أخرى من القطر الجزائري.

وهناك صور أخرى للتّضامن والتّكافل بين أفراد المجتمع وطبقاته نذكر منها: "الزكاة " الّتي يطلق عليها في المنطقة إسم: "العشور". وقد اشتهرت بعض الحواضر كبلدة "الزقم" بتخصيص غرفة تدعى "دار العشور" يضع فيها كل من وجبت عليه الزكاة العُشْرَمن تمره، ويتولّى أمين الدار عمليّة توزيع التّمر على الفقراء والمساكين[1]. وبالإضافة إلى الزكاة، توجد أوجه أخرى للتّكافل من خلال الصّدقة، والهديّة، والتوسعة الماليّة على المحتاجين عن طريق "القرض" الذي يتحرّون فيه الأجر والثّواب،والإحسان، ويسجلون ذلك بقولهم:"سلف الله ولحسان" [2]. وغير ذلك من طرق التعاون والتّكافل.

وإلى جانب ما ذُكر، مارس أهل سوف جملة أخرى من العادات والتقاليد المرتبطة بمواسم ومناسبات مختلفة كالزّواج، والولادة، والختان، والوفاة [3]. أو مناسبات دينيّة كرمضان، والمولد النبويّ الشّريف، وعاشوراء وغيرها [4]. ففي مناسبة الزّواج مثلا، سجلت الكاتبة " إيزابيل إبيرهارتدت " (isabelle Eberhardt) في" يومياتها " إحدى العادات السّوفيّة اللاّفتة، وهي أنّ العروس فور إنزالها من الهودج - أو "الجحفة" باللّهجة السّوفية- يحملها أحد أقربائها على ظهره إلى بيت الزّوجيّة، أمّا العريس، فلا يمكنه أن يرى زوجته الجديدة إلاّ ليلا، إذ يدخل عليها بعد المغرب ليغادرها قبل الصّبح، ويستمرّ ذلك على مدار اللّيالي السّبع الأولى من الزّواج [5].

---

(1) أحمد بن الطاهر منصوري ، المرجع السّابق، ص86 .

(2) علي غنابزية ، مجتمع وادي سوف، ص138 .

(3) ينظر Andrés R Voisin, op.cit, p-p121-125

(4) علي غنابزية ، المرجع السابق ، ص-ص170-171 .

(5) isabelle eberhardt ,mes journaliers ;par Rene ,luis doyon . edition d'aujourd'hui paris-1985,p76

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن العادات المرتبطة بالزواج–أيضا– ما يُدعى:" رقصة النّخ " الّتي تتمّ أثناء حفلة العرس - أو "المحفل" كما يسمّى محليا- بحضور الرجال والنساء، وهذه الرّقصة تقوم بها الشابّات الصّغيرات، وتقتصر على تحريك الرؤوس، فتتدلّى الشّعورذات اليمين وذات الشّمال تارة، ومن الأمام إلى الخلف تارة أخرى مسايرة أنغام المزمار، إيقاع الدفوف، وغناء الشّعراء مع زغاريد النّساء [1].

وممّا ذكره أ.روجيه فوازان " (André- R- Voisin)" بخصوص بعض العادات المتعلّقة بالولادة أنّ المولود إذا كان ذكرا يستبشر به الجميع، وينال نصيبه كاملا من زغاريد النّساء، أمّا إذا كان أنثى، فالحدث يمرّ في صمت [2].كما قد تتعرّض المرأة للطلاق إذا كانت عقيما، أو تنجب البنات فقط [3].

ومن التّقاليد المرتبطة بمناسبات دينيّة إحياء ذكرى عاشوراء، "والذي يحتفل الناس في لياليه بإقامة مهرجانات فيها الغناء وقول الشّعر، ممتزجة بالألعاب والتّمثيل الفلكلوري، كما يتمّ فيها التوسعة على العيال بشراء الأطعمة المختلفة وخاصّة اللّحم" [4].

هـ -التجمّعات الشّعبيّة: ونقصد بالتجمّعات الشّعبيّة تلك الأماكن العامّة، أو الفضاءات الموسميّة الّتي تُمكِّنُ النّاس من الالتقاء، وتبادل الأخبار والخبرات، وتداول بعض الفنون القوليّة الشّعبيّة كالقصص، والأشعار، والألغاز.وبذلك، يتسنى للفرد – من خلال تلك التجمعات – أن يُشبع بعض حاجاته النّفسيّة والاجتماعية.

ومن تلك التجمّعات الشّعبيّة ما أشرنا إليه في الفقرات السّابقة عند حديثنا عن ظاهرة "العوّانة"، حيث يستغلّ المشاركون فيها هذا العمل التّعاوني لتداول أغاني العمل عبر أداء جماعي، كما يستعينون على مشقة العمل بسماع بعض القصص [5].

---

[1] ينظر: Andrés R Voisin, op.cit, p : 140

[2] ينظر: Ibid, p 124

[3] علي غنابزية : مجتمع وادي سوف، ص:134 (وهذه التّقاليد السيّئة موروثة من عصور الإنحطاط وتعود جذورها إلى ما قبل الإسلام ، وقد حاربها القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ " النحل :57-58 .

[4] علي غنابزية ، المرجع السابق ،ص170 .

[5] ينظر : عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986،ص18 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمثّل السّوق فضاء واسعا للالتقاء، والتّعارف، والتّبادل، والتّداول بين أهل الحضر وأهـــل الباديـــة على اختلاف أعمارهم وأنسابهم. "فالسوق يعني نشاطا تجاريّا كما يعني حالة نفسيّة معيّنة، وهو يمثّل ظاهرة ثقافية بمقدار ما يمثّل ظاهرة اقتصادية" [1].

ومن الأماكن العامّة التي تجمع عددا كبيرا من النّاس، المسجد الذي تقام فيه – أحيانا –حلقات تُلقى من خلالها بعض المواعظ والقصص، والسيّر والمغازي *.

وتعدّ المناسبات الدينيّة كالعيدين، والمولد النبويّ، وعاشوراء، ** والمناسبات الاجتماعية كـــالزّواج والختان، فضاءات تقتضي تجمع السكان من الأقارب والجيران وغيرهم من أهل الحي من الرجال والنساء على حد سواء. ولا ريب أن من المباهج والمتع في مثل تلك اللقاءات أن تُعطَّر ببعض فنون الأدب الشعبي [2]، أما أسمار الليل، فلعل أبرز ما يميزها تلك التجمعات المصغرة داخل البيوت أوحولها حيـــث يجتمـــع الأحفاد بمعية أبناء الجيران وبعض نسائهم – أحيانا – حول الجدة لتمتعهم بمـــا تجـــود بـــه الـــذاكرة من حكايات وأحاجي.

و - الهندسة المعماريّة في وادي سوف: الهندسة المعماريّة في منطقة سوف تنَمُّ في آن واحد عـــن نمـــط حضاري متميّز، وعن عقل مبدع، وإرادة قويّة في إخضاع الطّبيعة، والتكيّف معها، وليس عبثا أن تُسمّى الوادي " مدينة الألف قُبّة" [3]. ذلك أنّ من ينظر إلى مدينة وادي سوف من مكان مرتّفع، يـــرى آلاف القباب والأدماس [4] تعلو سقوف منازلها ومحلاّتها التجاريّة، ومختلف أبنيتها ممّا يشكّل طابعـــا معماريّـــا خاصّا بسوف. ولهذه القباب والأدماس عدّة مزايا ووظائف تتلاءم مع الطبيعة الصّحراويّة للمنطقة منها:

- نشر الأتربة وبعثرتها خشية تجمّعها على السّطح بحكم الطبيعة الرملية للمنطقة وكثرة عواصفها.
- توزيع أشعة الشّمس الحارّة بما يخفّف حدّتها حتّى لا تُسلّط على مساحة واحدة.
- تحسين درجة الحرارة داخل البيت بما يتيحه تجويف القبّة أوالدّمسة من تهوئة [5].

---

[1] عبد الحميد بورايو، المرجع السّابق، ص18 .

* ذكر لي أحد الرواة عند الجمع ، أن شيخا اشتهر بحفظ الألغاز كان يتحدى بها الكهول والشباب في مصلى المسجد في بعض الجلسات التي تتم قبل الصلوات أو بعدها

** من العادات المرتبطة بعاشوراء خروج النساء ليلتها بعيدا عن البيوت ناحية الكثبان قصد ممارسة الصراخ والعويل والغناء الحزين ، ولعل هذه الطقوس من موروثات العهد الفاطمي الشيعي بالجزائر .

[2] عبد الحميد بورايو، الرجع السّابق، ص19 .

[3] A.Nadjah, Le souf des oasis, op.cit, p 90

[4] الأدماس جمع دمسة وتكون أسطوانية الشكل .

[5] ينظر:ابراهيم العوامر ، الصروف ،ص85 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ز- الأزياء لدى أهل سوف: تمثّل الأزياء مظهرا إجتماعيّا معّبرا،كما تعكس نمطا حضاريّا مميّزا. وفي المجتمع السّوفي القديم، يمكننا ملاحظة الاختلاف في الأزياء بين الوسط الحضري، والوسط البدويّ لدى الرّجال والنّساء على حدّ سواء [1].ولا يتّسع المقام للتوسّع والتفصيل في هذا المجال، إلاّ أنّ ذكر بعض الأزياء وأنواع الملبوسات قد يفيد البحث على اعتبار أنّ عددا من الألغاز الشعبيّة المجموعة قد تناول طرفا منها.

ففي الوسط الحضريّ، من أبرز ملبوسات الرّجال السروال " العربي "، والحذاء الخفيف مع الجلاّبة أو البرنوس. وفي المقابل، يظلّ الزيّ النسويّ قريبا جدّا من البدلة الشاويّة الأوراسيّة فيما يسمّى بالملحفة [2]. وقد يرتدى فوق الملحفة لباس آخر يدعى " الحولي "، هذا دون أن ننسى تلك الحليّ الفضيّة الثّقيلة كالخلخال والمقواس وغيرهما.

أمّا في الوسط البدويّ، فاللّباس جدّ بسيط، ويشكّل الصّوف – غالبا – جزء أساسيّا فيه. ومن أهمّ ألبسة رجالهم " القندورة " و " البرنوس " و " العفّان "*.

أمّا نساء البادية، فيلبسن: في الغالب الملالة السّوداء المُوَشّاة بسفائف مصفوفة، إلاّ أنّ بعض القبائل البدويّة تستعمل - دائما – الملحفة البيضاء [3].

- النشاط الإقتصادي:

يقوم النشاط الإقتصادي في منطقة وادي سوف على جملة من الأسس تتناسب مع الطبيعة الجغرافيّة والبشريّة للمنطقة، ومع الحاجات والضرورات المعيشيّة للفرد والجماعة. وهذه الأسس هي: النشاط الزّراعي، تربية المواشي، التجارة بشقّيها المحلي والخارجي، والصناعات التقليدية.

أ-النّشاط الزّراعي: أشرنا، في الصّفحات السّابقة، إلى أنّ النّشاط الزّراعي الأوّل في وادي سوف يتمثّل أساسا – وبلا أدنى ريب – في غراسة النّخيل الّتي تعتبر الدعامة الأساسيّة للإقتصاد المحلي [4].

وعمليّة إنشاء غابة نخيل* تتطلّب حسن إختيار المكان المناسب، ثمّ حفره حتّى الإقتراب من المياه الجوفيّة بحيث يطمئنّ الفلاّح على بلوغ جذور النّخلة الممتدّة إلى تلك المياه الباطنة. وبعد ذلك، تأتي عمليّة إزاحة الرّمال الكثيفة، وهو ما يطلق عليه – بالتّعبير المحلّي – " رفع الرّملة ".

---

[1] ينظر: A.Nadjah, op.cit, p-p95-97

[2] ينظر : Ibid, p96

* العفّان: حذاء يصنع من الصّوف الأبيض وشعر الماعز .

[3] Ibid, p97

[4] علي غنابزية ، مجتمع وادي سوف، ص61 .

* يطلق على غابة النّخيل –في اللّهجة السّوفية – اسم :"الغوط"أو "الهود" .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذه الأعمال بالغة الصّعوبة، وتستدعي قدرا كبيرا من العزم والصّبر والخبرة ولاسيّما في ظلّ الظروف المناخيّة الصّعبة [1]. وبالإضافة إلى ما ذكر، يضطلع الفلاّح السّوفي بعمليّات أخرى في سياق خدمة النّخيل ورعايتها منها:

- **علف النّخيل:** عبر " عزق " الأرض وخلطها بالسّماد المتمثّل في بعرالإبل الممزوج بالرّمل.

- **تلقيح النّخيل:** ويُسمّى – محليّا – " التّذكير " حيث توضع حبوب اللّقاح " الذُكَّارْ " في " الطلعة " الّتي هي أولى المراحل في تكوين العرجون لتظهر الثمار بعد ذلك على مراحل: "البزير " ثم " البلح " الأخضر، ثم " البسر" الأصفر، وأخيرا التمر النّاضج.

- **جني التّمور:** وهو الموسم الخريفيّ المنتظر، والمرحلة الأخيرة في تلك الدورة السنويّة الحافلة بالأعمال المضنية، والرعاية الدائمة. وفي هذا الموسم تُعلن " حالة الإستنفار القصوى في كلّ البيوت" [2]. ويتجسّد التكافل الإجتماعي من خلال ظاهرة " العوّانة " الّتي ذكرناها آنفا. ويُحمل التمر المجنيّ فوق الظّهور، أو بواسطة الحيوانات إلى البيوت، ليخزّن ما كان منه مُعدّا للاستهلاك الذاتي، بينما يوضع التمر المُعدّ للبيع والتّصدير في أكياس خاصّة ويُميّز عن غيره [3].

وإلى جانب غراسة النّخيل، عرفت المنطقة أنشطة زراعيّة أخرى، لعلّ من أبرزها زراعة التبغ الّتي اشتهرت بها بعض المناطق مثل قمار والرقيبة والمقرن. وتُصنّف هذه الزراعة في المرتبة الثانية بعد التّمور بالنّسبة لاقتصاد وادي سوف [4].

وهناك بعض المنتوجات الفلاحيّة يُخصّصها الفلاّح السّوفي للاستهلاك العائلي كنوع من الاكتفاء الذاتي، أو يبيعها في الأسواق المحلية.

وعلى الرغم من ضعف مردودها الاقتصادي، إلاّ أنّها بالغة الأهميّة للغذاء اليومي[5]. وبعض هذه المنتوجات يُزرع داخل الواحات بجوار النّخيل في مساحات تُخصّص لها تُسمّى " الحرث" أو" الفلاحة "، أو " الجنان ". ولا بدّ من توفير عدّة وسائل ضروريّة لخدمة هذه الزّراعة وهي البئر والخُطَّارَة، والماجن، والسُّواقي، والميزاب [6].

---

[1] ينظر: André- R- Voisin, op.cit, p194

[2] علي غنابزية ، مجتمع وادي سوف، ص65 .

[3] المرجع نفسه، ص65 .

[4] ينظر: A.Nadjah, op.cit, p73

[5] علي غنابزية ،مجتمع وادي سوف، ص67 .

[6] المرجع نفسه ،ص67 (بعض هذه الوسائل كانت محورا لبعض الألغاز المجموعة ، وسيأتي بيان هذا لاحقا) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب- تربية المواشي: لعلّ أهميّة هذا الجانب الإقتصادي- الإجتماعي تتبدّى – هاهنا – من حيث علاقته بموضوع البحث. فلقد وجدنا، عند جمع الألغاز الشعبيّة وتصنيفها، أنّ عددا معتبرا منها تناول المنافع المستخلصة من الأنعام كالحليب، والزّبدة، واللّحم، والصّوف، والشّعر، والوبر.

فالجمال – على سبيل المثال – تُعدّ في مقدّمة الحاجات الضروريّة ولاسيّما عند أهل البادية إذ منها ركوبهم، وغذاؤهم، وسكنهم، وكساؤهم، فلا غنى للبدويّ عن الجمل بأيّ حال من الأحوال [1]. و لكن يلاحظ – بكّل أسف – أنّ هذه الثّروة الحيوانيّة على مستوى الأنعام جميعا تتناقص من سنة إلى أخرى: فالإحصائيّات الحاليّة – في أوائل ستّينيات القرن الماضي تقريبا – تُقدّم الأرقام الآتية: 6000 جمل، 25000 ماعز، و 10000 ضأن. بينما سنة 1920، كانت الأرقام على النحو الآتي: 10000 جمل، 50000 ماعز، و 40000 ضأن [2].

وتربية المواشي، لدى أهل سوف يُنتفع بها على صعيدين:

- أوّلا، على صعيد الاكتفاء الذّاتي عبر الاستفادة من منافعها المتعددّة.

- ثانيا، على الصعيد الاقتصادي من خلال المتاجرة بها من جهة، واستغلال أصوافها، وأوبارها، وأشعارها في الصّناعات التقليديّة من جهة أخرى.

وبالإضافة إلى المواشي، هناك اهتمام كبير بتربية الدّواجن وبخاصة الدّجاج الذي غدا موردا هامّا للمنطقة. فإنتاج البيض واللّحوم البيضاء تجاوز بكثير احتياجات ولاية الوادي [3].

وإلى جانب الأنعام والدّواجن، يهتّم أهل سوف بالخيل والبغال والحمير باعتبارها وسائل ضروريّة مساعدة في مختلف الأعمال، ولاسيّما عند " رفع الرّملة " في غابات النّخيل [4].

ج- النشاط التجاري: بيّنا - في المبحث الجغرافي – أنّ وادي سوف وُهبت موقعا جغرافيّا متميّزا محاطا بدولتين هما، تونس و ليبيا، وبخمس ولايات وطنيّة. كما ذكرنا أنّ لهذا الموقع المتميّز عدّة مزايا من أهمّها ما يتّصل بالنشاط التجاريّ.

والنّشاط التّجاريّ بمنطقة وادي سوف ذو شقّين:

شقّ يتعلّق بالتّجارة المحلّية داخل الإقليم، وشقّ يتمثّل في المبادلات التجاريّة مع الدول أو الولايات المجاورة.

---

[1] ينظر: André- R- Voisin, op.cit, p237

[2] ينظر: Ibid, p234

[3] ينظر: Ibid, p-p241-242

[4] ينظر: Ibid, p 241

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتُعدّ مدينة الوادي بسوقها الكبير الذي شُيدّ على أطراف مسجدها العتيق – مسجد سيدي المسعود الشابيّ– هي مركز الثّقل الاقتصادي للمنطقة برمّتها [1]. ففي هـذا الـسّوق، تـتمّ التجـارة المحليّـة على اختلاف سلعها وتنوّع أنماطها،كما يعتبرهذا السّوق" منطلقا للقوافل في عمليّة الاستراد والتّـصدير بأنواع السّلع التّجاريّة المتنوّعة " [2].

وتُعدّ وادي سوف منطقة عبور ومركز التقاء لمختلف القوافل التجاريّة الّتي تمرّبها قادمة مـن عـدّة جهات: من نفطة والجريد وقفصة بتونس، ومن غدامس بالحدود اللّيبية وإليها من جهة ولايات الـشّرق الجزائري سكيكدة و قسنطينة و باتنة و بسكرة و غير ذلك من الجهات والاتّجاهات الّتي شملت حتّـى بلاد السّودان الّتي كانت تعني – قديما- أقطار مالي و النّيجر و شمال نيجريا [3]، ولا يخفـى – بطبيعـة الحال – ما لهذه الحركة التجاريّة الواسعة من دور فاعل في المبادلات الثّقافيّة الّتي ينجم عنها ما يـسمّى" بهجرة النصوص" وبخاصّة في مجال الأدب الشّعبي القائم على الرواية الشّفهيّة.

وتجدر الإشارة – في هذا السّياق – إلى أنّ المبادلات الثّقافيّة بـرزت بـشكل أوضـح وأعمـق على مستوى المبادلات التجاريّة الإقليميّة الّتي كان تجّار سوف يمارسونها مع ثلاثة أطراف أساسيّة هـي، النمامشة، وبلاد الزّاب، ووادي ريغ [4]، فبخصوص النمامشة – مثلا – كانت العلاقات التجاريّة تتمّ – بوجه خاصّ- مع تبسة و خنشلة عن طريق مقايضة التمور بالحبوب (2كلغ من التّمر مقابـل 1كلـغ من القمح) [5].

ولقد أخبرني أحد الرواة الّذين أخذت عنهم بعض الألغاز الشّعبيّة أنّ التّجار النمامشة بعد أن يحطّوا رحالهم بوادي سوف، ويُكرموا بوصفهم ضيوفا، يتسامرون مع جلسائهم من أهل المنطقـة، ويكـون موضوع السّمر– في الغالب – التباري بالألغاز والأحاجي.

د- الصّناعات التّقليديّة: تُعدّ الصّناعة التّقليديّة من الأنشطة الحيويّة ذات الطّابع الاجتماعي الاقتصاديّ بما تتطلّبه من مشاركة وتعاون بين الرّجال والنسّاء وحتّى الأطفال أحيانا، وبما تمثله من مورد اقتـصادي للأسرة يحقّق لها ولأفرادها الاكتفاء الذّاتي، كما يوفّر لديها قدرا من المـال بعـد بيـع المـصنوعات في الأسواق المحليّة، أو تصديرها إلى مناطق أخرى خارج حدود الإقليم.

---

(1) ينظر: علي غنابزية مجتمع وادي سوف، ص78

(2) المرجع نفسه ، ص79

(3) المرجع نفسه ، ص84

(4) المرجع نفسه ، ص96

(5) المرجع نفسه ، ص96

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما عُرف عن بعض المنتوجات الصّناعيّة، الّتي اجتازت مسافات ومسافات، وحتّى أبحرا لتصنع سعادة شخص أو بيت [1]، والمصّنوعات التّقليديّة بوادي سوف مختلفة الأشكال و الأنواع والألوان، وتستمدّ موادها الأوّلية من غيطان المنطقة ، ونباتها وحيواناتها وصخورها [2].

ولعلّ من أبرز الصّناعات التّقليديّة في المنطقة صناعة النّسيج: هذا الفن الذي يسمح للمرأة أو الرّجل، من إبداع منتوج يدويّ مكتنز بروح الماضي وعبق التّاريخ في زاوية ظليّة من فصل الصّيف، أو تحت ظلّ شعاع دافيء من شمس الشّتاء على أنغام الأغاني، أو في ظلال الحكايات [3]. والمصّنوعات النّسيجيّة أنواع عدّة منها: الزرابي، الحايك، الحوالي، البرنوس، القندورة، القشابيّة، العرّاقيّة، العفّان، مستلزمات الخيمة وغيرها من المنسوجات [4]. وإلى جانب الصّناعات النّسيجيّة، وُجدت بوادي سوف أنواع أخرى من الصّناعات التّقليديّة كالصّناعات الجلديّة بمنتوجاتها المتنوّعة مثل: القربة، والرّكوة،* والدلو، والرقعة وغيرها [5].

ومن الصّناعات القديمة المعروفة بالمنطقة: صناعة الجبس الّذي يُعدّ المادّة الأساسيّة في البناء بالنّسبة للمجتمع السّوفي القديم. وتمرُّ هذه الصّناعة بثلاث مراحل تبدأ بتكديس الحجارة، ثمّ حرقها في أفران خاصّة، ليتمّ – في النهاية – تهشيمها وسحقها حتّى تصير جبسا صالحا للبناء [6].

ومن أشهر الصّناعات التّقليديّة بمنطقة وادي سوف تلك الصناعات المعتمدة على أجزاء النّخلة مثل صناعة السّعف وهو جريد النّخل [7] الذي تُصنع منه عدّة أواني وأدوات ذات استعمالات متنوّعة كالقفّة، والشّارية [8] ولعلاقة [9]، والمظلّة والمنشة [10]، وغيرها [11].

---

(1) ينظر: A.Nadjah, op.cit, p82

(2) علي غنابزية، المرجع السّابق، ص69 .

(3) ينظر: A.Nadjah, op.cit, p82

(4) علي غنابزية: المرجع السّابق، ص-ص74-75 .

* الركوة: علبة من جلد الماعز .

(5) ينظر، ابراهيم العوامر ، الصروف ،ص-ص 88-89 .

(6) علي غنابزية، المرجع السّابق، ص-ص 70-71.

(7) ينظر: السجستاني أبو حاتم سهل بن محمدّ ،كتاب النّخلة ،تحقيق أ.د.حاتم صالح الضامن ،دار البشائر الإسلامية ،بيروت ، ط1، 2002 ، ص61 .

(8) الشّارية : مثل القفّة ولكنها أكبر منها بكثير .

(9) لعلاقة : آنية متوسطة الحجم يضع فيها الفلاّح البسر المجنيّ (الرّطب) .

(10) المنشة : تستعمل كمروحة يدويّة للتخفيف من شدّة حرارة الجوّ .

(11) ينظر : علي غنا بزية ، المرجع السابق،ص-ص70-71

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهناك مصنوعات أخرى كثيرة تعتمد على أجزاء مختلفة من النخلة كالتّيق، وعصيّ الجريد، واللّيف، والكرناف، وجذع النخلة [1].

رابعا: الإطار الديني و الثقافي:

لعلّ أوّل ما تجدر الإشارة إليه، في هذا المبحث الأخير من هذا الفصل التّمهيدي، هو أنّ الجمع بين الجانبين: الدينيّ والثّقافي، في مثل هذا السّياق، أمرٌله ما يبرّره كما هو الشأن في المبحث السّابق الذي جمعنا فيه بين البعدين: الاجتماعي والاقتصاديّ.

فمن المعلوم – بشهادة التاريخ و الواقع – أنّ الدِّين – أيّا كان نوعه – يُعدّ أحد المكوّنات الرئيسيّة لثقافة المجتمع والأمّة. ذلك أنّ الثقافات – بوجه عام – " هي مجموعة من المعتقدات أوالقيم التي تعطي معنى لطرق الحياة، وتنتج، ويعاد إنتاجها من خلال أشكال مادية ورمزيّة " [2].

دور الدِّين في حياة أهل سوف:

بناء على ما تقدّم، يمكننا أن نُقدّم لمحة مختصرة عن دور الدِّين في المجتمع السّوفي. فإذا كان أساس الثقافة – كما سبق الذكر – يتمثّل في جملة المعتقدات أو القيم التي تحكم حياة الفرد والمجتمع على السّواء، فإنّ جوهر تلك المعتقدات والقيم – لدى أهل سوف – مستمدّ من الدِّين الإسلامي. وإن علقت به – في بعض الفترات التاريخيّة – بعض الشّوائب من البدع والخرافات وآثار الثّقافة الدّينيّة واضحة جليّة في حياة سكّان وادي سوف، تتبدّى على مستوى السّلوك الفردي والاجتماعي عبر الأقوال والأفعال والأحوال. فاللّغة - عندهم – مُشبّعة بالعبارات الدّينيّة إن لدى الشخص منفردا، أو لدى الجماعة من خلال التخاطب والتداول في المجالس العامّة والخاصّة. ومن أشهر العبارات الدّينيّة المستعملة: البسملة، والحمدلة، والحوقلة، و الصّلاة على النبيّ، و " أستغفر الله "، و " الله "، و " بالله "، و " لا إله إلا الله "، " إن شاء الله "،" بإذن الله "، " بحول الله "، " ربّي يهديك "، و" يتوب عليك "، " ربّي يعاون "،" الله يعينك "... إلخ.

---

[1] ينظر: علي غنابزية ،مجتمع وادي سوف، ص- ص 71,70 .

[2] مايك كرانغ، الجغرافيا الثقافية ، ترجمة د.سغيد منتاق ،ص14.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحقّ أنّ التمسّك القويّ بالدِّين و مبادئه لدى سكّان وادي سوف، غدا من الحقائق المقـــرّرة الّـــتي يشهد بها كلّ من درس تاريخ المنطقة، أو عايش أهلها.

فالكاتب الفرنسي أندريه فوازان(André - Voisin) [1] يقول عن هذه الرّوح الدّينيّة:

"Les Souafa sont des musulmans fervents"[2].

وفي ذات السّياق، يقول ابن المنطقة الباحـــث أحمـــد نجـــاح: [3] "Profondement pénetrée des principes de l'Islam, la population du Souf est très pratiquante"

كما يذكر الدكتور نجاح في موضع آخر من كتابه بأنّ روح التدّين المهيمنة على المجتمع السّوفي كانـــت لها آثار جليّة ونافعة على المستوى الفكري والثّقافي للسكّان [4].

ويُعدّ التّعليم الدّينيّ أحد الرّوافد الأساسيّة المُغذّية للثقافة الدّينيّة ويتحقّق حدّه الأقصى -لدى أهـــل سوف – عن طريق الالتحاق بجامع الزّيتونة بالقطر التونسي الشّقيق المجاور لوادي سوف.أمّـــا حـــدّه الأدنى، فيتمثّل في تحفيظ القرآن الكريم في المساجد و الزّوايا، إذ لا يكاد يخلو حيّ من الأحياء من مدرسة قرآنيّة وذلك بسبب قدسيّة القرآن الكريم عند سكّان سوف الذين يعدّونه محور التّعلـــيم والتّثقيـــف. " فالطّالب " – وهو اللّقب الذي يُطلق على حافظ القرآن – يُعدّ هو المقياس والمثل الأعلى للعلم والثّقافة في المجتمع السّوفي القديم. وأهل سوف متفوّقون في حفظ القرآن الكريم - كمّا و كيفا – بحيث سُجّل، في بعض الفترات التّاريخيّة، أنّ واحدا من عشرة منهم يحفظ القرآن عن ظهر قلب مقابل واحد من مئـــة في الجزائر ككل[5].

والطّفل الذي " يختم "حفظ القرآن يُكرَّم عبر احتفال عائليّ [6]يتسامع به أهل الحيّ جميعا. ولابـــدّ من إكرام معلّمه وزملائه في الكُتّاب بما تيسّر من الطّعام تعبيرا عن الشكر و الوفاء، والتماســـا للخـــير والبركة.

أمّا التّعليم العام، أو التّعليم المدني، فقد كان ظهوره مُتأخّرا، وتجسّد – بالتّوازي – عبر منظـــومتين متقابلتين:

---

[1] مارس التعليم في الوادي من سنة-1959 إلى 1964 .

[2] ينظر: Le souf ,monographie .p155

[3] ينظر: Le souf des oasis.p124

[4] ينظر: Ibid.p 131

[5] ينظر: André-R-Voisin. Op.Cit.p278

[6] ينظر: Ibid.p270

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **منظومة الأصالة:** وتُمثّلها المدارس الشّعبيّة الحرّة الّتي تُشرف عليها الحركة الوطنيّة الإصلاحيّة. ويُعبّر عن فلسفتها الشّعار المعروف:" الإسلام ديننا، العربيّة لغتنا، والجزائر وطننا ".

- **منظومة التحديث:** وهي المنظومة الّتي تُشرف عليها الإدارة الاستعماريّة من خلال ما كان يسمّى بـ " المدارس الفرنسيّة " [1] الّتي تحكمها الفلسفة الاستعماريّة بكلّ خصائصها ومقوّماتها.

وعلى الرّغم من اتّساع رقعة التّعليم المدني على امتداد القرن الماضي، إلاّ أنّ التّعليم القرآني ظلّ – إلى وقتنا الحالي – محافظا على بقائه وقداسته مع تطوّر ملاحَظ سُجّل على مستوى طرق التّدريس ووسائله*.

ولعلّ هذه الاستمراريّة الّتي عرفتها الثّقافة القرآنيّة تُعدّ أحد العوامل الأساسية في تثبيت الثقافة الأصلية ذات الطابع العربي الإسلامي في منطقة وادي سوف، وجعل كلمتها هي العليا بالرّغم من المحاولات الاستعماريّة المتكرّرة لعرقلتها، وتهميشها وتدجينها بالإضافة إلى محاربتها للمدارس الشّعبيّة الحرّة الّتي كان لها الدور الأكبر في إعادة تشكيل الوعي الوطني، وبعث الرّوح الوّطنية.

- **الطرق الصّوفية والمعتقدات الشّعبيّة:**

لقد عرف المجتمع السّوفي التصوّف منذ عدّة قرون من خلال الطرق الصّوفيّة الشّهيرة الّتي "اشتهرت بكثرة أتباعها وانتشار زواياها، ومساهمتها في القضايا الاجتماعيّة والثّقافيّة والسّياسيّة"[2]. ومن أشهر الطرق الصّوفيّة وأبرزها بوادي سوف: الطريقة القادريّة، والطريقة التجّانيّة، والطريقة العزّوزيّة:

- **الطريقة القادريّة:** وتنسب إلى مؤسسها الشيخ عبد القادرالجيلاني (ت 561 هـ / 1161م) ببغداد، وقد وصلت إلى وادي سوف منذ القرن السادس الهجري[3] ومن أبرز ممثّليها بوادي سّوف الشّيخ الهاشمي بن إبراهيم الشريف* شيخ زاوية عميش بالبياضة.

---

[1] ينظر: A.Nadjah,op.cit.p109

- ويذكر د.نجاح أنّ المدارس الفرنسيّة الأولى بوادي سوف فتحت أبوابها نحو سنة 1884 بالوادي وقمار وكونين أوّلا .

* حصل انتقال نوعي من الوسائل التقليديّة القائمة على اللّوح والحبرالقديم إلى وسائل عصريّة سمعيّة ، وسمعيّة بصريّة وفّرت الوقت، ويسّرت الحفظ مع إتقان أحكام التّجويد والتلاوة بشكل لم يعرف من قبل إلاّ نادرا .

[2] ينظر: على غنابزية، مجتمع وادي سوف،ص175 .

[3] المرجع نفسه، ص175 .

* أشرنا في المبحث التاريخي أن الشّيخ الهاشمي وابنه عبدالعزيز قادا - في فترات متباعدة- انتفاضات شعبية ضدّ الإدارة الاستعمارية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **الطريقة التّجانيّة:** وقد ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر[1] على يد مُؤسّسها الشيخ أحمد التجّـــاني (1737م - 1815م) الذي أمر مريديه بتأسيس زاوية لهم بقمار عام 1789م [2]. وهي أول زاويـــة تجانية بوادي سوف. ومن أشهر شيوخ الزاوية التجانية بوادي سوف : الشيخ محمد الصغير بن الـــشيخ حاج علي، والشيخ محمد العروسي التجاني[3].

- **الطريقة العزوزيّة:** وهي طريقة رحمانيّة، وصلت إلى وادي سوف وانتشرت على يد مُؤسّسها الشيخ محمّد بن عزوز البرجي (1756م - 1817م). ومن أبرز شيوخ الطريقة الـــشيخ ســـالم العايـــب** (1768م – 1860م)، وابنه الشيخ مصباح بن سيدي سالم [4].

وقد قدّمت هذه الطرق الصّوفيّة – على اختلاف توجهّاتها – عدّة خدمات تعليميّـــة واجتماعيّـــة للسكّان بيد أنّ رجال وأتباع جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سجّلوا ضدّها بعض المآخذ "مما جعلـــها تتعرّض في النّصف الأوّل من هذا القرن لإنتقاد الحركة الدينيّة الإصلاحيّة التي حاول رجالها اقتلاع بعض هذه المعتقدات من أذهان النّاس، أو تجريدها من كثير من مظاهرها، معتمدين على نـــصوص القـــرآن والسنّة في محاربة ما أسموه "البدع و الخرافات و الخزعبلات"، إذ أنّهم يعدّونها خروجـــا عـــن العقيـــدة الإسلامية" [5].

وكانت لتلك المحاولات الإصلاحيّة استجابات محدودة، بدرجات متفاوتـــة، تختلـــف مـــن جهـــة إلى أخرى على حين ظلّت أغلبيّة السكّان، إلى غاية السّبعينيّات* من القرن الماضي، مشدودة إلى الزّوايا: التجّانيّة، القادريّة والرحمانيّة [6].

أمّا المعتقدات الشّعبيّة، فيأتي في مقدّمتها الاعتقاد في الأولياء الصّالحين وهم – في المقام الأوّل – شـــيوخ الطرق الصّوفيّة، وقد يكون الوليّ رجلا من عامّة النّاس اشتهر بالصّلاح والتّقوى والزّهد[7].

---

[1] ينظر: A.Nadjah,op.cit.p126

[2] علي غنا بزية، المرجع السابق، ص178 .

[3] المرجع نفسه، ص179 .

** يطلق عليه لقب ''سيدي سالم''، وإلى هذا اللّقب تُنسب الزّاوية ومكتبتها الّتي تحوي عددا من المخطوطات والكتب التراثيّة

[4] على غنا بزية، المرجع السابق، ص-ص181-182.

[5] عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة ، مرجع سابق، ص22 .

* هذا التحديد التاريخي ينطبق- حصرا – على القادريّة والعزوزيّة، اللّتين تراجعتا بعد هذه الفترة إلى حدّ كبير. أمّا الطريقة التجّانيّة فقد ظلّت – إلى اليوم – محتفظة بسلطتها المعنويّة ونفوذها على قطاعات معتبرة من السكّان في عدّة جهات من وادي سوف .

[6] ينظر: A.Nadjah,op.cité.p130

[7] ينظر:علي غنابزية، المرجع السابق، ص-ص 166-168 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" فالأولياء رجال مُقرّبون إلى الله لهم إمكانيات الاتّصال به أكثر من غيرهم ولهم مقـــدرة عجيبـــة على الأفعال الخارقة و المعجزات**، وتظلّ لهم نفس المقدرات بعد وفاتهم، ويظلّ الضّريح رمـــزا لهـــذه القدرة على الفعل " [1].

ومن المعتقدات الشعبيّة الشائعة لدى سكّان وادي سوف ما يتعلّق بعوالم الجنّ والعفاريت وقـــدراتهم الرّهيبة، وتأثيرهم الكبير على الإنسان سلبا وإيجابا. وأنّ هناك بعض الأولياء الـــصّالحين يملكـــون قـــوّة التحكّم في الجنّ. كما يشيع الاعتقاد في السّحر وممارسته. وتُطلق على الـــسّحرة والـــسّاحرات عـــدّة تسميات منها: الطّالب و العزّام، و القزّانة أوالتقازة، و الشوّافة. وتجدر الإشارة -في هـــذا الـــسّياق – أنّ هذه المعتقدات تتجسّد – بشكل بارز – في الفضاءات النصّية للقصص والحكايات الشعبيّة [2].

وإلى جانب الاعتقاد في الأولياء، و الجنّ، و السّحر، عُرف عن أهـــل ســـوف اعتقـــادهم الكـــبير في الأشباح كالغول و " النّيد "، و " المصوّرة " بالإضافة إلى الخوف الشّديد من العين الحاسدة [3].

ولسنا – هاهنا – بصدد مناقشة هذه التصوّرات العقديّة، أو إصدار أحكام نقديّة بـــشأنها، وإنّمـــا هدفنا ينحصر- تحديدا - في تقديم بعض الإضاءات التي تكشف لنا الحالة الذهنيّة العامّة للمجتمع السّوفي القديم الذي يتداول فنون الأدب الشّعبي - بمختلف أجناسه - إبداعا و تلقّيا ورواية من خلال الظّـــلال و الإيحاءات الّتي تُفرزها تلك الحالة الذهنيّة المشكّلة من جملة التصوّرات و المعتقدات الشّعبيّة الموروثة الّتي غدت – وفق هذا المنظور- رافدا ثقافيّا هامّا يمارس تأثيره الفكري و الخيالي، و الوجداني، و الـــسّلوكي في حياة الفرد و الجماعة على حدّ سواء. ذلك أنّ المعتقدات الشّعبيّة " تمثّل جانبا مهما مـــن جوانـــب الثقافة التي يتلقّاها الفرد، و يمارسها داخل التجمّعات...، ومن وحيها يتـــشكّل ســـلوكه، وفلـــسفته في الحياة، وتصوّره للعالم الخارجي، وعالم ما وراء الطبيعة " [4].

** في المصطلح الشرعي: المعجزة للنبي والكرامة للولي .

[1] عبد الحميد بورايو، المرجع السابق ،ص22 .

[2] ينظر:ثريا التجاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري (وادي سوف نموذجا)،دار هومة،الجزائر ،1998 ، ص-ص43-46 .

[3] علي غنابزية، المرجع السّابق، ص144 .

[4] عبد الحميد بورايو، المرجع السّابق، ص21 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- لهجة منطقة سوف:

تحتلّ اللّهجة - أو اللّغة – موقعا متميّزا في هذا البحث لاعتبارين:

* أوّلهما يتعلّق بصلب موضوعنا وهو الألغاز الشعبيّة الّتي تُعدّ – كغيرها من الإبداعات الأدبيّة – خطابا فنيّا أساسه اللّغة. فالتّشكيل اللّغوي – بلا ريب – هو اللّحمة والسدى في كلّ نصّ أدبيّ.

* أمّا الاعتبار الثّاني، فيرتبط – خصوصا - بهذا الفصل التّمهيدي الّذي يُسلّط الضوء على الإطار العام لمنطقة البحث حيث أنّ الجوانب الجغرافيّة و التاريخيّة والاجتماعيّة و الاقتصاديّة التي تناولنا نُبذا منها في المباحث السابقة، ولها علاقة وثيقة بالمسألة اللّغوية من ناحية تشكّل اللّهجة و تطوّرها الدلالي [1].

وبناء على ما تقدّم، ارتأينا أنّه من تمام الفائدة في مثل هذا البحث، و عبر هذا الفصل التّمهيدي، أن نقدّم لمحة مختصرة وسريعة عن لهجة سوف من حيث أهمّ عوامل تشكّلها، وبعض خصائصها، وعلاقاتها بالفصحى.

أمّا أهمّ العوامل في تشكّل اللّهجات، فيجملها بعض الباحثين فيما يأتي [2]:

1- استقرار الناطقين بها في مناطق منعزلة عن غيرها.

2- الصّراع اللّغوي نتيجة غزو أو هجرات.

3- العوامل الجغرافيّة المتعلّقة بموقع المنطقة وطبيعتها، و مناخها، ... وأثر ذلك و غيره على سكّانها مقارنة بسكّان آخرين في مناطق أخرى مغايرة.

4-العوامل الشّعبيّة المرتبطة بالفروق في الأجناس والفصائل الإنسانيّة و أصول السكّان وسلالاتهم.

ولعلّ المباحث المتنوّعة الّتي تطرّقنا إليها في هذا الفصل، تثبت لنا أنّ "العوامل السّابقة أسهمت بالقدر الأعظم في تشكل لهجة سوف" [3].

---

[1] ينظر:أحمد زغب، التطور الدلالي في لهجة منطقة سوف، مرجع سابق ، ص18 .

[2] المرجع نفسه، ص18 .

[3] المرجع نفسه ص18 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وللهجة سوف جملة من الخصائص تتجلىّ في المستويات الصّوتيّة، والصّرفيّة، والتّركيبيّة، والدّلاليّة، ولعلّ من أبرز الظّواهر اللّسانيّة الّتي تشترك فيها هذه المستويات المذكورة هي ظاهرة الاقتصاد اللّغويّ التي رصدها بعض الباحثين في لهجة المنطقة ، وتتجلّى أكثر على المستوى الصّوتي[1] من خلال الإدغام، والإمالة، والقلب، والإبدال، والحذف وغيرها من الظواهر الصّوتيّة[2].

والاقتصاد اللّغويّ عمليّة لسانيّة يلجأ إليها المتكلّم بأيّ لغة كانت، لأنّ الإنسان ميّال بطبعه إلى الاقتصاد في عمليّة التّبليغ. وعلماء اللّغة القُدَامى يطلقون على مفهوم الاقتصاد اللّغويّ لفظ التّخفيف، أو الخفّة، أو الاستخفاف [3]. فمن مظاهر الاقتصاد اللّغويّ تخفيف الهمزة في مثل: (كأس ← كاس) أو حذفها في وسط الكلام في مثل: (الأمين ← لَمين) أو قلبها ياءاً في مثل: (بئر ← بير).

ومن أمثلة الإدغام اللاّم السّاكنة في النّون المتحرّكة في مثل: (أهَلْنا ← أَهَنَّا). وإدغام تاء تفعّل وافتعل في فاء الفعل في مثل (اتْزَلْبَحْ ← ازَّلْبَحْ) أي خُدِعَ.(اتْسَحَّت ← اسَّحَتْ) أيْ: طُرِدَ [4]. أمَّا الإمالة، فمنها الخفيفة والشّديدة. "فمن أمثلة الأولى: تحويل الفتحة إلى كسرة ممالة" إذا لحقتها ياء مدّ مثل: (بَيْع ← بِيع) ...وأمّا الإمالة الشّديدة، فتقع غالباً في الأسماء الممدودة مثل: الماء ، العشاء، السّماء، الدواء، الكراء ...فتنطق: الما (=المي)، السّما (=السّمي) عند أهل البادية ، العشا (=العشي)، الدوا (=الدوي) عند أهل البدو وبعض كبار السنّ في الحضر ، الكرا (= الكري) [5] ومن أمثلة التخفيف على المستوى الصّرفي ما نُلاحظه في مثل هذين التّركيبَيْن:

(هَالْوَلدْ = هذا الولد)،(هادِّنْيَا= هذه الدُّنيا). فالملاحظ في كلا التّركيبيْن حذف اسم الإشارة (ذا/ذي) والاكتفاء بالهاء التّنبيهيّة طلبًا للتّخفيف وتحقيقاً للانسجام الصوتي أو التوافق الحركي على حدّ تعبير الدّارسين المحدّثين [6].

---

(1) ينظر: أحمد زغب، المرجع السّابق، ص- ص 19-22

(2) ينظر: ثريّا التجّاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية، مرجع سابق، ص- ص 68-77.

(3) المرجع نفسه، ص77.

(4) ينظر: أحمد زغب، المرجع السّابق، ص 20.

(5) المرجع نفسه، ص21.

(6) المرجع نفسه، ص21.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولقد توصّل الباحثون في لهجة المنطقة – بعد دراسة خصائصها اللّسانيّة – إلى نتيجة هامّة مفادُهـــا أنَّ لهجة أهل سوف تُعدّ من أقرب اللّهجات العربيّة الجزائريّة إلى اللّغة العربيّة الفصحى .

وفي هذا السّياق، تقول الباحثة ثريّا التجّاني في خاتمة رسالتها الجامعيّة ، "...لأنّنـــا بعـــد البحـــث والتحرّي في المعاجم القديمة والحديثة ومقارنة ما جاء فيها بما جاء في لغة القصّة الـــشعبيّة هـــذا إضـــافة إلى البحث في تاريخ المنطقة قبل وأثناء الاستعمار الفرنسي ، وبعد الاستقلال، وجدنا أســـبابًا متعـــدّدة* جعلت لغة أهل هذه المنطقة قريبة جدًا من اللّغة العربيّة الفصحى " [1].

وهذه النتيجة هي نفسها- تقريبا - الّتي أثبتها الباحث أحمد زغب في خاتمة رسالته إذيقول:" وتحقّق لدينا أنَّ لهجة أهل سوف حافظت على فصاحة ألفاظها إلى حدّ بعيد، كما تبيّن ضـــعف تـــأثير اللّغـــة الفرنسيّة على سكّان المنطقة ...ومن ثمّ وقفنا على ثروة لفظيّة هامّة فصيحة نطقا ودلالة، ووجدنا نسبة لا يُستهان بها من الألفاظ الفصيحة المتروكة في العربية النمطيّة " [2].

وتجدر الإشارة - بهذا الصّدد- إلى أنّ الباحثة ثريّا التجّاني قد اعتمدت في دراستها للهجة أهل سوف على مدوّنة من القصص الشّعبيّة، كما أنّ الباحث أحمد زغب اعتمد في ذلك على مدوّنة مـــن الـــشّعر الشّعبيّ، إلى جانب أمثلة متنوّعة من لغة التخاطب اليومي. وهذا يعني أنّ النّتيجة المشتركة الّتي توصّـــلا إليها تنطبق على المستويين معا، مستوى لغة الإبداع الأدبي، ومستوى لغة التخاطب اليـــوميّ. فاللّغـــة العربيّة في وادي سوف ظلّت – إلى حدّ كبير - محافظة على صفائها ، تسمح حتّى للأمـــيّين، ســـاكني الخيام، من إبداع أشعار لا تقلّ في شعريّتها عن أبيات الشّعر العربي القديم[3]. هذه حقيقة يقف عنـــدها كلّ من يقرأ متذوّقا بعض روائع الشّعر الشعبي بوادي سوف[4].

وفي ضوء ما تقدّم، يتبيّن لنا أنّ الفكرة التي كانت شائعة - ولا تزال - لـــدى أغلـــب المـــتعلّمين في المنطقة بخصوص العلاقة الوثيقة بين اللّهجة المحليّة والفصحى، هذه الفكرة ليست من قبيـــل المبالغـــة الهادفة إلى تمجيد الذّات، بل هي حقيقة موضوعية أثبتتها البحوث العلميّة الأكاديميّة .

---

* ذكرت الباحثة عدّة أسباب تفسر التقارب الكبير بين اللّهجة المحليّة والفصحى منها عزلة المنطقة وضعف التأثير التركي والفرنسي عليها ، الأصل العربي للسكّان ، وتمسكّهم القويّ بالدّين والثقافة الإسلامية ، وانتشار الكتاتيب القرآنية ...إلخ .

[1] نفسه، ص125 .

[2] ينظر: أحمد زغب، التطور الدلالي،مرجع سابق، ص141 .

[3] ينظر: A. Nadjah,.op.cit, p 06

[4] ينظر: أحمد زغب ديوان إبراهيم بن سمينة، جمع وتوثيق وشرح وتعليق، من إصدارات الرابطة الولائية للفكر والإبداع -الوادي – 2004 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأدب الشّعبي في وادي سوف :

نعيد التّذكير والتّأكيد مرّة أخرى أنّنا. في هذا الفصل التّمهيدي ،لسنا بصدد التّوسيع والتّفصيل بخصوص المباحث المطروقة، وإنّما الهدف الذي ننشده في كلّ خطواتنا يتمثّل في تقديم إضاءات عامّة في شكل نُبذ مختصرة حول جوانب متعددّة ومتنوّعة تتعلّق بميدان بحثنا:منطقة وادي سوف.

ومن هذا المنطلق نتناول الأدب الشّعبي في وادي سوف بوصفه أحد أبرز الأنشطة الثّقافية التي تعكس منظومة المعتقدات الدّينيّة والقيم الثّقافيّة للجماعة ولعلّنا - وفق هذا المنظور- أن نكون قد وُفّقنا في إدراج هذا العنصر خاتمة- في أن واحد – لهذا المبحث الأخير :الإطار الدّيني والثّقافي، ولهذا الفصل التّمهيدي في مجموعه،تمهيدا للدخول في الفصل الآتي الذي يتناول بالدّراسة هويّة اللّغز الشّعبي - موضوع بحثنا - باعتباره أحد أجناس الأدب الشّعبي.

والأدب الشّعبي، في وادي سوف - كما هو الحال في مناطق كثيرة من الجزائر – يتميّز بالثراء والتنوّع على مستوى أجناسه وموضوعاته، ولقد صوّر بيئته في شتّى تجلّياتها الجغرافيّة، والتاريخيّة، والدّينيّة، والاجتماعية، وغيرها تصويرا حيّا بصدق وأمانة بما يكشف عن الخصائص الفكريّة والنّفسيّة للطّبقات الشّعبيّة التي تتداوله إبداعا و رواية وتلقيّا. ذالك أنّ " التّعبير الشّعبي يعكس- على الدّوام - أفكار العامّة ومشاعرها، وحتّى مستوى تطوّرها الاجتماعي والفكري"[1].

والباحث في الأدب الشّعبي بمنطقة وادي سوف، واجد - بلا ريب – في مختلف أشكاله التّعبيريّة الكثير من الخصائص والظواهر المتعلّقة بالمجتمع السّوفي، والبيئة السّوفيّة ممّا ذكرنا جوانب منه في هذا الفصل التّمهيديّ.

ففي الشّعر الشّعبي ، نلمس - على سبيل المثال لا الحصر - روح التديّن العميقة الّتي عُرف بها المجتمع السّوفي في مثل قول الشاعر إبراهيم بن سمينة:

صَلُّو ياحُضَّار عَنْ سَيَّد لُمَّهْ * ابو الزهرة المختار الرسول المُسَمَّى.
صَلُّو جمْلَهْ عَنْ بَدْرِ التَّمَامْ * اللِّي يَبْهَرْ نُورَهْ طَالَعْ كما الشَّفَقْ.
نظيفْ الْعَضَا سمَحْ لَبْسَامْ * شَفِيعْ الاّمّهْ مَنَّاعْ مَنْ وَهَقْ*.
لَاإِلَه إلاّ الله سلطانة الْكَلَامْ * قَدّ مِنْ ثْمَرْسَمْ** بِيْهَا مَا عَاد يستحَقْ.

---

(1) A.Nadjah, op.cit , p133 .

* وَهَقْ : بدأ يشعر باليأس والخوف بسبب ذنوبه .

** ثمرسَمْ بيها : إستغنى بها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مَنْ صَلَّى الخمسة وْكَمَّلْ بالصِيَامْ * تَتغُسُلْ ذْنُوبَهْ كِي غَسْلِهِ الْعَرَقْ [1].

وقد عبّر بعض الشّعراء عن مدى حُبّهم وتقديسهم للأولياء تبعا للطّرق الصّوفيّة الّتي ينتمون إليها، فالشّاعر غادة بن زغب يقول عن شيخه أحمد التجّاني:

سيدي أحمد سلطان برّ المغرب * ضامن ضمن لحباب لا من يتعبْ [2].

أمّا الشّاعر بن تواتي القادري، فيخلع على شيخه عبد القادر الجيلاني لقب"رئيس الصالحين" إذ يقول:

يا رايس الصلاح * ماك سيدي عبد القادر[3].

وعن التعلّق بالنّخل والافتخار به، يقول الشاعر خليفة بن قانه:

تهزي على بلاد لبكارْ * ورهوط عن كلّ صيفَهْ.

نخل بدع ما زال جبَّارْ * بثمار حافل خَرِيفَهْ [4].

والحكايات الشّعبيّة المتداولة في المنطقة تحتوي في فضاءاتها السّرديّة أبرز المعتقدات والقيم والعادات التي كانت سائدة في أوساط أهل سوف كالاعتقاد في كرامات الأولياء والصّالحين، وتأثير الجن والسحر وسائر الكائنات والقوى الغيبية على الإنسان، بالإضافة إلى بنية النظام الأسري، وطبيعة العلاقات الإجتماعيّة، وأنماط الحياة المعيشيّة لدى مختف الطبقات المشكّلة للنّسيج الاجتماعي. وقد تناولت بعض الحكايات الشّعبيّة قضايا سياسيّة مثل التعسّف في استعمال السلطة، والعلاقات الاستغلاليّة بين الحاكم والمحكوم و غير ذلك من المسائل السّياسيّة [5].

والحكايات الشّعبيّة المتداولة في وادي سوف عديدة و متنوّعة نذكر منها :

" قصّة أم الرُّواري "،" قصّة ستّوت "،"حكاية الضاوية "،" قصّة طنيجرة المهويّة "،" حكاية علي بوكريشة "،" قصّة العايبة "،" قصّة عيشة قتّالة أمّها "،" قصّة فاطمة بنت إبراهيم وعلي ولد عمّها"، " محاجية الرويشة "،"خزافة الزّرملي "،" محاجية الغولي "،" حكاية النيّة والحيلة "،" قصّة عيال السّلطان والوصيف " ...الخ [6].

---

(1) أحمد زغب، ديوان إبراهيم بن سمينة،مرجع سابق، ص70 .

(2) أحمد محمد زغب، ديوان غادة بن زغب(مخطوط) .

(3) أحمد محمد زغب، شعراء القادريّة في منطقة سوف(مخ)، ص03 .

(4) أحمد محمد زغب، أعلام الملحون في منطقة وادي سوف-نماذج وانطباعات (مخ)، ص128 .

(5) ينظر : ثريا التجّاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية، ص 124 .

(6) المرجع نفسه،ص-ص 129 - 170 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولقد وجد بمنطقة وادي سوف رواة محترفون برعوا في فنّ الرواية الشّعبيّة ولاسيّما روايـــة المغـــازي في الأسواق والأماكن العامّة، والأحياء الشّعبية في المناسبات الدّينيّة والإجتماعيّة المختلفة ومـــن أشـــهر هؤلاء الرّواة " العيد النّوبلي "و" قدّور بوحباكة " المعروف بلقب" قدّورالسّوفي " [1].

وتزخر منطقة سوف برصيد كبير من الأمثال الشّعبيّة الّتي يتداولها النّاس على نطاق واسع تعبيرا عن مختلف المواقف والظّواهر وأنماط السّلوك الفردي والاجتماعي عبر شبكة العلاقات الاجتماعية. وللأمثال -كما هو معلوم - تأثير كبير عند التداول لما تملكه من قدرة على التّذكير والتّوجيه علـــى المـــستويين: الفردي والاجتماعي بوصفها حمّالة للقيّم الدّينيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة الّتي يؤمن بها النّاس.

فمن الأمثال الشعبية التي تحمل قيما دينية وأخلاقية: " المؤمن مصاب"،" اخدم الخير تنال العجائب"، " ماتدوم غُمَّة على أُمّة "،" إذا كان الكذب ينجّي الصّدق أنجي وأنجي " ...[2].

ومن الأمثال الّتي تشمل على قيم اجتماعيّة :" الرّجال تتلاقى والجبال ماتتلاقى" "الصراحة راحـــة "، " الصّنعة إلّيَ ما ماتغنيشي تُستُر"،" كي تشوف همّ النّاس تنسي همّك"،" اللّي ماعنده شاهد كـــذّاب"، "رِّقْ وإلاّ دَرِّقْ " (دَرِّقْ :اَخْفِ).

وهناك أمثال مرتبطة بالبيئة المحليّة والطبيعة الصحراويّة للمنطقة مثل :" الطويلة ما نرقاها والقـــصيرة فيهـــا الـــشُّوك " والمـــراد بهـــا النّخلـــة، ويُـــضرب هـــذا المثـــل عـــن العجـــز والـــسّلبيّة. " طاح من النخلة جيْ في البيرْ "،" البعير ما يشوفش عوج كرومته "،" لوكان كان الزيت في عُكّتها راه باين عن قُصّتها "،" سبعة نساء والقرية يابسة ".

وبعض الأمثال الشعبيّة صيغت في قالب رمزيّ مُحمّلة بدلالات تربويّـــة، أو اجتماعيّـــة، أوحتّـــى سياسيّة، وغالبا ما يرتبط هذا النوع من الأمثال بعالم الحيوان[3]. ومن هذه الأمثـــال الّـــتي اتّخـــذت من الحيوانات رموزا دالّة : " الذيب قال: المكتوب وامعاه تنقيزة " وفي هذا المثل مغزى تربـــوي مفـــاده الحثّ على السعي ونبذ التواكل. "غيب ياقط ألعب يافار"،" خنفوسة تلهّيني ولاغزال يشقّيني" وفي هذا المثل الأخير بعد اجتماعي يشير إلى المعاشرة الزوجيّة حيث تُفضّل الزّوجة الودود وإن كانـــت ناقـــصة الجمال على الزّوجة الناشز المغرورة بجما لها .

---

[1] ينظر: عبد الحميد بورايو، القصص الشّعبيّ في منطقة بسكرة، ص 36 -37 .

[2] ينظر: بن علي محمد الصالح، 1500 مثل وحكمة شعبيّة من وادي سوف .سلسلة الثقافة الشّعبيّة 1 ، مطبعة عمار قرفي، باتنة، ط 1، 1998، ص10 .

[3] المرجع نفسه، ص العشرون بالله.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن المفاهيم السياسيّة الخالدة حبّ الوطن والتعلّق به. وفي هذا المعنى يقول المثل الشعبي "الطّير قال : وكري وكري ". وخلاصة القول في هذا المحور أنّ الأدب الشّعبي بوادي سوف يمتلك قدرا معتبرا من الخصوبة والثّراء والتنوّع من حيث الموضوعات والبُنى الفنيّة في كافة أشكاله التّعبيريّة التي عكست عبر فضاءاتها النّصيّة المختلفة صور ومظاهر البيئة الطبيعيّة والبشريّة لمنطقة وادي سوف. وتجدر الإشارة - في هذا الصّدد- أنّ اهتمام الدّارسين والباحثين بهذا الرّصيد الأدبي الشّعبي يتزايد باستمرارمنذ العقود الأخيرة من القرن الماضي. ولقد أشرنا إلى أبرز تلك الدراسات والأبحاث في ثنايا هذا الفصل.

وفي خاتمة هذا الفصل التّمهيدي الذي تناول الإطار العام لمنطقة البحث من حيث الأُطر والأبعاد الجغرافيّة، والتاريخيّة، والإجتماعيّة، والثقافيّة، يمكننا القول بأنّ بيئة وادي سوف بخصائصها و تجلّياتها عبر تلك الأبعاد ظلّت إلى حدّ بعيد محتفظة بجاذبيّتها السّاحرة الآسرة من خلال كثبانها المتعالية المترامية، وغابات نخيلها الملتفّة الباسقة، وبساطة عمرانها وقبابها، و روح البداوة الصافية لدى معظم سُكّانها، إلى جانب ما تميّز به أهلها من قوّة ذلّلت الطبيعة القاسية مع دماثة الخلق و كرم الضّيافة .

ولعلّ هذه الخصائص والتجلّيات مع غيرها في مستوياتها الطبيعيّة والبشرية، هي الّتي استهوت من زار المنطقة أو أقام فيها من شعراء وكتّاب وفنّانين وغيرهم من العرب والأجانب على حدّ سواء. وفي هذا السّياق، قال الشاعر السّوري أحمد هويس:

مدينة الوادي ضمّي صفوة النّخب * من رادة الفكر والإبداع والأدب.

وعانقي النّخوة العرباء في طرب * باسم الأصالة والإسلام والنّسب.

و قال في قصيدة أخرى :

غزال الوادي في عينك سرّي * فأطفئ لوعة النّفس الأبيّة.

أتيت أعانق النجوى و أهفو * إلى ربع هلاليّ الهويّة.

و في السّياق نفسه، قال الشاعر السّوري أحمد دوغان:

يا صفوة الوادي أتيت و قصّتي * بين الجموع كما رأيت تَراني .

ما كنت أبغي البوح إلاّ أنّني * في كلّ يوم أشتري كتماني .

و رأيت في طبع النّخيل أصالة * عربيّة.. أفتكذب العينان ؟.

أمّا الأجانب الذين كتبوا عن منطقة وادي سوف مُعجبين فجُلُّهم قد أقام فيها سنين عديدة إبّان الفترة الاستعماريّة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعلّ السرّ الكامن من وراء تّحمّلهم الطبيعة الصّحراويّة القاسية للمنطقة يتمثّل- أساسا- في ثقافتهم الغربيّة التي تغرس فيهم منذ الصّغر روح المغامرة ولذّة الكشف عن كلّ ما هو جديد وغريب في إطار ما يسمّى بالنّزعة الغرائبيّة (L'exotisme). فمكثوا -إذن- بوادي سوف يتملّون سحر بساطتها الآسرة، ويتأمّلون - عن كثب - سرّ القوّة الّتي يملكها هذا الإنسان الذي تحدّى موات الصّحراء وأحالها جنّـــات خضراء من نخل « باسقات لها طلع نضيد» [1]. فأندريه روجيه فـــوازان (André-RogerVoisin) الذي مارس التّعليم بالوادي منذ سنة 1959حتى سنة 1964 يكتب على غلاف كتابه : (le souf Monographie) شهادته عن وادي سوف، يقول في الفقرة الأولى من هذه الشّهادة: " قليلـــة هـــي المناطق الصّحراويّة التي تمنح للمتجوّلين، والسّيّاح، أولسكانها من الأصالة والجمال مثلما تمنحه سوف". وقد أورد في كتابه عددا من الكُتّاب يشاطرونه هذا الرأي في كتاباتهم عن وادي سوف [2]. ومن أبرز هؤلاء الكاتبة إيزابيل إبرهاردت [*] (isabelle Eberhardt) والكاتب أندريه جيـــد** (André Gide) الذي دخل الوادي أول مرة على ظهر جمل، ثم عاد إليها في أفريل من عام 1942 على مـــتن سيارة [3] .

---

[1] قرآن كريم (سورة ق الآية:90)

[2] ينظر : A/ R. Voisin, le souf , monographie, p314.

[3] Ibid.p :14

[*]ولدت "إيزابيل إبرهاردت" الروسية الأصل بتاريخ17فيفري 1877 بجنيف وتربت على يد كفيلها وأستاذها : "الكسندر أتروفيموسكي ". جائت إلى عنابة خلال شهر ماي 1897 مع أمها التي اعتنقت الإسلام وتوفيت يوم 28 نوفمبر 1897 وصلت إيزابيل إلى الوادي يوم 04 أوت 1899 .وغادرتها لتعود إليها بعد عام أي في 04 أوت 1900 برغبة الإقامة الدائمة لإنبهارها بطبيعة المنطقة وحسن أخلاق أهلها. فأقامت بمسكن شعبي بحي أولاد حمد. اعتنقت الإسلام بالوادي عن طريق زاوية الشيخ الهاشمي كما تعرفت بالصبايحي سليمان هني وتزوجته. طردتها السلطات الإستعمارية يوم 18 جانفي 1901 لعلاقتها الحميمة بالمواطنين توفيت يوم 21 أكتوبر 1904 بعين الصفراء.كتبت الكثير من الكتب منها: (Mes journaliers). (Dans l'ombre chaude de l'islam) (Au pays des sables).(ينظر: بلعرج بوداود، إيزابيل إبرهاردت- الفارسة التي عشقت الثورة الجزائرية، جريدة المجاهد الأسبوعي، الجزائر العدد 2345، جويلية 2005 ،ص- ص 13,12.

[**] أندريه جيد (1869 -1951) أديب فرنسي من أشهر كتاب القصة ومن أنصار التحرر الفكري والأخلاقي مؤلفاته كثيرة منها :" قوت الأرض" و " المستهتر" و " الباب الضيق" و " مزيفو العملة " و " يوميات " ،جائزة نوبل 1947 (نقلا عن المنجد في اللغة والأعلام ص 209) دار المشرق، بيروت، ط31، 1991 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصـــــل الأول:

هـــوية اللغـــــز الشعـــبي

- التمهيـــــد

أوّلا: المفهـــوم

ثانـــيا: النشـــأة

ثالـــثا: التطـــور

رابعا: الوظيفـــة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هوُيـــّة اللّغـــز الشّعبي.

تمهـــــيد:

يعالج هذا الفصل هوُيّة اللغز الشّعبي باعتبارها مدخلاً ضروريًّا تمليه منهجيّة هذا البحـــث، ذلـــك أنّ تحديد الهُويّة بعناصرها الأساسية من البداية، من شأنه أن يعرّفنا بطبيعة الأرضيّة الّتي سيسير عليها البحث إلى نهايته. و من البديهي أنّ تحديد الهُويّة في أيّ جنس أدبّي يسبق دراسة موضوعاته وبنيـــته الفنـــيّة.

و سنحاول من خلال هذا الفصل، أن نجيب عن جملة من التساؤلات تعكس أهّم الإشكاليّات الّـــتي يطرحُها موضوع الهُوّية بعناصره الأساسيّة وهي:المفهوم، النشأة، التطوّر، والوظيفة، مرجئين التّفـــصيل في الخصائص الأسلوبيّة إلى الفصل الأخير، فلا نتناولها في هذا الفصل إلاّ عبر إشارا ت مجملة عند تحديد مفهوم اللّغزالشّعبي.

فهذه العناصر الأربعـــة هي التّي رأينا - بحسب اجتـــهادنا - أنّها تُمثّل أهمّ مكوّنات الهوّية بالنسبة للّغز الشّعبي.

ويمكننا صياغة تلك التساؤلات المتعلّقة بهذه العناصرعلى النّحوالآتي:

- ما مفهوم اللّغزلغة واصطلاحا؟، وهل أنّ مفهومه في الأدب الشّعبي يختلف عـــن مفهومـــه في الأدب الرّسمي؟، و ما هي المعايير المعتمدة في التّمييز بين المفهومين؟، أهي اللّغة، أم الموضوع، أم الوظيفة؟ وماذا عن نشأة اللّغز الشّعبي و أسبابها؟، و ما علاقة نشأته بنشأة باقي الأجناس الـــشعبية ولاســـيّماالأجناس السّردية الّتي يُوظّف فيها اللّغز الشّعبي كالحكاية الخرافيّة والسّيرة الشعبيّة وغيرهما ؟ ، وهل نشأ مـــستقلاّ ثم وُظّف فيها؟ أم نشأ داخل بنيتها، ثم استُخلص منها ليؤدّي وظائف أخرى خارج النّسق السّردي؟.

- والنشأة تستدعي التطوّر، فما مفهوم التطوّرالأدبي و مجالاته؟، و مـــاهي أهـــمّ العوامـــل المتحكمـــة في تطوّراللّغزالشّعبي؟، و ماعلاقة تلك العوامل بالبعد الوظيفيّ للّغزسواء في شكله المستقل، أوفي تناصّـــه مع الأجناس السّردية المذكورة آنفًا ؟، و ما السّر في كون الألغاز الشّعبيّة تُعَدُّ – الآن - أقـــلّ تـــداولا من باقي الأجناس الأدبية كالشّعر و الأمثـــــــال؟.

- و ماذا نعني بالوظيفة في مجال الأدب؟، و ما هِي الوظائف التي يؤدّيها اللّغز الشّعبي داخل المجتمـــع الذي يتداوله؟ وهل وظيفة اللّغز مستقلاّ تختلف عن وظيفته داخل النّسيج السّردي؟.

لعلّ هذه التّساؤلات وغيرها ممّا قد يُطرح في ثنايا هذا الفصل، تنيرلنـــا طريـــق البحـــث في هُويّـــة اللّغزالشّعبي من خلال عناصرها الأربعة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوّلا: مفهوم اللّغز الشّعبي:

* دلالة اللّغز لغة واصطلاحًا:

أ)- لغـــــة:

ألغز الكلام و ألغرفيه:عَمَّى مُرادَه و أضمره على خلاف ما أظهره...واللُّغْزَ، واللُّغُزُ، و اللَّغَزُ: مـــا أُلغز من كـــلام فشُبه معناه...و اللُّغَزُ: الكلام الملُبَس. و قـــد ألغز في كلامه، يُلغز إلغـــــازًا: إذا ورَّى فيه و عرّض ليخفى. والجمع ألغـــاز. و تُطلق اللّفظة أيضًا على جحر اليربوع "يقال: ألغز اليربوع إلغازًا إذا حفر لنفسه طريقا تكونُ ذات جهتين أو أكثر يدخل من جهة، فإذا طلبه البدويّ بعصاه من جانب، نفق من الجانب الآخر. فالألغاز طرق تلتوي و تَشْكُل على سالكها ثمَّ استعير لمعاريض الكلام و ملاحته" [1].

ب)- اصطلاحًا:

اللّغز جنس أدبيّ يصاغ في قالب شعريّ أو نثريّ يتّسم بالتعمية و الغموض والالتواء في بنيته التعبيريّـــة، يُلقى في شكل سؤال عن شيء تذكر بعض صفاته البعيدة أو القريبة، أو من خلال عناصر لها وجه شبه بالمقصود، أو بأسرار المعنى المراد الّذي أبهمته التّعمية في الكلام أو في الأسماء والأفعال [2].

و من الألفاظ التّي غالبا ما تقترن بالألغاز لفظه" الأحاجي" [3] ، و لعلّها – بذلك- تُعدّ من أقـــرب مرادفاتها و قد يكون من تمام الفائدة أن نعرّج قليلا على الدلالـــة اللّغوية لهذه اللّفظة، جاء في"لـــسان العرب" في مـــادة (حجا) ما يأتي.

حِجَا: مقصور هو العقل و الفطنة... و الجمع : أحجاء. و كلمة محجية: مخالفة المعنى للفـــظ. و هي الأُحجيـــة و الأُحجُوَة... قـــال الأزهري: والياء أحسن...و قـــد حاجيته محاجاة و حجاءً: فاطنتـــــه فحجوته ...و الأُحجية - (وجمعها أحاجي)– و الحجيا:هي لعبة و أغلوطة يتعاطاها النـــاس بينهم [4].

---

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج 3 مادة (لغز)، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.ص- ص377,376 .

[2] رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د .ت، ص85 .

[3] ينظر: أحمد الشيخ، كتب الألغاز و الأحاجي اللغويّة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته ، ليبيـــا ، ط 2 ، 1988 (و في قائمة مصادره و مراجعه عدد من العناونين قرنت بين الألغاز و الأحاجي) .

[4] ينظر: ابن منظور، المرجع السّابق ، المجلد 1، ص- ص 578، 579 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و إذا نظرنا في الدلالة اللّغويّة لكلّ من اللّغز والأُحجية، نرى أنّهما يشتركان في عدّة أوجه: فكلاهما يتطلّب قدرا كبيرا من الرّياضة الذّهنيّة بحثا عن الحلّ و فكّ الرّموز. ذلك أنّهما يدلاّن - بالقدر نفسه- على مقدار ما يتمتّع به مبدعهما والمجيب عنهما من عقل و فطنة و ذكاء على حد سواء.

وكلاهما- أيضا- يعتمد على تعمية المعنى بما لا يدل عليه ظاهر لفظه، كما أنَّ كُلاًّ منهما يُعدُّ - في النهاية – لعبةً أو تسليةً يتعاطاها الناس فيما بينهم.

والذي نحبّ أن نؤكدّ عليه - في هذا المقام - أنَّ معاني الغموض، و التَّعمية ، والالتباس، و الالتواء، و ما إلى ذلك من شبيهاتها في الدّلالة، تُعدّ من الخصائص اللاّزمة للّغز باعتبار أنَّ الإلغاز غاية مقصودة عن طريق تعقيد الدوال في ذاتها [1]. و يبرّر بعض الباحثين هذا الطابع الإلغازي من منطلق أنّ اللّغز لغة العارفين و الحكماء، يختارون من الشّئ صفاته الأبعد، أوالّتي تثير شيئا من الالتباس لتكوين لغزهم ، ثمّ يطرحونه على الآخرين بهدف امتحانهم" [2]ومعلوم أنّ هذا المفهوم ينطق على طراز خاصّ من الألغاز يمكننا نعته بأنّه الطراز الأرفع باعتبار أنّ هذه الألغاز غالبا ما تكون بديعة محكمة في معانيها ومبانيها على السّواء. فالألغاز- بوجه عام- منها " نوع خفيف يختّص بالمجالس و المفاكهات يقتصر فيه غالبا على ذكر الصّفات القريبة للشّئ المسؤول عنه. و يستطيع الاهتداء للحلّ كلّ ذي نباهة و ذكاء. و نوع معقّد تُذكر فيه صفات المسؤول عنه البعيدة ، فيصعب حلّه إلاّ على من كان يمتلك ذكاء خاصّا" [3] . و اللّغز بوصفه جنسا أدبيّا عالميّا عرفته مختلف الآداب و اللّغات منذ القدم ، يفترض - من هذا المنطلق – أن تكون دلالته اللّغويّة، و الاصطلاحيّة ، عبر تلك الآداب و اللّغات مطابقة أو- على الأقل- مشابهة لدلالته في اللّغة العربيّة.

و من هذا المنظور، ارتأينا أن نتوسّع – بعض الشيء - في مفهوم اللّغز بالاطّلاع على بعض ما ورد عن مفهومه ، و تعريفه، و أنواعه في اللّغات و الآداب الأجنبيّة و في هذا السّياق، اخترنا الفرنسيّة لقربها منا. وردت في بعض المعاجم و القواميس الفرنسية التي اطّلعنا عليها عدة مصطلحات لعلّه بالإمكان إدراجها جميعا في الحقل الدلالي الخاص بالألغاز و من هذه المصطلحات[4].

enigme,devinette, charade , logogriphe ,périphrase, Allégorie

---

[1] ينظر: إبراهيم رُمّاني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1991، ص 93 .

[2] د. طلال حرب، أوليّة النص، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات و النشر و التّوزيع، بيروت، ط 1، 1999، ص154 .

[3] محمّد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التّونسية للنشر، 1967، ص- ص42 ، 43 .

[4] ينظر: Joëlle Gardes tamine , Marie Claude Hvbert: Critica_ Dictionnaire de Critique littéraire CERES - Editions ,1998 , P- P 99 , 100 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و أوّل ما يمكن ملاحظته إزاء هذه المصطلحات أنها قد ذكرت جميعها في معـــرض تحديـــد مفهـــوم المصطلح الأوّل: (enigme) ممّا يعني أنّه هو الأصل و البقية قد تعد فروعا، أو أقساما، أو أنواعا له.

و ممّا جاء في تعريفه ما خلاصة ترجمته: هو جنس شعري....يأخذ طابع اللّعـــب أو المـــرح الّـــذي يتعاطاه المجتمع فيما بينه مثل(La devinette). و هذا المصطلح الأخير(devinette) يعرّف بأنّـــه عبارة عن سؤال مرح يُطلب من أحـــد - بطريق اللّعب - أن يجـــد حلاّ له [1].

و بالموازنة المباشرة بين التّعريفين السّابقين ، نلاحظ صفة مشتركة تجمع بينـــهما و هـــي إحتـــواء المصطلحين (enigme) ، (devinette) على طابع اللّعب أو المرح، ممّا يعني أنّ هذه الخاصية قـــد تكون من لوازم اللّغز في معظم وجوهه و في هذا السّياق، تقول باحثة متخصّـــصة في الأدب الـــشّعبي " على أنّ اللّغز فضلا عن ذلك يحتوي على عنصر الفكاهة، الّتي تـــنجم عـــن احتـــواء اللّغـــز لعنـــصر المفاجأة " [2].

و إذا عدنا إلى تعريف المصطلح الأوّل (enigme) – و هو اللّغز في العربيّة- يلفت إنتباهنا ربطه المباشر بالشّعر " هو جنس شعري (Genre poétique) ". و لعلّ في هذا - مجرّد إشارة - إلى أحد أشكال اللّغز الذي يصاغ في قالب شعريّ. بدليل أنّ ذات المعجم" critica " في ذات التّعريف يـــشير إلى سعة دلالة اللّغز التي تطلق على كلّ كلام يُقدّم فيه شيء أو يُعرّف بطريقة غامـــضة تعتمـــد علـــى الإخفاء و التعمية من خلال الاستعارة أو غيرها من طرق التّعبير الملتويـــة [3].

وممّادفعنا إلى البحث عن مفهوم اللغّزفي اللّغةالفرنسيّةمالاحظناه من تميـــيزغـــيرموفـــّق- في نظـــرنا- بين مصطلحي: (enigme) و (devinette) في كتاب"حكايات صحراوية من سوف" "contes sahariens du souf" حيث خصصت الكاتبة مصطلح (l'Enigme) .بما يطلق عليه اسم الحكاية اللّغزية [4].

بيد أنّنا لم نجد مثل هذا التّخصيص فيما عرضناه من تعريفات استخلصناها من المعاجم والقـــواميس الفرنسيّة المشار إليها آنفا.

---

[1] ينظر: Le petit Larousse illustré, 1998, Editions Larousse , Belgique , 1997, P 330

[2] ينظر: د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبيّ، دار غريب للطباعة و النشر و التّوزيع القـــاهرة، ط 3 ،1981، ص191.

[3] ينظر: Critica.opcit, p.100

[4] ينظر:سعيدي محمّد، الأدب الشّعبي بين النظريّة والتّطبيق، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1998، ص- ص 63 ، 64 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمَّا باقي الألغاز غير المرتبطة بحكايات محدّدة، فقد أوردها الكاتبة ضمن مصلح (devinette)، و من بين الألغاز الشّعبيّة الّتي ذكرتُها في هذا الإطار اللّغز الآتي: "عبد الصمد قال: ياقابس، بعيني شفت النوّار فوق العود اليابس" [1].

(الحل: القرآن الكريم فوق اللّوح).

أمّا تعدد المصطلحات المتعلقة بمفهوم اللّغز في اللّغة الفرنسية فلعلّ فيه دلالة – كما أشرنا فيما سبق – إلى مختلف الفروعّ، و الأقسام ، والأشكال، و حتى الصفات التي تعود - في النهاية – إلى أصل واحد . و الأصل الواحد - حسب اجتهادنا- في الفرنسيّة هو: (Enigmes) et (Devinettes) وهو ما يقابل - عندنا- في العربيّة ثنائيّة: "الألغاز و الأحاجي". و هذا التعدد و التنوع في معاني اللّغز و دلالاته لا يختص – فيما يبدو- بلغة دون أخرى .

ففي اللّغة العربيّة تطلق على اللّغز أسماء عديدة منها." المعاياة، و العويص، و الرّمز، والمحاجات، و أبيات المعاني، و الملاحن، و المرموس، و التأويل، و الكناية، و التعويض، و الإشارة، و التّوجيه، والمُعمّى، و الممثّل " [2].

و هذا الطابع التعددّي ينطبق كذلك على الألغاز الشّعبيّة التي تنوّعت تسمياتها بحسب المناطق والبيئات الّتي تُتداول فيها. و لعلّ من أشهر هذه التّسميات: الحزّورات و الفوازير و الحُذور[3].

و في عاميّتنا الجزائرية يطلق مع اللّغز اسم" الحجاية" أو" الخرافة" كما في منطقة سوف.

أقسام اللّغز:

و يقسمّ اللّغز- بوجه عام - إلى قسمين[4]:

1- اللّغز المعنويّ: و هو ما يشار فيه إلى موصوف بمجرّد ذكر صفاته الذاتية كقول الشّاعر ملغزا في القلم:

- وذي خضوع راكع ساجد * و دمعه من جفنه جاري.
- ملازم الخمس لأوقاتها * مجتهد في خدمة الباري .

---

(1) ينظر: J .scelles millie ,Contes Sahariense Du souf ، P-P.171- 189

(2) ينظر: أحمد محمّد الشيخ،كتب الألغاز و الأحاجي اللغوية، مرجع سابق، ص 20 .

(3) ينظر: شوقي عبد الحكيم، الحكاية الشّعبية العربيّة، دار ابن خلدون ، بيروت ، ط 1 ، 1980 ، ص 121 .

(4) ينظر: عطا رفعت، الألغاز و الحزر الشعبية بين الماضي و الحاضر، مجلة التراث الشعبي، وزارة الإعلام، العراق، العدد8، السنة8، 1977، ص 98 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 - **اللّغز اللّفظي:** و هو ما يشار فيه إلى الموصوف بذكر كلمات تتضمّن اسمه أو بعض أحرفه تضمينا خفيّا كقول الشّاعر علي بن الخبّار ملغزا في الجوز.

- ما اسم شيء يوليك نفعا إذا ما * أنت أوليته فعالا عَسُوفاً.

- هو فرد الحروف إن جاء طردا * و هو زوج إذا عكست الحروفا.

و يكون اللّغز - في عمومه – منظوما، أو مسجوعا، أو عاديّا. و تنطبق هذه الأشكال الثلاثة على اللّغز الشّعبي و اللّغز الفصيح سواء بسواء. و النماذج الدّالة على ذلك كثيرة. فمن الفصيح المنظوم نكتفي - هاهنا- بالنموذجين المذكورين. أما الفصيح المسجوع، فمن أبرز مظانّه فنّ المقامات المعروف بإسرافه في استعمال السّجع و سائر الزخارف البديعيّة و البيانيّة .

ففي " المقامة القهقرّية " للحريريّ ورد هذا اللّغز المسجوع الذي طال متن سؤاله قليلا فيما أسرف متن جوابه طولا. و مما جاء في سؤاله قول صاحبه :

" أتعرفون رسالة أرضها سماؤها، و صبحها مساؤها، نسحب على منوالين، و تجلت في لونين... الخ

و نختار من جوابه المقاطع الاتية:

" الإنسان صنيعة الإحسان ... و استعمال المداراة يوجب المصافاة... و سوء الطمع يباين الورع... و تطلّب المثالب شرّ المعايب... و تتبّع العثرات يدحض المودّات.. الخ [1].

و هناك ألغاز فصيحة عادية بلانظم و لا تسجيع كاللّغز الذّي ينسب إلى امرىء القيس إذيروى أنّه آلى على نفسه ألاّ يتزوّج امرأة حتّى يسألها عن ثمانية و أربعة و اثنين، فجعل يخطب النّساء، فإذا سألهنّ عن هذا قلن: أربعة عشر. و في نهاية المطاف ، التقى برجل يحمل ابنةً له صغيرة كأنّها البدر لتمه فأعجبته ، فسألها، ياجارية : ماثمانية و أربعة و اثنان؟

فقالت: أما الثمانية فأطباء الكلية ، وأما أربعة فأخلاف الناقة، و أما اثنان فثديا المراة فخطبها من أبيها، فزوجه إيّاها [2]. هذا عن الألغاز الفصيحة منظومة و مسجوعة و عادية. أمَّا مثيلاتها في الأدب الشّعبي ، فهي كثيرة و متنوّعة. فمن المنظوم نستشهد بلغز طريف مشهور ارتبط بقصّة تُنسب إلى عبد الصّمد الشّابّي الّذي عُرف ببراعته الفائقة في إبداع الألغاز الشّعبية. و لقد ورد هذا اللّغز في شكل حوار دار بين عبد الصّمد و ابنه خُتمت به القصّة. و هذا نصّه:

الأب: واش يغلب الجبال الوعور؟ * الابن: يغلبها السيل المحدور.

الأب: واش يغلب السيل المحدور؟ * الابن: يغلبه العوامي الوعور.

---

[1] ينظر: أبو محمّد القاسم الحريري، المقامات، ج1، موفم للنشر ، 1989،ص 246 .

[2] ينظر: أحمد محمّد الشّخ ، المرجع السّابق، ص 78 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأب: واش يغلب العوامي الوعور؟ * الابن: يغلبها البعـــير الفحول.

الأب: واش يغلب البعـــير الفحول؟ * الابن: تغلبـــها الرجال البطول.

الأب: واش يغلب الرجـــال البطول؟ * الابن: يغلبها النســـاء بالفـــجور.

الأب: واش يغلب النساء بالفـــجور؟ * الابن: يغلـــبها غمّـــادة القبـــور.

يابابا عاقبني و الاّ خلّيني انثور[1].

أمّا الألغاز الشعبيّة المسجوعة، فهي كثيرة جدّا ، ويبدو أنها تمثّل الحجم الأكبر. ولعلّ السبّب في ذلك يعود إلى كونها وسطا بين المنظوم الّذي لا يستطيع - في الغالب - نظمه وحفظه إلاّ القليل، والعـــادي الذي لايشكّل سوى نسبة ضئيلة لضعف بنيته التّعبيريّة التي لا تعكس تمكنّا من ناحية فنّ القول الشّعبي، كما أنّ خلوّه من النّظم والسّجع لا يساعد على حفظه و تداوله. و هـــذه بعـــض الألغـــاز الـــشّعبية المسجوعة:

-" ا توضّى ما صلّى و لبس ماخلّى و راح ما ولّى" (الميّت).

-" أم لعزاز و الرّيش داير بيها، تعطيني كنوز الدنيا و مانفرّط فيها " (العين).

-" خضراء في رباطها حمراء في نباتها، وكان كذبتوني انشدوا مولاتها " (الحنّاء-الخضاب).

و من الألغاز الشعبية ذات الصياغة العادية نذكر:

- إذا مشى ما يبعّد، و إذا وقف ما يتعب (الباب).

- طويلة بلاظل (الثنيّة- الطريق).

- اللّحم الْدَاخل و العظم الْبَرّا (البيضة). و الآن، بعد أن قدّمنا لمحة عامّة عن الدلالـــة اللّغويّـــة و الاصطلاحيّة للّغز، و ذكرنا بعض أقسامه وأشكاله في اللّغتين العربيّة و الفرنسيّة ، ثمّ أتبعنـــا ذلـــك بنماذج متنوّعة من الألغاز الفصيحة و الشّعبيّة. بعد هذا كلّه، نعرض فيما يأتي تعريفا للّغـــز- بـــشكل عام- لنناقش بعده الإشكاليّة الّتي طرحناها في بداية هذا الفصل حول مفهوم اللّغز بين الأدبين: الـــشعبي و الرّسمي. و هذا نصّ التّعريف: " أمّا الألغاز، فهي هذه الكلمات المسجوعة و المنظومـــة الـــتي تُلقـــي في المجالس العامّة و الخاصّة في قالب أسئلة يختبر بها الناس ذكاء بعضهم. و القاعدة فيها أن يُورَد اللّغـــز في شبه سؤال منظوم أو مسجوع عن شي ء تُذكر صفاته البعيدة، أو القريبة، ومن تلك الصّفات يستطيع المسؤول بإعمال شيء من الفكر الاهـــتداء إلى موضوع السّؤال " [2].

---

[1] ينظر: بن علي محمّد الصّالح، الألغاز الشّعبية - (230 لغزا) – في وادي سوف ، سلسلة الثقافة الشّعبيّة (2)، ط1، 1998،ص7.

[2] محمّد المرزوقي، الأدب الشّعبي، مرجع سابق، ص 42 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و الملاحظ في هذا التّعريف أنّه اشتمل على مفهوم اللّـغز- بوجه عـام - و أشار إشـارة عـابرة إلىوظيفـته عند قوله" يختـبر بها الناس ذكاء بعضهـم". و ما يؤخـذ على هذا التّعريف أنـّه حصر الألغاز في الكلمات المسجوعة و المنظومة على حين تبيّن لنا، فى الأسطر السابقة، أنّ من الألغاز الفصيحة و الشّعبيّة ما يصاغ في قالب عاديّ بعيدا عن النظم و السّجع. كما يؤخذ عليه - أيضا- إغفاله لبعـد وظيفيّ هامّ يضطلع به اللّغز و هو البعد الفكاهي المرح من خلال الرّياضة اللّغويّة الذهنيّة. وهذا ما أشرنا إليه آنفا عند استعراضنا لمفهوم اللّغز و تعريفه في اللّغتين العربيّة و الفرنسيّة على حدّ سواء. و هذا التّعليق أردنا من خلاله التنبيه إلى بعض المعاني التي لم ترد في التّعريف السّابق حتّى تكـون الـصّورة أوضـح، والمفهوم أشمل قدر الإمكان.

نحاول – الآن - أن نناقش الإشكاليّة السّابقة التي أثرناها في شكل تساؤل حول اللّغز بـين الأدب الرسمي و الأدب الشّعبي، أو بعبارة أخرى: ما الفرق بين اللّغز الشّعبي و اللّغز الفصيح؟ و ما هي المعايير المعتمدة في التمييز بين المفهومين؟ أهي اللّغة، أم الموضوع، أم الوظيفة؟ و لعلّه غير خاف أنّ نصّ التساؤل يشي بالفرضيّة الّتي نرجّحها في هذا الصّدد. فعبارة " اللّغز الفصيح" تشير إلى عامل اللّغة، كما أنّ معيار اللّغة قُدِّم في نص التساؤل على المعايير الأخرى.

و سنحاول التحقق من هذه الفرضية من خلال المناقشة الآتية:

إذا تأملنا التّعريفات و الدّلالات اللّغويّة و الاصطلاحيّة الّتي سقناها حول مفهوم اللّغـز، يتأكـدّ لنـا أنّ العناصر الأساسيّة في المفهوم من غموض و التباس و تعمية و التواء على مستوى الذات و الـصّفات والمعاني المتعلّقة بالشي ء الذي يدور حوله اللّغز بالإضافة إلى روح الفكاهة والمرح التي يُشيعها.. هـذه العناصر المصاحبة للّغز نجدها في النوعين معا: الشعبي و الفصيح. و في النماذج الّـتي ذكرناهـا و الـتي سنذكرها لاحقا ما يدلّ على ما ذهبنا إليه. كما أنّ الأشكال التعبيريّة الثلاثة المنظومـة و المـسجوعة والعادية ألفيناها في الألغاز الشعبيّة و الألغاز الفصيحة على السّواء.

و لهذه الأسباب، يمكننا أن نرجّح فكرة مفادها أنّه لا توجد فروق ظاهرة بين اللّغز الشّعبي واللّغـز الفصيح - على الأقل - فيما يتعلّق بالخصائص والعناصر الأساسيّة الّتي تميّز مفهوم اللّغز و بنيتـه، وإذا ترجّحت لدينا هذه الفكرة، فإنّ السّؤال الذي يطرح نفسه - هاهنا- هو: كيف يـتمّ التّمييـز بـين النّوعين؟ و على أيّ أساس، و بأيّ معيار؟ و لنبدأ بمناقشة معيار الموضوع، فهل هناك موضوعات خاصّة بالألغاز الفصيحة دون الألغاز الشّعبيّة؟ أو العكس؟.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و يمكننا - في هذا السّياق - أن نزعم بأنّ الموضوعات في مجالاتها العامّة و خطوطها العريضة تُعدّ قسمة متجانسة مشتركة بين الألغاز الشعبيّة و الفصيحة. و ممّا يؤيدّ هذا الرّأي الذي ذهبنا إليه أنّ النماذج العديدة الّتي اطّلعنا عليها في كلا النوعين تعكس - إلى حدّ معتبر - اشتراكا و تشابها في الأطر العّامة للموضوعات كما أسلفنا و نقصد بالأطر العّامة عوالم المحسوسات و المجرّدات، أو عوالم الذّوات والمعاني.

فالألغاز الفصيحة تناولت هذه العوالم جميعا. وقد أشار الدارسون إلى هذه الحقيقة. يقول الباحث عطا رفعت: "وقد نظم شعراء القريض ألغازا في الحيوان و النّبات وفي أشياء أخرى، فهناك ألغاز في القلم و الكتاب و الدواة و الشبكة و الميزان و الصّدى و البيضة و الرّمح و العين و الثدي و المزلاج و غيرها" [1]. و إلى جانب ما ذُكر، هناك ألغاز تناولت مجالات علميّة مختلفة. و هذا النّوع يطلق عليه مصطلح" الألغاز الفنيّة "، « و هي تتعلّق بدقائق كلّ علم وفنّ، فظهرت الألغاز النحويّة، و الألغاز الحسابيّة، و الفقهيّة و اللّغويّة »" [2].

و فيما يأتي نماذج متنوّعة من الألغاز الفصيحة في عوالم المحسوسات [3].

1) - **العين:**
- و طائرة تطير بلاجناح * تعدُّ الطائرات و لاتطير .
- إذا ما مسّها الحجر استلذّت * و تخشى أن يلامسها الحرير.

2) - **الدواة:**
- و مرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها لبن ما لذّ قطّ لشارب.
- و في بطنها السكين والثدي رأسها * وأولادها مذخورة للنوائب.

3) – **النّار:**
- و آكله بغير فم و بطن * لها الأشجار و الحيوان قوت.
- إذا أطعمتها انتعشت و عاشت * و إن أسقيتها ماء تموت.

4) – **الهاون:**
- خبّروني أيّ شيء * أوسع ما فيه فمه.
- و ابنه في بطنه * يرفسه و يلكمه.
- و قد علا صياحه * و لم يجد من يرحمه.

---

[1] الألغاز و الحزر الشعبية..، مجلة التراث الشعبي، مرجع سابق، ص97 .

[2] أحمد محمد الشيخ، كتب الألغاز و الأحاجي اللغوية، ص 52 .

[3] ينظر: عطا رفعت، المرجع السّابق، ص 98 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و من عالم المجرّدات و المعاني، نكتفي باللّغزين الآتين[1]:

1) – **الصلوات الخمس:** - جماعة إخوان * كأنّهـــم أغصان.
- من دوحة ظليلة * و ليست في بستان.
- يظلّل ثلاثة * و قد ضحّى اثنان
- و كلّنـــا يجلّهـــم * على مدى الزّمـــان.

2) _ **الجمعـــــــــة:** - إخوانها ذكـــور * و هي أنثى وحيدة.
- و اسمها مشهور * من مـــدّة بعيـــــدة.
- أكيـــدة الحضور * ميمونـــة سعيـــدة.
- بفضلها المبـــرور * يدّعـــم رصيـــــده.

و من الألغاز اللّغوية النّحوية التي صيغت شعرا البيتان الآتيان للسّيوطي:

- ألا أيّها النحويّ إن كنت بارعا * وأنـــت لأقـــوال النّحـــاة تُفصّلُ.
- و أتقنت أبواب الأحاجي بأسرها * ابن لي عن حرف يُولّى و يَعزلُ.

- قال ابن هشام في (تذكرته): "ما" تُوَلّى و تعزل، فتُوَلّى حيث تجزم بعد إن لم تكن جازمة، و تعزل إن و أخواتها و تكفّها عن العمل[2]. وللمرحوم، الشيخ على جديد لغز لغويّ طريف حول الهمزة يقول فيه: - هيّنـــة صغيـــرة * لكنّها خطـــــــيرة.
- تزور في مسائنا * و ليس في الظهيرة.
- و تركب ثلاثـــة * من خيلنا الشهيرة.

و من الألغاز النحويَّة النّثرية اللّغزان الآتيان للحريريّ [3]:

1) - " ما العامل الذي يتّصل آخره بأوّله، ويعمل معكوسة مثل عمله؟. الجواب: (يا) في النداء فإنّـــه عامل النّصب في المنادى و هو حرفان، فآخره متّصل بأوّله، و معكوسة و هو (أي) حرف نداء أيضا ".

2) - " و أين تلبس الذكران براقع النّسوان، و تبرز ربّات الحجال بعمائم الرّجال؟. الجواب: باب العدد من الثلاثة الى العشرة تثبت التّاء فيه في المذكّر، و تحذف في المؤنـــّث".

---

[1] هذان اللّغزان من نظم المرحوم الشيخ علي جديد (1936-2004) عاش بالبيّاضة - محل إقامتي- و قد كان معلّمـــا عـــصاميّ التكوين، كثير المطالعة، عُرف بحبّه الكبير للّغة العربيّة و آدابها، ترك أشعارا و ألغازا عديدة و متنوّعة هي الآن بحوزة أبنائه، ولديّ عدد من ألغازه الفصيحة طلبتها من لدن ابنته هدى و هي أستاذة زميلة .

[2] ينظر: السّيوطي، الألغاز النّحويّة، جمع و تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليّات الأزهريَّة، 1978، ص36 .

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 2 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعلّ في هذه النّماذج الّتي أوردناهاكفاية في الدّلالةعلىتناول الألغازالفصيحةلمختلف الأشياء في عوالم المحسوسات و المجرّدات و اللّغويّات فهل لهذه العوالم المختلفة نصيب في الألغاز الشّعبيّة؟ هذا ما سنعرفه من خلال النماذج الآتية:

فالمحسوسات في الألغاز الشّعبيّة كثيرة غزيرة نذكر منها:

1) - " حكّة لولبيّة مغطاها شعر، تستحي من الشمس و تقابل القمر" (العين).

2) - " بعيرنا بارك ووليداته تتعارك " (النّار).

3) - " أرض من خشب، وزرعها من ذهب، و محراثها من قصب" (اللّوح و القرآن القلم).

4) - " عبد الصّمد قال كلمات اصنّتوا ياشهودي، بعيني شفت ستّه في كرش بنت ليهودى " (البندقية، "السّتاتي").

أمَّا الألغاز الشّعبيّة التي عالجت أشياء من عالم المعاني، فهي محدودة نسبيّا لارتباط الخيال الشّعبي بالأشياء المحسوسة أكثر من ارتباطه بالمعاني المجرّدة. وفيما يأتي بعض الشواهد من الألغاز الشّعبيّة " المعنوية " - إن صحّت التّسمية -:

1) -" تبدأ بالصّاد و الصّاد شجرة متينة فيها خمسة اغْصان : ثلاثة في الظلّ و اثنين في الشمس ديمة [*] (الصلوات الخمس).

2) -" عبد الصّمد قال كلمات، اصنّتوا يا شهود لَنْثَى شَرِيفَه و الذّكر يهودي" (الجمعة و السبت).

3) -" زوج أخوات مولدات في دشرة، واحدة تجيب بالواحد، وواحدة تجيب بالعشرة (الحسنة والسيئة).

4) -" عللّي تشبحه[**] و ماتلقاش يرد الميّت حي، و ماتوجداش" (الرؤيا في المنام).

أمّا المسائل اللّغويّة، فمن البديهيّ ألاّ تتناولها الألغاز الشّعبيّة لأنّ الألغاز اللّغويّة الفصيحة نفسها صادرة – في الغالب- عن علماء في اللّغة و النّحو، و لا يعقل أن يطلب من العقليّة الشّعبيّة أن تبدع مايخرج عن حدود قدرتها إذ أنّ فاقد الشيء لا يعطيه.كما أنّ تفشّي الأميّة ومحدوديّة المستوى التّعليمي الذي لا يكاد يتجاوز دائرة التّعليم القرآني في الكتاتيب. كلّ ذلك لم يكن ليسمح بتداول ألغاز شعبيّة من ذلك القبيل.

---

[*] ديمة أي: دائما .

[**] عللّي تشبحه: عن الذي تراه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومع ذلك كلّه، اجتهدت العقليّة الشّعبيّة في تداول بعض الألغاز التي تعتمد على لعبة الحروف استثمارا للمُتاح العلمي و الثقافي آنذاك، و قد مرّ بنا لغز شعبيّ عن الصّلاة يعتمد سؤاله على الحرف الأوّل للكلمة " الصاد" و مثله هذا اللّغز عن الساعة: " تبدأ بالسّين لا هي سلسلة و لا هي سكّين، ولا هي ساقية تجري بماها، ما تحكم بحكم السلاطين، كان بالحكم اللّي يرضاها ". ومن الألغاز الّتي تناولت الحروف في حدّ ذاتها هذا اللّغز الذي يشير إلى أوجه الشبه و الاختلاف بين حرفي، السين و الشين. وهذا نصُه: " ثلاثة وثلاثة في الحالة مشبوهين، ثلاثة ولدو ثلاثة، وثلاثة خرجوا حيل[*] " .

والنتّيجة التي يمكننا أن نخرج بها بعد إيراد هذه الشّواهد و النماذج المتنوّعة من الألغاز الفصيحة، و الألغاز الشّعبيّة، هي ما أشرنا إليه سلفا. بخصوص الاشتراك و التشابه بين النوعين:

الفصيح و الشعبي على مستوى الأطر العامّة للموضوعات، وقد أكدّت لنا تلك النماذج المختارة هذه الحقيقة على صعيد المحسوسات و المجرّدات سواء بسواء .

و لعلّ القارىء قد لاحظ أنّنا حرصنا على أن تكون محاور الألغاز المختارة من كلا النّوعين متطابقة أو- على الأقلّ- متقاربة، فالألغاز الفصيحة دارت حول العين، والدواة، والنّار، والهاون، والصلوات الخمس، والجمعة وكذلك الألغاز الشعبية، فقد تناولت العين، واللّوح والقرآن والقلم (في مقابل الدواة هناك)، والبندقيّة، والصّلوات الخمس، والجمعة والسّبت، وقد أضفنا إليها من ذوات المعاني الحسنة والسّيئة، والرؤيا.

و بناء على ما تقدّم، يمكننا أن نقررّ أنّ معيار الموضوع أو الموضوعات لا يصحّ أن يُعتمد أساسا للتّمييز بين اللّغز الشّعبي واللّغز الفصيح. أمّا معيار الوظيفة، فلن نسهب- هاهنا – في مناقشته لأنّ البعد الوظيفيّ للّغز قد أفردنا له مبحثا مستقلاّ ضمن هذا الفصل، وفي هذا السّياق، نشير إلى وظيفتين أساسيّتين يتّفق عليهما الباحثون في فنّ الألغاز: 1)- وظيفة التّعليم و التّثقيف. 2)- وظيفة التّسلية والتّرفية. و لو أعدنا قراءة النّماذج الفصيحة و الشّعبية التي ذكرناها آنفا، للاحظنا الوظيفتين كلتيهما، فالوظيفة التّعليميّة التّثقيفيّة في الألغاز اللّغويّة- على سبيل المثال- لا تحتاج إلى بيان و تأكيد، و كذلك الوظيفة التّرفيهيّة، ذلك أنّ الألغاز - في عمومها- تشتمل على روح المرح و الفكاهة كما أوضحنا سابقا. و يجدر التنبيه - هاهنا- إلى أنّ وظيفة التّعليم و التّثقيف لا تقتصر على الألغاز اللغويّة فحسب ، بل تشمل الألغاز جميعا باعتبارها تمتحن الذكاء و تُنمّيه في آن واحد، كما تدرّب العقل على دقّة الملاحظة، و ربط العلاقات بين الأشياء . و في ضوء هذا البيان، بإمكاننا أن نقرّر- أيضا – أنّ معيار الوظيفة لايكون أساسا صحيحا للتّمييز بين الألغاز الشّعبيّة و الألغاز الفصيحة.

---

[*] حيل: جمع حايل ، و هي صفة لغير الحامل من الماعز و نحوها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و في المحصّلة النّهائيّة لهذه المناقشة الّتي تناولت إشكاليّة التّمييز بين اللّغز االشّعبي و اللّغـــز الفـــصيح، اتّضح لنا أنّ معيار الموضوع و معيار الوظيفة كليهما لا يصحّ أن يُعتمدا أساسين للتّمييز بـــين النّـــوعين المذكورين. فلم يبق أمامنا – إذن – إلّا معيار اللّغة. فاللّغز الفصيح – بوجه عام – خطاب لغويّ يتّخذ الفصحى أداة للتّعبير، و اللّغز الشّعبي خطاب لغويّ يعتمد على العاميّة في بنيته التّعبيريّة.

و تجدر الإشارة - في هذا الصدد- أنّ مجرّد الاعتماد على الفصحى لا يمنح اللّغز الفـــصيح تفوّقـــا "مجانيّا" في درجة البلاغة و جماليّات الأسلوب فقد يكون اللّغز الشّعبي أبلغ و أجمل بقدر كـــبير، ذلـــك أنّ المعيار الحقيقيّ لقياس مستوى البلاغة و الجمال الفنّي لا يُعنى باللّغة في ذاتها، بل بطريقـــة توظيفهـــا لتؤدّي دورها في الإمتاع و الإفادة و التأثير بشكل عام، فالسّرّ - إذن- ليس في مجرّد اللّغة بـــل في فـــنّ توظيف اللّغةلتتحول إلى إبداع أدبيّ يبسط سلطان جماله وتأثيره علىالمتلقّي، وهـــذا الحكـــم ينطبـــق- في تصوّرنا- على اللّغات جميعا على اختلاف مستوياتها.

ثانـــيا: نشأة اللّغز الشّعبيّ

في بداية هذا المبحث ، نودّ أن نشير الى أمرين هامّين:

- أوّلهما أنّ حديثنا عن النشأة ، في هذا السّياق - يشمل اللّغز- بوجه عام - الفصيح منـــه و الـــشّعبي علىالسّواء بناء على ماتقدّم بيانه من اشتراك و تشابه على نطاق واسع بين النوّعين.

- ثانيهما يتمثّل في حقيقة مفادها أنّ تحديد النّشأة و أسبابها لأيّ فنّ من الفنون لـــيس بـــالأمر الهـــيّن خصوصا إذا كان هذا الفنّ موغلا في القدم كالألغاز. فما سنقدّمه بهذا الشأن لا يعدو أن يكون عرضـــا مختصرا لخلاصة ما توصّل إليه الباحثون في هذا المجال ممّن تمكّننا من الاطّلاع على آرائهم و اجتهاداتهم ، مع ترجيح ما يمكن ترجيحه من تلك الآراء و الاجتهادات بناء على ما توفّر لدينا من معلومات على هذا الصّعيد. و هذه الحقيقة المتعلّقة بصعوبة تحديد النشأة و أسبابها قد أكّدها الكثير من البـــاحثين الّـــذين درسوا هذا الفنّ بنوعيه الفصيح و الشّعبيّ. قال إبراهيم بن عيسى الحوراني في كتابه: (جلاء الـــدياجي في المعميّـــات والألغازو الأحاجي): " أنّ من اطّلع علىالتّواريخ والكتب القديمة، علم بلا ريب أنّ هذا الفنّ من أقدم الفنون ولكن إلى الآن لم يُعرف واضعه و لعلّه أحد الحكماء، فإنّ قدماء الفلاسفة كـــانوا يشغلون أوقات فراغهم بالألغاز تسلية و تمرينا لكشف المعاني الغامضة... و جاء في أمثال سليمان:

" و اللّغز أقوال الحكماء و غوامضهم" و لا يُظّن من هذا أنّ ذلك الحكيم هو واضع هذا الفنّ لأنّه سمعه ممّن قبله كما ذكر في سفر القضاة " [1].

---

[1] نقلا عن (كتب الألغاز والأحاجي اللّغويّة) لأحمد محمد الشيخ، ص 62 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويبدو من هذا القول أنّ صاحبه يؤكّد قِدم فنّ اللّغز، وأنّ واضعه مجهول، و ينسبه- تخمينا- إلى أحد الحكماء الذي يكون قد سمعه ممّن قبله، فهذا كلّه يثبت ما أشرنا إليه من صعوبة تحديد النشأة. والملاحظ في هذا القول المقتبس أنّه أشار الى خصائص أساسيّة في بنية اللّغز و وظيفته.

و هي: الغموض، والتسلية، والتمرين.

و يقول باحث آخر في هذا السّياق: " ممّا لا شكّ فيه أنّ الألغاز عامّة تمسّ جانبا كبيرا من البلاغة وأبوابها، فهي بهذا الوضع تندرج في أصول اللّغة الأولى من حيث الحقيقة و المجاز، و من جانب آخر، يصبح البحث عن بدايات فرع بذاته في اللّغة من الصعوبة بمكان، و من ثمّ يصبح البحث عن تأكيد أسباب محدّدة لنشوئه مذهبا من التكلّف، و منهجا من التقحّم يفتقر إلى تقريبه الى الأذهان ناهيك بتأكيده " [1]. و هذا القول يؤكّد- أيضا- الصّعوبة البالغة التي تعترض سبيل الباحث في نشأة الألغاز و أسبابها باعتبارها – أي الألغاز – " تندرج في أصول اللّغة الأولى من حيث الحقيقة والمجاز "، و هو بهذا يشير إلى ارتباط البنية اللّغويّة للألغاز بباب كبير من أبواب البلاغة وهو الحقيقة والمجاز.

و على الرغم من إقرار الباحث أحمد محمّد الشّيخ بصعوبة تحديد النشأة و أسبابها، بيد أنّه قد اجتهد و اقتراح جملة من الأسباب لنشأة الألغاز عند العرب على وجه التّحديد، و لقد كان طرحه لها من باب الاستئناس بها - كما يقول- و هي [2]:

1 - طبيعة التّعبير:

" بحيث تزداد طبيعة التّعبير لتصل الى درجة الضّرورة ما دام الهدف إنقاذا لقبيلة و فكاكا لأسير... حيث تنعدم السّبل فلا مال يفك و لا ناصر يُغيث و لاإخوان ينصرونه، و لا رفيق فيثأر، ولا قريب فيسمع، وهذا كثير الشواهد في تاريخ العرب و لا سيّما في المعمّى و الأحاجي".

2 - طبيعة اللّغة ذاتها:

يستدل الباحث - في هذا الجانب- بما ذهب إليه جلال الدّين السّيوطي في (المزهر) إلى أنّ " العرب قالت ألغازا و لم تقصد الألغاز بها فصادف أن كانت ألغازا باعتبارها من الغريب المحتاج الى التفسير، وهو بهذا يرى أنّ اللّغة قد تستهوي أهلها و فصحاء ها إلى طَرق أبواب من التّعبير بالقول الواضح والخفي ... إذ المعوّل على هذه الألغاز كما في الملاحن و التعريص و الكناية و غيرها طبيعة هؤلاء الذّاتيّة و نفسيّتهم المتبصّرة بدقائق لغتهم".

---

[1] ينظر: أحمد محمد الشيخ، المرجع السّابق، ص- ص27 ، 28 .

[2] المرجع نفسه، ص- ص 28-30 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 - طبيعة الابتكاروالإبداع:

و هذه الطبيعة ملكة خاصّة فريدة، و موهبة فطريّة متميّزة ، يزيدها طول الممارسة و خبرات الحيـــاة قوّة وصقلا و تألّقا،فيُطبع صاحبها بطابع العبقريّة الفذّة المبتكرةفي فنّ من الفنون. "ومثال ذلك أن امرىء القيس هو أوّل من بكى الديار و وقف على الأطلال، و هو كما ذكرنا من وُصف بمعرفتـــه للأوابـــد والألغاز"." وفي عصور تالية نذكر ما يروى عن الشّاعر الحكيم أبي العلاء المعرّي و ما عُرف عنه من حبّه للتّعمية، وإلى الإغراب، وإلى سَوق الألفاظ المحمّلة بالمعاني و مؤلفّاته تشهد بهذا، حتّى ليـــذهبوا إلى أنّـــه ألّف ديوانا سمّاه (ديوان الألغاز)" [(*)].

4 - طبيعة العصور: "

و هذا السّبب إن لم يكن مباشرا في الأسباب و لكنّه منهج له إذ حتّمت عصور التّطور و النموّ العقلـــي و المعرفي إلى ضرورة ظهور هذا السّبب باعتباره هدفا لتطوّر اللّغة و وسيلة أيضا " [(1)].

و إذا كان من المطلوب التّعليق على هذه الأسباب الأربعة الّتي أوردها الباحث ، فإنّ أوّل ما نلاحظه هو حصرها في لغة العرب دون سواها من اللّغات. و لانرى - في تصوّرنا- مبرّرا مقنعا لهـــذا الحـــصر الذي يوحي أو يُفهم منه - على الأقلّ- و كأنّ طبيعة التّعبير، و طبيعة اللّغة في ذاتها، و طبيعة الابتكـــار و الإبداع، و طبيعة العصور... خاصّة بالعرب و لغتهم وحدهم. و هذا التصوّر مناف لواقع الأشـــياء، و طبيعة اللّغة، و حقائق التّاريخ جميعا.

فالسّبب الأوّل المتعلّق بطبيعة التّعبير التي " تزداد لتصل إلى درجة الضرورة ما دام الهدف إنقاذا لقبيلة و فكاكا لأسير" كما يقول الباحث، فهذا السّبب بهذا المفهوم ينطبق على الكثير مـــن " الألغـــاز الـــتي وردت إلينا مع التراث الشّعبي بصفة عامّة، و إذا ما تصفّحنا هذا التراث، وجدنا أنّ اللّغز قد ورد فيـــه بصورة مختلفة، فقد يكون اللّغز امتحانا قاسيا، ينتهي بالحياة أو الموت... و مثال ذلك " لغز أبي الهـــول" الذي يرد في ثنايا أسطورة الملك أوديب"[(2)]. فلقدكان هذا اللّغزمصدرتهديد لأهل مدينة طيبة، حتّى جاء أوديب و حلّ اللّغز، و أنقذ بذلك أهل المدينة [(3)].

[(*)] سنذكر لاحقا نماذج من ألغاز امرىء القيس .

[(1)] ينظر: أحمد محمد الشيخ، المرجع السّابق، ص 30 .

[(2)] ينظر: د. نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشّعبي، مرجع سابق، ص 204 .

[(3)] المرجع نفسه، ص 195.(سنورد لاحقا نص اللغز و جوابه...) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و السّبب الثاني:" طبيعة اللّغة ذاتها" الّتي" قد تستهوي أهلها، وفصحاءها إلى طَرق أبواب من التّعبير بالقول الواضح و الخفي" على حدّ تعبير الباحث، فهذا السّبب - أيضا- يجري حكمه على سائر اللّغات قديمهاوحديثها باعتبارأن جلّ اللّغات- إن لم تكن كلّها- على امتداد العصور قدعرفت فنّ اللّغزفي معناه العام بشكل أو بآخر.

أمّا السّبب الثالث : " طبيعة الإبداع و الابتكار"، فمن الواضح أنّ هذه الملَكة قسمة مشتركة بين مختلف الأمم عبر التّاريخ، وليست حكرا على أمّة بعينها، أو على نخبة مختارة من الأفراد دون سواهم. ففي كلّ أمّة ظهر نوابغ و حكماء و عباقرة تألّقوا إبداعا و ابتكارا في فنون شتّى و منها فنّ الألغاز إبداعا وحلّا، فالملك أوديب لم يكن عربيّا، والنبيّ سليمان- عليه السّلام- الذي اشتهر بذكائه و حكمته و تمكّن من حلّ كلّ الألغاز الّتي طرحتها عليه الملكة بلقيس ببراعة، لم يكن عربيّا [1]، وكذلك الأميرة توراندوت و زوجها الأمير خلف في الحكاية الشّعبيّة الفارسيّة [2]. و هذا الذي قلناه- الآن- عن السّبب الثالث، و ما قلناه من قبل عن الأوّل و الثّاني، كل ذلك ينطبق- بشكل أو بآخر- على السّبب الرّابع " طبيعة العصور" فالكاتب يقول في هذا الصدد:"... إذ حتّمت عصور التطوّر والنموّ العقلي والمعّرفي إلىضرورة ظهور هذا السّبب باعتباره هدفا لتطوّر اللّغة ووسيلة أيضا ". فهذا الكلام عن تأثير عصور التطوّر و النموّ العقلي و المعّرفي في نشأة الألغاز و تطوّرها و علاقة ذلك بتطوّر اللّغة، يشمل جميع اللّغات الّتي أبدع أهلها ألغازا شعبيّة أو فصيحة، و تداولوها فيما بينهم، و تطوّرت تلك الألغاز بتطوّر اللّغة من خلال التأثير المتبادل عبر تعاقب العصور و الأجيال.

و مجمل القول - في هذا السيّاق- أنّ الباحث الفاضل أحمد محمد الشيخ قد اجتهد و قدّم طرحا شاملا و عميقا - إلى حدّ كبير - حول الأسباب الممكنة الّتي تفسّر من وجوه عدّة نشأة الألغاز عند العرب. وكنّا نودّ لو أنّه أشار - مجرّد إشارة - إلى أنّ هذه الأسباب يمكنها أن تنطبق - بطريقة أوبأخرى- على سائر اللّغات الّتي عرفت فنّ اللّغز على تفاوت بين لغة و أخرى من حيث السعة والعمق و الدقّة والمرونة، و أنّ للعربيّة النصيب الأوفر من تلك المزايا. لو أنّه أشار إلى ذلك، لكان ماذهب إليه أقوم قيلا و أهدى سبيلا، و لا سيّما أنّه قد قرّر- في البداية - صعوبة تحديد النشأة و أسبابها بالنسبة للألغاز عامة دون تخصيص.

---

[1] ينظر: د. نبيلة إبراهيم، المرجع السّابق ، ص- ص 194 ، 195 .

[2] المرجع نفسه، ص- ص 211- 215 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و للرّافعي رأي آخر في تعليل نشأة اللّغز، فهو يرى أنّ الألغاز - بوجه عام - " غريزة في الفطـــرة، فإنّ الطفل الذي هو دليل الطبيعة الأولى في الإنسان يسأل عن أشياء كثيرة بوصفها و الإشارة إليها، فإذا سُئل هو بمثل ذلك كانت عنده أحاجي، و ممّا يؤيّد ذلك ورود بعض الأحاجي في أسفار العهد القـــديم كسفر القضاة و شيء ممّا يماثلها فيمـــا يعـــرف بـــــ (الميثولوجيـــا) أي علـــم الخرافـــات القديمـــة والأساطير " [1]. فالرّافعي، في هذا القول، يعلّل نشأة الألغاز بكونها غريزة مركوزة في الفطرة الإنسانيّة، وآية ذلك الطفل-" الذي هو دليل الطبيعة الأولى في الإنسان"- المولع بالسؤال- طرحا وحلّا- عن كلّ شيء بلاحدود.ويستدلّ الكاتب عن هذا المعنى بقدم الألغـــاز الـــتي وردت في أســـفارالعهد القـــديم، وفي الأساطيروالخرافات القديمة .

و هذا التّعليل الّذي ساقة الرافعيّ يبدو منطقيّا ومقبولا،وإلى مثله ذهب بعـــض البـــاحثين الغـــربيّين أمثال"موريس بلوم فيلد" الذي يقول:" إن اللّغز نشأ منذ قديم الزّمان حينما كان العقل البـــدائيّ يمـــرّن نفسه على التلاؤم مع الكون الذي يحيط به. ذلك أنّه كلّما كانت الرؤية أكثر نضارة ، ازدادت الرغبـــة في إدراك ظواهر الطبيعة و ظواهر الحياة، و إدراك القوانين التي تحيط بالإنسان، و من ثمّ فإنّ الأطفـــال يُحبّون الألغاز و مثلهم البدائيون، و لهذا كذلك فإنّنا نجد الأنواع الأدبيّـــة الـــشّعبيّة مثـــل الأســـطورة والحكايات الشّعبيّة و الحكايات الخرافية تتضمّن الألغاز. فاللّغز يشير إلى غموض الحياة، و هو في الوقت نفسه يمثّل إدراك العقل البكر" [2].

و من الباحثين الجزائريين الّذين قدّموا أبحاثا قيّمة في الأدب الشّعبيّ الجزائريّ الدكتور عبـــد المالـــك مرتاض.ومن تلك الأبحاث كتابه عن الألغازالشّعبيّةالجزائريّةالذي درس من خلاله مدوّنةمعتبرة من الألغاز الشّعبيّة المتداولة في الغرب الجزائري. بيد أنّ الدكتور مرتاض لم يكلّف نفسه عناء البحث والاجتـــهاد والتّخمين في تحديد نشأة الألغاز الشّعبيّة، و تحليل و تعليل أسباب تلك النّشأة، و قد يكون هذا الموقف صادرا عن قناعة لديه بعدم جدوى الخوض في موضوع موغل في القدم يتعذر معـــه الوصـــول إلى رأي قاطع بشأنه، و هذه وجهه نظر نقدّرها، و لكن لامانع- في نظرنا- من البحث و الاجتهاد بهدف طرح بعض الآراء الجديدة إن أمكن ذلك، أو ترجيح بعضها على الأقلّ.

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، جـــ 3، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1974، ص 407 .

[2] نقلا عن د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 191 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول الدكتور مرتاض: " و إذا كان مستحيلا معرفة قائلي هذه الألغاز أو بعضها، فإنّ هذه الاستحالة تزداد تأكّدا حين يتّصل الأمر بنشأتها، و الأسباب الّتي أدّت إلى ظهورها كجنس أدبيّ ينتمي إلى الفنون الشّعبيّة" [1].

و على الرّغم من تأكيده حقيقة الصّعوبة الّتي تعترض طريق الباحث عند محاولته معرفة النشأة الأولى و أسبابها، تلك الصّعوبة الّتي تصل- في تصوّره - إلى حدّ الاستحالة، إلّا أنّه لم يجد بدّا من الإدلاء بدلوه، و لو من خلال طرح سريع يتّسم بالإجمال و العموم دون تحديدات واضحة، أو دخول في التّفاصيل. يقول:" و على أنّه يمكن للمرء أن يميل إلى أنّ هذا الفنّ نشأ كغيره من الفنون الأدبيّة: إمّا مصادفة، و إمّا قصدا، ثمّ لم يلبث أن تطوّر بتطوّر العقل البشريّ نفسه، و بتطوّر أدب اللّغة الّتي قيل فيها، و بتطوّر الجوّ الحضاريّ الذي نشأ فيه" [2] .

و للدكتورة نبيلة إبراهيم- و هي باحثة متخصّصة في الأدب الشّعبي - اجتهادات و مقاربات في هذا المجال الصّعب،تّميزت بقدركبير من العمق والإحاطة، فقد بدأت مقاربتها بطرح السّؤال الجوهري في هذه الإشكاليّة على النّحو الآتي : و لكن لماذا نشأ اللّغز أوّل مانشأ ؟ [3].

و في سياق محاولة الإجابة عن هذا السّؤال الجوهريّ، أوردت الباحثة رأيين مختلفين لباحثين غربيّين أشفعتهما بشيء من النّقد و التعلّيق، ثمّ قدّمت مقاربتها الخاصّة حيال هذه الإشكاليّة.

الباحث الأول، هو " موريس بلوم فيلد " الّذي أوردنا رأيه كاملا في الصّفحات السّابقة عند تعليقنا على وجهة نظر الرّافعي حول نشأة الألغاز. و خلاصة ما ذهب إليه ذلك الباحث الغربيّ أنّ اللّغز يمثّل إدراك العقل البدائيّ البكر لمختلف الظواهر والقوانين المحيطة بالإنسان على مستوى الكون و الحياة، و هو ما يفسّر حبّ الأطفال و البدائيين للألغاز.

و تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم في تعليقها على هذا الرّأي:

«حقّا إنّ تعليل بلوم فيلد لنشأة اللّغز مقبول، و لكنّه تعليل شامل ينطبق على نشأة كل الأنواع الأدبيّة الشّعبيّة و لا يقتصر على اللّغز وحده. هذا فضلا عن أنّه لم يوضّح لنا سبب نشأة اللّغز في صورة سؤال محيّر و جواب محدّد » [4].

---

[1] د. عبد المالك مرتاض، الألغاز الشّعبيّة الجزائريّة- دراسة في ألغاز الغرب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1982، ص 20 .

[2] المرجع نفسه، ص 20 .

[3] المرجع السابق، ص 191 .

[4] المرجع نفسه، ص 191 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمّا الباحث الثاني، فهو جيمس فريزر في كتابه: " الغصن الذهبي ". وقد قاده البحث عن سرّ نشأة اللّغز عند بعض القبائل البدائيّة كقبائل البانتو، وبعض قبائل الهند الصّينيّة إلى ارتباط الألغاز عندهم ببعض العادات التي كانت تمارس في مناسبات و مواسم معيّنة كانتظار سقوط الأمطار، و قبل موسم الحصاد. «...و مع ذلك فقد أعلن عجزه عن تقديم تفسيرموحّد واضح لظهور اللّغز في مثل هذه المناسبات» [1].

وها هنا تقدّم الدكتورة نبيلة إبراهيم تفسيرها لهذه الظاهرة؛ فهي ترى أن هذه المناسبات وغيرها التي كانت تُطرح فيها الألغاز إمّا أن تكون مناسبات يُخشى فيها حدوث أزمة، أو يكون فيها مصير الفرد أوالشعب معلّقا. « و لا بدّ أنّ الشّعوب كانت تتساءل: هل يسقط المطر المبارك فينمو النبات - أم هل - يحدث جدب ومجاعة نتيجة عدم سقوطه؟ و هل تهب العاصفة في أوان الحصاد فتطيح بالمحصول، أم أنّ الجوّ سيظلّ معتدلا حتّى يتمّ الحصاد؟... كلّ هذه الأمور كان الإنسان البدائيّ يتساءل عنها. و كم كان يتمنّى لو أنّ مصير الأمور تقرّر بالإيجاب فترتاح نفسه، و ربّما كان اللّغز في هذه الحالة مشاركا لشعورهم من حيث إنّه يشترك مع هذه المناسبات في ظاهرة الغموض، فإذا توصّل السّامع إلى حلّ الألغاز ، فإنّ هذا الحل يكون ممتلكا لقدر من السّحر من شأنه أن يؤثّر في القوى المجهولة التي تتصرّف في حلّ المشكلات الغامضة » [2]. هذا هو التّفسير الذّي قدّمته الدكتورة نبيلة إبراهيم بخصوص ارتباط الألغاز الأولى لدى البدائيّين بمواسم و مناسبات معيّنة، بيد أنّها تستدرك- بعد ذلك - لتقول: « على أنّنا لا نستطيع أن نجزم بأنّ هذا هو التّفسير الوحيد للّغز إذا تصفّحنا الألغاز المشهورة التي وردت لنا مع التّراث الشّعبي » [3]، وتضرب لذلك عدّة أمثلة منها ألغاز بلقيس ملكة سبأ مع النّبيّ سليمان - عليه السلام - و لغز أوديب ، و اللّغز الذي طُرح على الإسكندر الأكبر [*].

و لعلّ هذه الاستثناءات التي ندّت عن منطق التفسير السّابق، هي التي دفعت الباحثة نبيلة إبراهيم إلىمقاربة الإشكاليّة المطروحة من زاوية أخرى من خلال طرح السّؤال الآتي:

" فما الباعث إذن على خلق اللّغز؟ أو بعبارة أخرى، ماالاهتمام الروحي الشّعبي الذي ينشأ عنه اللّغز؟."

و خلاصة الإجابة التي خلصت إليها الباحثة تتمثّل في" أنّ الدافع وراء خلق اللّغز هو اختبار شخص ما في درجة معرفته، و ليس هو الوصول إلى حلّ اللّغز فحسب " [4].

---

[1] ينظر: نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 192 .

[2] المرجع نفسه، ص 193 .

[3] المرجع نفسه، ص 194 .

[*] سنعرض – لا حقا – بعض النماذج من الألغاز القديمة .

[4] المرجع السّابق، ص 205 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و تُعلّل ما ذهبت إليه من منطلق أنّ اللّغز يتطلّب سائلا و مسؤولا. ويفترض في السائل أن يكـــون عارفا بالإجابة سلفا كما أنّ المسؤول يعرف – يقينا - أنّ سائله يملك الإجابة.

فالمسألة – إذن - يُنظر إليها على أنّها تحدّ تقابله استجابة، و امتحان للكفـــاءة ينتـــهي بالنّجـــاح أوالفشل، ولعلّنا لانجانب الصّواب إذا سمّينا هذا الامتحان امتحان العبور إلى عالم جديد أو مجتمع جديد. ذلك أنّ " السّائل يمثّل جماعة يرتبط بعضها ببعض عن طريق المعرفة و الحكمة، أمّا الشخص المـــسؤول، فهو خارج عن نطاق هذه الجماعة، و اللّغز في هذه الحالة يمثّل " كلمة السّر" التي يُسمح عـــن طريـــق النطق بها بالدخول في مجتمع مغلق " [1].

و تعليقاً على مقاربة الدكتورة نبيلة إبراهيم، يمكننا القول بأنّ ربط نشأة الألغاز بمواسم ومناســـبات معيّنة أمر يتعذّر تعميمه على كلّ الألغاز في كلّ المجتمعات، ذلك أنّ مواسم الحصاد و انتظار الأمطـــار، و مناسبات الزّواج و الختان و غيرها ممّا ذكرته الباحثة... هذه المواسم و المناسبات ذاتها قد تـــصاحبها لدى بعض القبائل و المجتمعات البدائيّة عادات و تقاليد و طقوس مختلفة بعيدة كلّ البعد عن جوّ الألغاز كالقيام ببعض الطقوس الدينيّة، أوترديد بعض الأغاني الشّعبيّة أو ممارسة الرّقص و ماشاكله من تعبيرات حركيّة، وقد تكون هذه المجتمعات ذاتها تتداول الألغاز في فضاءات أخرى كمجالس الظُّرفاء و الحكماء، و حلقات الأسمار الشّعبيّة، وقد سبقت الإشارة إلى أنّ الباحثة نبيلة إبراهيم نفسها اعترفت بأنّ التّفـــسير الذي قدّمته – على وجاهته و تماسكه – لا يمكن إسقاطه على كلّ الألغاز.

أمّا تفسيرها الثاني المتعلّق بالباعث الأوّل على خلق اللّغز، و هو اختبار شخص ما في درجة معرفتـــه، فيبدو لي أنّه تفسير موفّق إلى حدّ كبير، ذلك أنّه يكتسي طابعا أوسع من حيث العموم والشّمول.

و مع كلّ ما تقدّم، يظلّ سؤال النّشأة مطروحا لأنّ الباعث على خلق اللّغز يختلف عن نشأة اللّغـــز في حدّ ذاتها، فللنّشأة الأولى أسبابها و ملاباساتها الخاصّة الّتي قد لا تتكرّر عبر المكان و الزّمان إلاقليلا، أمّا الباعث المتمثّل في اختبار المعرفة و الكفاءة لدى الآخرين، فيتّسم بقدر كبير من الثبات والـــشّمول و الدّيمومة.

فهل يمكن للاجتهاد أن يسعفنا في طرح مقاربة جديدة حيال النشأة الأولى للّغز؟ لعل المقام - هاهنا- يسمح لنا بأن ندلي بدلونا في هذا الموضوع، و سنبدأ الإجابة عن السّؤال السّابق بطرح سؤال جديد:

* هل للرؤيا – في المنام – علاقة ما باللّغز ؟

---

[1] المرجع السّابق، ص 205 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المعلوم أنّ الرؤيا ظاهرة إنسانيّة عرفها الإنسان منذ النّشأة الأولى، وهي جملة من المشاهد والعلائق و الرّموز تغشى الإنسان في منامه. و بعد استيقاظه، تمثّل له تلك الرؤيا مشكلة غامضة تحتاج إلى تفسير و تأويل، أو لغزا محيّرا يستدعي حلاّ وجوابا، فيحاول هو القيام بذلك، أو يحيلها إلى خبير عُرف بتفسير الأحلام، وتأويل الأحاديث. ويتأكّد هذا الأمر مع الأحلام التنبّؤيّة الّتي تشترك مع الألغاز في غموضها، و في كونها يُخشى من ورائها حدوث أزمة يكون فيها مصير الفرد أو الشّعب معلّقا كما أوضحنا - من قبل - من كلام الدكتورة نبيلة إبراهيم " فقد يكون اللّغز امتحانا قاسيا، ينتهي بالحياة أوالموت " [1].

فإذا وجدت لمجموعة من الأحلام التنبّؤيّة تفسيرات صائبة أظهرت الوقائع مصداقيّتها ، ففي هذه الحالة، يكون اللّغز بسؤاله الغامض و جوابه مشابها للرؤيا بإشكالها الغامض و تفسيرها. و لعلّ هذا التّشابه يقدّم لنا تفسيرا مقبولا و محتملا للنّشأة الأولى للّغز، و لاغرابة أن يحاكي الإنسان في دائرة الوعي/اللّغز تجربته في عالم اللاّوعي / الرؤيا.

فالرؤى ليست كلّها صوراً من الرغبات المكبوته تتنفّس بها الأحلام في غياب الوعي كما تقول مدرسة التحليل النّفسي. فهذا " يمثّل جانبا من الأحلام و لكنّه لا يمثّلها كلّها، و (فرويد) – على كلّ تحكمه غير العلمي، و تمحله في نظريّته - يقرّر أنّ هناك أحلاما تنبؤيّة " [2].

فالأحلام التنبّؤيّة الّتي بنينا على أساسها مقاربتنا هذه حقيقة إنسانيّة ثابته، يقول عنها الأستاذ سيّد قطب في معرض تفسيره لسورة (يوسف):"إنّنا ملزمون بالاعتقاد بأنّ بعض الرؤى تحمل نبوءات عن المستقبل القريب أو البعيد، ملزمون بهذا أوّلا من ناحية ما ورد في هذه السّورة من وقوع مصداق رؤيا يوسف، ورؤيا صاحبيه في السّجن، ورؤيا الملك في مصر، و ثانيا من ناحية ما نراه في حياتنا الشخصيّة من تحقّق رؤى تنبؤية في حالات متكرّرة بشكل يصعب نفي وجوده لأنّه موجود بالفعل " [3].

و الملاحظ في الرؤى الواردة في سورة(يوسف)أنّها ارتبطت بأحداث ومواقف مصيريّةعلىالمستويين: الفردي و الجماعيّ شأنها في ذلك شأن بعض الألغاز الّتي وردت إلينا مع التراث الشّعبي العالميّ كما أوضحنا آنفا.

---

[1] ينظر: د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 204 .

[2] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 4، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط 10، 1982، ص 1972 .

[3] المرجع نفسه، ص 1972 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فعلى المستوى الفردي- مثلا - نجد أنّ رؤيا يوسف طفلا قد رسمت مصيره كهلا " فيوسف الطفل، قد أوعزت إليه القدرة الإلهية، في صورة حلم، منذ الصّغر، بالمستقبل الطّاهر الذي ينتظـــره، ثم ســـاقته الأطوار بعد ذلك، عبر وقائع انتهت به إلى أن يعيش نبوءته الحلميّة، واقعا ملموسا، على مقتضى مشيئة الله "[1].

هذا على المستوى الفردي، أمّا على المستوى الجماعي، فإنّ رؤيا الملك في مصر الـــتي أوّلهـــا الـــنبيّ السّجين يوسف - عليه السلام [*]- تعلّقت بمصير شعب بأسره، فلقد تنبّأ النبيّ الملهم - عـــبر تأويـــل الرؤيا- بأنّ جفافا كاسحا تنجم عنه مجاعة ماحقة ستلمّ بمصر و ما حولها مدّة سبع سنين، و قدّم اقتراحا عمليّا بين يدي الملك لمواجهة الأزمةالقادمة، تمثّل في خطّة استباقيّة أشرف بنفسه على تنفيذها- بنجاح- بعد تعيينه وزيرا للخزينة. و أنقذ بذلك شعب مصر و الشّعوب المجاورة من مجاعة قاتلة.

فهذه الرؤى التنبّؤيّة التي تصنع - في الواقع الفعلي على النحو الذي رأينا- مصائر الأفراد والشّعوب منذ فجر التاريخ البشريّ، ليس بمستبعد أن تكون مُلهمَة للإنسان الأوّل في إبداع أشكال أدبيّة مختلفـــة كالأساطير والحكايات الخرافيّة، و الألغاز و غيرها.

ففي عالم الأساطير - على سبيل المثال - نقرأ في اللّوح السّابع من" أسطورة جلجامش " هذا المقطع المتضمّن رؤيا " أنجيدو" المفزعة:

«واستيقظ أنجيدو من نومه مذعوراً ودخل على جلجامش وقال له:لقد تدبرت الآلهة أمرها يا جلجامش وأحسبها أنّها تدبّر هلاكي، إنّ حلمي اللّيلة كان مزعجا لقد أنبأتني بخطر عاجل، فقد أبصرت نـــسرا عظيما هوى من السّماء ثمّ حملني في الفضاء عاليا، وظلّ يصعد بي موغلاً في السّماء، ثمّ حدّثني قـــائلاً: "ألق ببصرك الآن إلى أسفل، كيف ترى الأرض وكيف ترى البحر؟ " فلمّا نظـــرت وجـــدت البحـــر كالقصعة والأرض كقطعة العجين حينئذ تركني أسقط من بين مخالبه فهويت من علٍ إلى الأرض محطّما. جلجامش: الويل لنا إن كانت الآلهة قد أرادت بنا سوءا. »[2].

---

[1] د. سليمان عشراتي، الخطاب القرآني (مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1998، ص 81 .

[*] عاش النبيّ يوسف- عليه السلام- في القرن 13 ق م (ينظر: المنجد في اللّغة والأعلام، ص، 624) .

[2] ينظر: نبيلة إبراهيم، المرجع السّابق، ص 50.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و لعلّنا لا نجانب الصوّاب كثيرا إذ زعمنا- على غرار ما تقدّم – أنّ الكثير من النصوص السّرديّة القديمة منها و الحديثة قد اشتملت على رؤى تنبّؤيّة شكّلت بؤرا مفصليّة هامّة في فضاءاتها الحكائيّة.

و لا يتّسع المقام - هاهنا- إلى إيراد شواهد أخرى تؤيّد ما ذهبنا إليه في هذا السيّاق، و لكنّنا سنكتفي - في هذا الصّدد- باقتباسين قصيرين أخذناهما من دراسة علميّة تناولت الجانب الفنّي في القصّة القرآنيّة وتحديدا في قصة (يوسف) وهي" أحسن القصص" على حدّ التّعبير القرآني، يقول صاحب الدّراسة مبرزا دور الرؤيا في بناء النسق السّردي لقصّة يوسف - عليه السّلام -:« ونجد الرؤيا هي بؤرة الإثارة في الحاضر الروائي حيث انبثقت منها الأحداث معلّلة تعليلا سببيّا مركّبا»[1]. و في موضع آخر من الدراسة يقول: « فالمشهد الروائي الذي بادرتنا به القصّة يحمل رؤيا النبوءة التي يكمن فيها إشعار فنّي بتولّد حدث خطير نتيجة لهذه الرؤيا »[2]. و بناء على ما تقدّم، يمكننا القول بأنّ الرؤيا التنّبؤيّة - بوصفها ظاهرة إنسانيّة أصيلة و قديمة قدم الحياة الإنسانيّة - قد تكون أحد الأسباب الرئيسيّة التي ألهمت الإنسان الأوّل إبداع فنّ اللّغز الذي يشبه الرؤيا في الغموض و الالتباس من جهة، و القابليّة للحلّ و التّفسير من جهة أخرى. وقبل أن نختم هذا المبحث الّذي تناولنا فيه نشأة اللّغز وأسبابها، نورد بعض النماذج المتنوّعةمن الألغاز القديمة الّتي وصلت إلينا مع التراث الشّعبي العالمي. و لعلّ من أشهر تلك الألغاز القديمة ماطرحته الملكة بلقيس على النبيّ سليمان- عليه السّلام- بهدف اختبار ذكائه، وقد أورد هذه الألغاز فريزر في كتابه: (الفولكلور في العهد القديم). " لقد سألته: - مامعنى أنّ سبعة وجدوا مخرجا وتسعة وجدوا مدخلا، واثنين انساب منهما مجرى، و واحداً شرب من هذا المجرى؟ " فأجاب سليمان على التوّ: " أمّا السّبعة فهم سبعة أيّام الحيض، و أمّا التسعة، فهم تسعة شهور الحمل، و أمّا الاثنان، فهما الثديان، و أمّا الواحد، فهو الطفل ". فسألته مرّة أخرى عن الأرض الّتي لم تر الشّمس سوى مرّة واحدة فأجابها: " إنّها الأرض الّتي تجمّعت فيها المياه بعد الخليقة، وهي الأرض التي انحسرت عنها مياه البحر الأحمر ذات يوم حينما انشطر إلى شطرين، ثمّ عاد بعد ذلك إلى حالته الأولى". ثمّ سألته: ما هو الشيء الّذي لا يسيرحينما يكون حيّا،حتّى إذا مات تحرّك؟ فأجاب"إنّه الشجرة التي لا تسير وهي حيّة، فإذا قُطعت وصُنعت منها السفينة سارت في عرض البحر". ثمّ سألته ما هو الشيء الّذي يعيش في باطن الأرض و يكون غذاؤه التّراب و يتفجّر كالمياه و يضيء البيوت؟ فأجابها الملك"بأنّه النّفط" [3].

---

[1] ينظر: د. خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفنّي في القصّة القرآنيّة- منهجها و أسس بنائها،دار الشهاب، باتنة، الجزائر، دت ، ص 131 .

[2] المرجع نفسه، ص 149 .

[3] ينظر: د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير..، ص 194 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمَّا لغز أوديب الشّهير في التراجيديا اليونانيّة، و الّذي أنقذ أوديب بحلّه أهل مدينة طيبة من الهـــلاك على يد الوحش أبي الهول، هذا اللّغز الشّهير نؤثر أن نورده- هاهنا- عبر هذا المقطع المسرحيّ الجميـــل لتوفيق الحكيم في مسرحيّته ((الملك أوديب)):

"- أنتجونه: كيف طرح عليك أبو الهول لغزه يا أبتي ؟

- أوديب: قال لي، و قد نفش ريش جناحيه:" أيّها القادم، ماذا جئت تصنع هاهنا ؟، فقلت له: جئـــت أبحث عن حقيقتي. فقال: إليك سؤالا، إذا عجزت عن جوابه، فإنّي أفترسك: ما هو الحيوان الذي يمشى في الصّباح على أربع، و في الظهر على اثنتين، و في المساء على ثلاثة ؟.

أنتجونه:هوالإنسان، فهو الّذي في الصّغر يحبو على يديه، و قدميه، و في الكبر يستوي ماشيا على قدميه، وفي الشّيخوخة يدبُّ على قدميه وعصا " [1].

و في التّراث الشّعبي الهندي الكثير من الألغاز و حكايات الألغاز نذكر منها ذلك اللّغز الذي كـــان يطرحه الملك على كلّ من يرغب في الزواج من ابنته الأميرة الجميلة، فقد كان الملك يُقدّم لكلّ راغـــب دميتين خشبيتين لهما نفس الشكل و الحجم و الايقاع، ويطلب منه التّفريق بينهما. وبعـــد محـــاولات عديدة فاشلة لشبّان كثيرين يُوفّق ولد خيّاط فقير في المهمّة، بعد أن أدخل إبرتين في أذن إحدى الدّميتين فاستخرجهما من فمها ثمّ أدخلها في أذن الدمية الثانية، فاحتفظت بهما، فاهتدى بذلك إلى حلّ اللّغـــز وهو أنّ الأولى لا تطيق حفظ السرّ بداخلها إذ سرعان ما تلفظه و كأنّه وخز إبر في أعماقها، أمّا الثانية، فهي تملك القدرة على كتمان السرّ. و واضح أنّ المغزى التربويّ الاجتماعي لهذه الحكاية الملغزة يـــشير إلى تفضيل المرأة الصّالحة الّتي تستطيع حفظ السرّ و كتمانه [2].

و في أدبنا العربي القديم كمّ هائل من الألغاز الشّعريّة و النّثريّة نكتفي منها بهذه المواجهة الثنائيّة بـــين شاعرين جاهليين معروفين هما: عبيد بن الأبرص و امرؤ القيس، فقد روي أنّ عبيد بن الأبرص الأسدي لقي امرؤ القيس، فقال له عبيد: كيف معرفتك بالأوابد؟ فقال امرؤ القيس:

ألق ماشئت تجدني كما أحببت، فقال عبيـــــد:

ما حبّة ميتـــة أحيت بميتتهـــا * ورداء ما أنبتت سنّا و أضراسا ؟

فقال امرؤ القيس:

تلك الشّعيرة تسقى في سنابلها * فأخرجت بعد طول المكث أكداسا.

فقال عبيـــــــــد:

---

[1] ينظر: توفيق الحكيم، الملك أوديب، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط 1، 1978، ص 63 .

[2] ينظر: شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشّعبيّة العربيّة، مرجع سابق، ص 128 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما السود و البيض و الأسمـــاء واحـــدة * لا يستطيع لهـــنّ النـــّاس تمـــساسا ؟

فقال امرؤ القيس:

تلك السّحاب إذا الرّحـــمان أرسلـــها * روّى بها من محول الأرض أيباسا.

فقال عبـــــــــيد:

ما القاطعات الأرض لا أنيس لـــــها * تأتي سراعا و ما يرجعنّ أنكاســـا ؟

فقال امرؤ القيس:

تلك الرّياح إذا هبـــّـــت عواصـــفها * كفى بأذيالها للتّـــرب كنّـــاسا.

فقال عبـــــــيد:

ما الفاجعـــات جهارا في علانيـــــة * أشـــدّ من فيلـــق مملوءة باســـا ؟

فقال امرؤ القيس:

تلك المنايا فما يُبقـــين مـــن أحـــد * يكفتن حمقى و ما يبقين أكياسا.

فقال عبيـــــــــد:

ما السّابقات سراع الطّير في مهـــل * لا تستكيـــــن ولو ألجمتها فأسا ؟

فقال امرؤ القيس:

تلك الجياد عليها القـــوم قد سبحوا * كانوا لهنّ غذاة الروع أحـــلاسا.

فقال عبيـــــــــد:

ما الحاكمـــون بلا سمع و لا بصـــر * و لالسان فصيح يعجـــب النّاسا ؟

فقال امرؤ القيس :

تـــلك الموازين و الرّحمان أنزلـــها * ربّ البريّة بين النّاس مقياسا" [1].

و لقد حرصنا على أن تكون هذه النّماذج المختارة من الألغاز القديمة متنوّعة ما وســـعنا الإمكـــان، وعلى قدر ما يسمح به المقام، فكان شطرها من التّراث الشّعبي السّامي العبرانيّ العربيّ، و نعني بهذا ألغاز النبيّ سليمان،وألغاز الشاعرين الجاهليين:امرىء القيس وعبيد بن الأبرص،وكان شطرها الآخرمن التّراث الشّعبي غير السّامي (الهندو- أوربي) ممثّلا بلغز أوديب الإغريقي، و لغز الملك الهنديّ.

ثالـــثا: تطوراللّغز الشعبي: ذكرنا – في بداية هذا الفصل – أنَّ الحديث عن نشأة اللّغـــز الـــشّعبي يستدعي - بالضَّرورة- تبعاً له الحديث عن تطوّره.

---

[1] ينظر: عطا رفعت، الألغاز و الحزر الشعبية بين الماضي و الحاضر، مجلة التراث الشعبي، مرجع سابق، ص- ص 99 ،100 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و التطوّر- في مفهومه اللّغويّ البسيط- يعني الانتقال و التحوّل من طور إلى طور. و من مستلزمات دلالته التّغيير، و التبديل، و التجّديد، و الحذف، و الإضافة و ماقارب ذلك من المعاني.

هذا عن التطوّر بوجه عام. أمّا التطور الأدبي، فلقد ظلّ تحديد مفهومه محلّ اختلاف بين النقّاد قديما وحديثا بحسب المنطلقات و المناهج، و المدارس النّقدية و الفلسفيّة التي ينتمون إليها [1] ، وهو بهذا يشترك مع جملة المفاهيم الأدبية و النّقديّة المندرجة في إطار نظريّة الأدب.

و على الرّغم من صعوبة تحديد مفهوم دقيق للتطوّر الأدبيّ، بيد أنّه بالإمكان طرح مفهوم عام حوله من شأنه تقريب الفكرة من الأذهان. وعليه، يمكن القول بأنّ التطوّر الأدبيّ هو ذلك التحوّل أو التغيُّر الذي يطرأ على قضيّة من قضايا الأدب عبر العصور بفعل عوامل معيّنة. و يشمل التطوّر مفهوم الأدب ، و وظيفته، و طرق نقده و تقويمه كما يشمل الأجناس الأدبيّة وموضوعاتها، و خصائص أسلوبها، و غير ذلك من القضايا الّتي تهتمّ بها - عادة - نظريّة الأدب كما أشرنا آنفا.

و العوامل المتحكّمة في التطوّر الأدبي كثيرة و متعدّدة، و لعلّ من أبرزها الحقائق النّفسيّة و الفنيّة التي لها دور كبير"إذ هي تشكّل الكثيرمن جوانب ماهية التطوّر الأدبيّ،فالإرادة القويّةوالقدرة الفنيّةمن شأنهما أن يخلقا أشياء جديدة، و تفتحا للأدب آفاقا واسعة، و تساعدهما في ذلك العوامل المحيطة :(البيئة، المجتمع، الاقتصاد، الثقافة)" [2] . و في ضوء ما تقدّم، يمكننا طرح السؤال الآتي: - ما هي الجوانب التي شملها التطوّر فيما يتعلّق باللّغز الشّعبي ؟

لعلّ من أبرز الجوانب التي يمكن أن يمسّها التطوّر بالنّسبة إلى اللّغز الشّعبي هي: المفهوم، والمضمون، والشكل، و الوظيفة، و الطقوس الّتي تُتداول في أجوائها الألغاز الشّعبية. ولنبدأ في مناقشة كلّ جانب منها على حدة.

أمّا مفهوم اللّغز- بوجه عام- فقد ظلّ، في جوهره، ثابتا من حيث هو سؤال إشكاليّ يتّسم بالغموض و التّعمية، و يتطلّب جوابا، أوحلاّ مُحدّدا. و هذا المفهوم الجوهري ألفيناه في مختلف الألغاز الّتي اطّلعنا عليها، الفصيحة منها و الشّعبية، في القديم والحديث على حدّ سواء.

بيد أنّ هناك قضيّة جديرة بالطّرح و المناقشة - في هذا السّياق- لعلاقتها المباشرة بالمفهوم وتطوّره، و هذه القضيّة هي ارتباط مفهوم اللّغز الشّعبي عند العامّة - على وجه الخصوص – بالحكايات الخُرافيّة، و لا سيّما لدى عامّتنا بالجزائر.

---

[1] ينظر: بوزونية عبد الحميد، ظاهرة التطوّر الأدبي بين النظريّة و التطبيق، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1979،ص– ص 11-36 .

[2] المرجع نفسه، ص 35 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول الدكتور عبد المالك مرتاض في هذا الصّدد :

" و لكن عامتنا تَوسّعوا في معنى الأحاجي ، فلم يعودوا يطلقونهـا علـى هـذه الكلمـات المُلْغِـزَة أوالمُحجية... و إنّما أصبحوا يطلقون في بعض الأرجاء، و لا سيَّما في أقصى غربيّ الغرب الجزائـري ، هذا الاسم على الحكايات الخرافيّة أيضا " [1].

و هذه التّسمية ليست مقتصرة على منطقة الغرب الجزائري، بل و جدناها في منطقة وادي سـوف حيث يطلق أهلها على الألغاز الشّعبيّة لفظة " الخُرَّاف" و لتأكيد هذا المعني، نقتبس الفقرة الآتية لباحث جزائريّ آخر مختصّ في الأدب الشّعبيّ الجزائريّ: « وقد يطلق عليه في المفهوم الشّعبي لفظة "المتحاجية" أو " الحجّاية" و يقصد بها اللّغز، في حين أن نفس اللّفظه في مناطق أخرى من البلاد يقصد بها الحكاية، أو القصّة، أو الخرّافة، و لكن المصطلح المتداول أكثر للكلام عن اللّغز هو الحجّاية » [2].

وبناء على ما تقدّم، يفرض علينا منطق البحث أن نسأل عن الأسباب الّتي جعلت مفهوم اللّغز يرتبط لدى العامّة بالقصص الشّعبيّة و الحكايات الخرافيّة ؟، والحقيقة أنّ لهذا الارتباط جذورا تاريخيّـة تعـود إلىالموروث الشفويّ الشّعبي في عصوره القديمة على نطاق عالميّ واسع. فالباحثة نبيلة إبـراهيم بعـدما أوردت لغز أوديب الشَّهير، و لغز الاسكندر الأكبر في الإطار القصصي الذي ميّز كلاًّ منهما علّقـت على ذلك بقولها: « ولعلّ المثالين السابقين يطلعاننا على مقدار ما كان للّغز من تأثير في الأوساط الشّعبيّة إلى درجة أنّه لم يعد يروى مفردا فحسب، وإنّما داخل الحكايات الشّعبيّة و الخرافيّة ولعب دورا كـبيرا فيها »[3].

وفي موضع آخر من المرجع ذاته، تؤكّد الباحثة هذه الفكرة فتقول: « على أنّ تأثير اللّغز في الحكاية الخرافيّة و الشّعبيّة لم يقف عند هذا الحدّ، فهناك حكايات خرافيّة و شعبية اتّخذت شكل اللّغز بوصفها كلاّ. وقد سمّيت هذه الحكايات بحكايات الألغاز. وقد أغرم الهنود بصفة خاصّة بروايـة مثـل هـذه الحكايات »[4].

و في تراثنا السرديّ العربيّ بشقّيه: الرّسمي و الشَّعبي، ما يعزّز هذا الارتباط الوثيـق بـين الألغـاز ومختلف النّصوص السّرديّة.

---

[1] ينظر: الألغاز الشّعبيّة الجزائريّة، ص 18 .

[2] سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظريّة و التطبيق، مرجع سابق، ص97 .

[3] ينظر: أشكال التّعبير في الأدب الشّعبي، ص- ص 195 ، 196 .

[4] المرجع نفسه، ص198 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و قد سبق أن أوردنا نموذجا لذلك من فنّ المقامات وهو من الأدب الرسمي. أمّا في سرديّاتنا الشّعبية، فحضور الألغاز فيها أكثر وأوضح إذ نجدها في السّير والقصص الشّعبيّة كما نجدها في الحكايات الخرافيّة .

ففي السّير الشّعبيّة على- سبيل المثال – يمكن أن نشير إلى حكاية اللّغز الّتي رويت في أوّل سيرة عنترة[1]. وفي سيرة بني هلال « يتمّ التعرّف على حقيقة الشّخصيّة و انتمائِها، أو بالأحرى معرفة هويّتها عن طريق إخضاعها لامتحان أو تجربة تختبر عن طريقها، فتوضع تحت مجهر الملاحظة الدقيقة فيكشف سرّها من خلال قدرتها، أو فشلها في حلّ الألغاز ،وكذلك من خلال إخضاعها لملاحظة سلوكها » [2].

و لعلّ من أشهر الألغاز الشّعبيّة الواردة في السّيرة الهلاليّة مايأتي:

اللّغز	الحلّ
- أحل مناش ؟	- لعب الذراري في الفراش
- أثقل مناش ؟	- قعدان النّاس على النّاس
- أمرّ مناش ؟	- هزّان الرّجال في النعاش
- واش يغلب النّار ؟	- النّار يغلبها الماء
- واش يغلب العقبة ؟	- العقبة يغلبها الخيل
- واش يغلب الخيل ؟	- الخيل يغلبها فرسانها
- واش يغلب الفرسان ؟	- الفرسان يغلبهم أولادهم[3].

وفي الحكايات الشّعبيّة، نقرأ في المدوّنة السّرديّة الشّهيرة « ألف ليلة وليلة » اللّغز الآتي: " قالت الجارية للطبيب بحضرة أمير المؤمنين: ما تقول في شئ يشبه الأرض استداره، ويوارى عن العيون فِقاره، قليل القيمة و القدر، ضيق الصّدر و النّحر، مقيّد وهو آبق، موثوق وهوغير سارق، مطعون لا في القتال، مجروح لا في النّصال...إلخ ".

عجز الطّبيب، فأجابت الجارية أمير المؤمنين: (الزراروالعروة)[4].

---

[1] ينظر: أشكال التّعبير في الأدب الشّعبي، ص196 .

[2] عبد الحميد بورايو،البطل الملحمي والبطلة الضحيّة في الأدب الشفوي الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعيّة،الجزائر،1998،ص 55.

[3] المرجع نفسه، ص 56 .

[4] ينظر: ألف ليلة و ليلة، جزء 3 ، موفم للنشر، طبع المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعيّة، الجزائر، 1988، ص 243 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا انتقلنا إلى فضاء الحكايات الخرافيّة وجدنا دائرة الألغاز الشّعبيّة تتّسع إلى درجة أنّ بعض الحكايات تقوم أساسا على اللّغز مشكّلا بذلك بنيتها الأساسيّة، و هو مايعرف بحكايات الألغاز التي أشرنا إليها آنفا.

ولعلّ السرّ الكامن من وراء هذا التّواجد المعتبر للألغاز الشّعبيّة في بنية الحكايات الخرافيّة ،يتمثل في كون اللّغز يشكّل تحديّا واختبارا لشخصيّة البطل، فقدرته على حلّه تؤكّد – إذن – تفوّقه العقلي بالإضافة إلى تفوّقه النّفسي و العضليّ " فالبطل أو الفاعل عليه أن ينجز كلّ المهام الّتي توكل إليه ... فهو يذهب إلى أماكن لايتسنّى الوصول إليها، و يجيب على أسئلة تتعذّرالإجابة عليها، ويعثرعلى الأشياء الضائعة، ويحارب الوحوش، ويبني القصور، و يحلّ الألغاز، ويفكّ سحر الشخصيّات أوالأشياء " [1].

وبناء على ما تقدّم، يمكننا أن نؤكّد الحقيقة الّتي أثبتها الباحثون بخصوص التداخل أو- بالمصطلح النّقدي الحديث – التناص الحاصل بين الألغاز الشّعبيّة ومجموع الأجناس السّرديّة في دائرة الأدب الشّعبيّ. فاللّغز «يرد مفرداً، كما يرد في ثنايا الحكايات الخرافية والشّعبيّة والأسطورة، وفي الملاحم والسّير الشّعبيّة »[2].

وفي هذا السّياق نعيد التّذكير بالسّؤال الذي طرحناه في بداية هذا الفصل حول العلاقة بين نشأة اللّغز ونشأة الأجناس السّرديّة التي يوظّف فيها، وكان السّؤال على النّحو الآتي:

هل نشأ مستقلاّ ثمّ وُظّف فيها ؟ أم نشأ داخل بنيتها، ثمّ استُخلص منها ليؤدّي وظائف أخرى خارج النّسق السّردي ؟ وكنّا قد رجّحنا في البداية - بحسب اطّلاعنا الأوّلي - الفرضية الأولى القائلة باستقلاليّة اللّغز والآن، بإمكاننا - بناء على الطرح الذي تقدّم – تأكيد هذه الفرضيّة من منطلق أنّ اللّغز يفرض تميّزه واستقلاليّة نشأته من خلال مفهومه، و وظيفتة وبنيته.. هذه الركائز الثلاث التي تمنحه - دائما- خصوصيّته، واستقلاليّته، وتميّزه عن باقي الأجناس الأدبيّة السّرديّة منها وغير السّرديّة وهذه الحقيقة تكاد أن تكون محلّ اتّفاق بين عموم الباحثين، و لم نعثر على رأي لأيّ منهم – ممّن اطّلعنا على أبحاثهم – يتبنّى الفرضيّة الأخرى. أمّا توظيف اللّغز في بنية النّصوص السّرديّة الشّعبيّة، فهو من باب التناص بين مختلف الأجناس والنّصوص الأدبيّة والشّعبيّة. وليس بمقتصر على اللّغز فحسب. ففي الشّعر الشّعبي يمكننا أن نجد أمثالا شعبيّة أو مقاطع مختارة من قصص أو سير شعبيّة موظفّة على نحو يلائم بنية الشّعر وإيقاعه. كما نجد أنّ السّير الشعبيّة كثيرا ما توظّف الأشعار داخل نسيجها السّردي.

---

[1] د. غراء حسين مهنا، أدب الحكاية الشّعبيّة، الشركة المصريّة العالمية للنشر- لونجمان، ط1، 1977، ص 86,85 .

[2] ينظر: نبيلة إبراهيم، المرجع السّابق، ص 211 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمثل الشّعبي- كأيّ مثل- له مورد ومضرب. والمورد هو القصّة الّتي على إثرها صدرالمثل، بل هناك من الباحثين من يعتبر الحكاية الخرافيّةكلها مثلا اعتمادا على رأي بعض العلماء القُدامى كالمفضّل الضّبّيّ، والجاحظ، وعلى الحكايات الواردة في كتاب « كليلة ودمنة » [1].

فالتناص بين مختلف الأجناس الأدبية الشّعبية حقيقة ثابتة تصلح أن تكون موضوع بحث مستقّل.

لقد حاولنا في الصفحات القليلة السّابقة أن نفسّر الأسباب الّتي جعلت مفهوم اللّغز يرتبط لدى العامّة بالقصص الشّعبيّة والحكايات الخرافيّة. ولقد تبيّن لنا – ممّا سبق – أنّ أحد أبرز تلك الأسباب قد يكون ما أثبتناه من تداخل أو تناصّ بين عموم الأجناس الأدبيّة الشّعبيّة ولا سيمّا بين الألغاز والنّصوص السّرديّة المختلفة منذ العصور القديمة. فإذا أضفنا إلى هذه الحقيقة حقيقة أخرى تتعلّق بإرتباط الألغاز- عند العامّة عادة – بأجواء اللّيل حيث اجتماع الجدّة والحفدة قبل النّوم لسرد الحكايات، ومنها حكايات الألغاز.. فلعلّ اجتماع هاتين الحقيقتين جعل العامّة يطلقون لفظ "الخُرَّاف" -كما في منطقة وادي سوف – علىالألغاز من باب إلحاق الجزء بالكلّ. أوتسمية الشئ بشبهه .

كلّ ما ذكرناه فيما تقدّم يتعلّق بتطوّر اللّغز الشّعبيّ على مستوى المفهوم. فماذا عن تطوّره علىمستوى المضمون ؟.

يبدولنا، من خلال الألغاز الشّعبيّة الّتي جمعناها، وتلك الّتي اطّلعنا عليها من آداب شعبيّة أخرى، أنّ مضمون اللّغز يرتبط على نحو وثيق بالبيئة الّتي يُتداول فيها سواء أكان ذلك المضمون ينتمي إلى عالم الأشياء، أم عالم الأشخاص، أم عالم الأفكار على حدّ تعبير المفكّر الجزائري مالك بن نبي. وعلى هذا الأساس، يتّضح أنّ مضمون اللّغز يعكس- في موضوعاته المحسوسة والمجرّدة على السّواء – المستوى الحضاريّ العام للمجتمع الّذي يتداوله. كما أنّ تطوّر هذا المضمون مرهون بالتطوّر الحضاري العام للمجتمع .

وعلى سبيل المثال - لاالحصر- نورد فيما يأتي نموذجين من الألغاز الشّعبيّة المتداولة في وادي سوف لنبيّن من خلالهما كيف أنّ مضمون اللّغز يتطوّر تبعا لتطوّر الوسائل الحضاريّة الّتي يستعملها الإنسان .

- النّموذج الأوّل :

« صَقَعْ ورَقَعْ وطَاوَقْ جليد اللّيالي إذا رحلت النّاس وَاطِي وإذا قامت النّاس عالي » (الخَيْمة).

- النّموذج الثاني :

« عندي بنيّة تَضْحَك وعِجْبَتْها رُويحتها حتَّى السُّلطان يلبس عِيفتْها » (ماكينة الخياطة).

---

[1] ينظر: د. عبد المجيد قطامش، الأمثال العربيّة - دراسة تاريخيّة تحليلية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1 ، 1988،ص30-35 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاللّغز الأوّل، عكس مضمونه وسيلة حضاريّة تميّز المجتمع البدويّ وهي: الخيمة. أمّا اللّغز الثّاني، فقد صوّر مضمونه وسيلة حضاريّة جديدة تفاعل معها الإنسان السّوفي داخل المجتمع الحضريّ وهي: ماكينة الخياطة .

هذا على مستوى المضمون، أمّا تطوّر اللّغز الشّعبي على مستوى الشّكل، فلعلّنا لا نجانب الصّواب إذا زعمنا أنّ الأشكال التّعبيريّة الثلاثة الّتي عُرفت بها الألغاز – الفصيح منها والشّعبي – منذ العصور القديمة ظلّت كما هي دون تغيرات جوهريّة في بنيتها. وهذه الأشكال الثلاثة هي: المنظوم، والمسجوع، والعادي. وقد أوردنا في الصّفحات السّابقة نماذج متنوّعة لتلك الأشكال المختلفة.

بقي لنا – في هذا السّياق – أن نرصد تطوّر الألغاز الشّعبيّة على مستوى الطّقوس الّتي تصاحب تداولها.ويبدولنا،من خلال النماذج اللّغزية الّتي تنتمي إلى أمم مختلفة،والتي أوردنا طرفا منها في الصّفحات السّابقة ، أنّ أهمّ العوامل الّتي يمكن الاستناد إليها في تفسير طبيعة الطّقوس المصاحبة للألغاز قد تنحصر في عاملين أساسيّين:

- العامل الأوّل، يتعلّق بطبيعة المجتمع الّذي تُتداول بداخله الألغاز.
- أمّا العامل الثّاني، فيعود إلى طبيعة اللّغز في حدّ ذاته بنية و وظيفة.

فبالنّسبة للعامل الأوّل، نجد أنّ تداول الألغاز لدى بعض المجتمعات البدائيّة قد ارتبط بمواسم ومناسبات معيّنة وفي أجواء طقوسيّة خاصّة. من تلك المواسم والمناسبات مواسم الحصاد، وسقوط الأمطار، والزواج، والختان، والدّفن، وغيرها.

ومن الطّقوس المصاحبة للألغاز لدى تلك المجتمعات البدائيّة مانقلته د.نبيلة إبراهيم نقلاً عن الباحث " جيمس فريزر " في كتابه (الغصن الذّهبي) على « أنّه كان من عادة قبيلة من قبائل البانتو أن ترقص النّساء عرايافي احتفالات سقوط الأمطار،وهنّ يُغنّين:اسقطي أيّتها الأمطار،فإذا اقترب شخص من المكان ضربته النّساء و طرحن عليه الألغاز لحلّها » [1]. و يُحكى « أنّ بعض قبائل الهند الصّينيّة تجتمع قبل موسم حصاد الأرز، ويطرح بعض الأفراد الألغاز لحلّها. و عند حلّ كلّ لغز يصيح الجميع: « دع أرزنا ينمو في الجبال و السّهول » على أنّه يمتنع طرح الألغاز للحلّ في الفترة بين انتهاء موسم الحصاد وميعاد الزّرع الثاني » [2].

فأمثال هذه الطقوس تتعلّق مباشرة بطبيعة المجتمع الّذي يتداول أفراده الألغاز فيما بينهم في مناسبات اجتماعيّة معيّنة وفق معتقدات الجماعة، و عاداتها، و تقاليدها .

---

[1] ينظر: أشكال التّعبير في الأدب الشعبي، ص 192 .

[2] المرجع نفسه، ص 192 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمّا بالنّسبة للعامل الثاني الذي يعود إلى طبيعة اللّغز في ذاته من حيث البنية و الوظيفة، فإنّه من المعلوم أنّ بنية اللّغز يمكن تقسيمها إلى قسمين: بنية بسيطة، و بنية مركّبة. وكلّ من البسيط والمركّب مرتبط ارتباطا عضويّا بالوظيفة الموكل إليه أداؤها. و عليه، تكون الطّقوس المرافقة ملائمة لهذه الوظيفة التي تحملها تلك البنية. فاللّغز المركّب – مثلا – يصلح لأداء وظيفة التحدّي و الإختبار من قِبل السّلطان – في الحكاية الخرافيّة مثلا – الّذي يطرح لغزا صعبا على رعيّته، ويعد من يقدر على حلّه بمكافأة كبيرة تتمثّل في تزويجه من بنت السّلطان أو تقليده منصبا مرموقا لديه، أو ماشابه ذلك من المكافآت المغرية. فيضطلع البطل بتلك المهمّة. و طبيعيّ أن يُلقى مثل هذا اللّغز مصحوبا بطقوس ملكيّة خاصّة. كما يصلح اللّغز المركّب للتّباري بين فريقين مثلما كان معروفا في منطقة وادي سوف في فترات سابقة ازدهرت فيها الألغاز و الأحاجي. و لقد كانت أمثال هذه المنافسات تتمّ داخل إطار من الطقوس البدويّة تعكس- بصدق – روح البيئة و طبيعة المجتمع معا.

و لقد كانت المنافسات تدور في أوساط الكبار، « و أحيانا تتطوّر إلى التباري بين عائلتين وأحيانا بين قبيلتين، فتنصب خيمة للرّجال، و تشعل النّار للضّوء و تحضير الشّاي، و يترأس الجلسة شاعر (القوّال)، و تفتح المنافسة بالبسملة و الصّلاة على النبيّ صلّي الله عليه وسلمّ، و يبدأ التباري بكلمة : حاجيتكم و ما جيتكم، فيفتح السامعون آذانهم و يسبحون في فضاءات اللّغز و أبعاده ... »[1].

أمّا اللّغز البسيط، فيتوجّه به - عادة – إلى الأطفال أثناء السّمر عندما يجتمعون مع الجدّة أو الأمّ حول الموقد - إذا كانت اللّيلة شتويّة - « و يتمّ هذا غالبا قبل النّوم، و يفترض أن يكون ضوء المصباح منطفئا » [2]. و في ختام هذا المبحث الّذي تناولنافيه مظاهرتطوّراللّغزالشّعبي، نرى من الضّروري الإجابة عن سؤال جدير بالطرح في هذا المقام :

- لماذا غدا اللّغز اليوم أقلّ تداولا من الأجناس الأدبية الشّعبيّة الأخرى كالمثل والشّعر؟

ولعلّ القارئ - هاهنا - قد لاحظ أنّنا قارنّا اللّغز في نصّ السّؤال السّابق بجنسين أدبيّين دون سواهما . وهما: المثل و الشعر. وسبب هذا التّخصيص أنّنا نرى أنّ المثل والشّعر الشّعبيّين يعدّان اليوم من أكثر الأجناس البارزة شيوعاً وتداولاً على المستوى الشّعبيّ ويمكن أن نضيف إليهما النكتة الشّعبيّة. صحيح أنّ بعض الأجناس الشعبيّة أصبحت توظّف – بشكل أوبآخر – في بعض التجارب الشّعريّة أوالروائية الحديثة كالأسطورة والسّيرة. ولكنّه - على أيّة حال - يظلّ توظيفا نخبويّا لاشعبيّا.

---

[1] ينظر : بن على محمد الصالح، الألغاز الشّعبيّة في وادي سوف، مرجع سابق، ص05 .

[2] عبد المالك مرتاض، الألغاز الشّعبيّة الجزائرية، ص21 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المعلوم أنّ المقام - هاهنا- لا يسمح بالخوض في هذا الموضوع بشكل مفصّل ومعمَّق غير أنّ ما أشرنا إليه- هاهنا- قد يصلح أن يكون محور بحث مستقلّ أوبحثين حول التداوليّة و الانتشار في الأجناس الأدبية الشّعبيّة من جهة ، وتوضيف النصّوص الشّعبيّة في الأدب الرّسمي من جهة أخرى.

نعود الآن إلى الإجابة عن السّؤال السّابق حول محدوديّة تداول الألغاز الشّعبيّة اليوم قياسا بأجناس أخرى كالمثل والشّعر ؟.

لقد أشار بعض الباحثين البارزين إلى هذه المسألة بشكل عامّ وسطحيّ دون تعمّق أو توسّع، فالباحثة نبيلة إبراهيم تقول في هذا الصّدد: " على أنّ اللّغز أوشك أن يختفي مع عصر الحضارة والمدنيّة الذي نعيشه و لم يختف اللّغز وحده ولكن المقدرة على حلّ اللّغز أوشكت كذلك على الاختفاء.لقد نسي في زحمة المدينة ، وزحمة متطلباتها ، أنّ اللّغز وسيلة أساسيّة للتربية " [1]. وإلى مثل هذا الرأي ذهب الباحث عبد المالك مرتاض إذ قال: " وإذا كان أجدادنا وبعض آبائنا، ربّما كانوا ولايزالون يعنون بهذا الجنس الأدبيّ الشّعبي ويحفظونه خلفا عن سلف، فإنّ الزّمن تغيّر والجيل أصبح غير الجيل، والحياة غير الحياة، والحضارة غير الحضارة " [2].

فالباحثان كلاهما يّفسّران الظّاهرة بتغيّر الزمن والتطوّر الحضاري العام. وهو تفسير صائب بلا ريب ولكن نراه غير كاف. ولعلّ من شأن الموازنة بين اللّغز والمثل والشّعرعلى الصّعيد التّداولي، أن تضيء بعض الزّوايا والجوانب في هذا الموضوع. فالمثل الشّعبي يضطلع - أساسا- بإصلاح وتقويم السّلوك الفردي والاجتماعي من خلال التّذكير بالقيم الأخلاقيّة والاجتماعية للمجتمع الذي يتداوله . فالحاجة إليه - إذن- ذات طابع دائم ومتجدّد بدوام وتجدّد أنماط السّلوك الفردي والاجتماعي في تنوّعها وتناقضها داخل شبكة العلاقات الاجتماعيّة الواسعة. أمّا الشّعر الشّعبيّ، فلعلّ جمعه بين البعدين: الذّاتي والاجتماعي يمنحه قدرا معتبرا من الانتشار والتداول بشكل مستمرّ خصوصا أنّه كثيرا ما يستدعى ويستحسن في مختلف المناسبات الدينيّة والوطنيّة والاجتماعيّة، كما أنّ ارتباطه بالأغاني الشّعبيّة كأغاني الأفراح، وأغاني العمل وغيرها يعزّز انتشاره وتداوله.

أمّا اللّغز الشّعبي، فلعلّ طبيعة بنيته ومفهومه ووظيفته تجعل دائرة تداوله محدودة خصوصا إذاتحقّق بعده الوظيفيّ بأشكال أخرى. والبعد الوظيفيّ يعدّ - في نظرنا- من أهمّ العناصر في الانتشار والتّداول. وتكاد وظيفة اللّغز أن تنحصر في جانبين اثنين: التّعليم والتّسلية [*].

---

[1] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص202 .

[2] المرجع السّابق، ص19 .

[*] سنخصّص المبحث اللاحق لوظيفة اللّغز الشّعبي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وممّا لا شكّ فيه أنّ العصر الحديث قد أبدع وابتكر في مجالي التّعليم و التّسلية على نحو غير مسبوق. فإذا كان اللّغز وسيلة لاختبار الذكاء وتمرين الذهن على التفكير ودقّة الملاحظة في جوّ من المرح والتّسلية، فإنّ عصرنا الحالي قد جنّد - لتحقيق هذه الأهداف و غيرها - المؤسّسات والنظم التربويّة والتعليميّة، والثقافيّة والفنيّة و غيرها مع الإستعانة بما أتاحته التكنولوجيا المتطوّرة من أجهزة فعّالة توشك أن تغزو كلّ البيوت كالمذياع والتّلفاز، والحاسوب... إلخ .

وبناء على ماتقدّم، يتبيّن لنا أنّ اللّغز الشّعبيّ قد حاصره التطوّر الحضاري العام، وضيّق نطاق تداوله تدريجيّا بأن أوجد بدائل له تؤدّي وظيفته وتقوم مقامه. وفي المقابل، يبدو أنّ رياح الحضارة الحديثة لم تزعزع خيام الشّعر الشّعبيّ، والأمثال الشّعبيّة إلاّ قليلا.

رابعا: وظيفة اللّغز الشّعبيّ:

لقد فرضت علينا سيرورة البحث في هذا الفصل وتدخل العناصر المكونة لهويّة اللّغز الشّعبيّ، أن نشير إلى عنصر الوظيفة في أكثر من موضع. وفي هذا المبحث الرّابع والأخير من هذا الفصل، سنحاول معالجة هذا الموضوع بشيء من التوسّع والتّفصيل.

تجدر الإشارة - في بداية هذا المبحث - إلى أنّ مسألة الوظيفة في العمل الأدبي تعدّ من أبرز القضايا والمباحث الّتي تدرس في إطار نظريّة الأدب. ولقد كان البحث في ماهية الأدب مفهوما و وظيفة و نشأة و تطوّرا محور اهتمام المفكّرين والنّقّاد منذ العصر الإغريقي القديم إلى العصر الحديث.

ومن الطبيعي أن تختلف آراء أولئك المفكّرين والنقاد حول تلك المسائل بحسب المذاهب الفكريّة والاتجاهات النقديّة الّتي ينتمون إليها. و في هذا السّياق، يفترض في عموم الدّارسين والمهتمّين بالأدب والنّقد أن يكونوا على دراية بآراء أرسطو- مثلا- فيما يتعلّق بالوظيفة التّطهيريّة للأدب، وآراء هوراس الذي حصر وظيفة الأدب في الفائدة أو المتعة، أو في الجمع بين الفائدة والمتعة معا (1). وهناك آراء أخرى متعدّدة ومتنوّعة حول هذا الموضوع لنقّاد ومفكّرين من العرب والغربيّين قديما وحديثا (2). « ويبدو أنّ مفهوم وظيفة العمل الأدبي قد اتّسع مجاله، فلم يعد يقتصر على مسألة أخلاقيّة، وإنّما جمع إلى جانب الفائدة التّعليميّة، المتعة الجمالية » (3).

---

(1) ينظر: شايف عكاشة، اتجاهات النقد المعاصر في مصر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1985، ص11 .

(2) ينظر: شايف عكاشة، نظرية الأدب ج1، القسم الأوّل، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1987، ص- ص 18- 23 .

(3) شايف عكاشة، اتجاهات النقد المعاصر في مصر، ص- ص 11، 12 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد هذه التوطئة حول وظيفة العمل الأدبي بشكل عام، نحاول – هاهنا – أن نسلّط بعض الضّوء على وظيفة اللّغز الشّعبيّ على وجه التخصيص والتّحديد.

ولعلّ الحقيقة التي يمكن تقريرها في هذا السّياق هي أنّ آراء الباحثين تكاد أن تتفّق حول وظيفتين أساسيّتين – على الأقل – يضطلع بتحقيقهما اللّغز الشّعبيّ، وهما:

- وظيفة التربية والتّعليم .
- وظيفة التسلية والتّرفية .

وسنستعرض فيما يأتي آراء بعض الباحثين الذّين أكّدوا هذه الحقيقة المتعلّقة بالبعد الوظيفي للغز الشّعبيّ، حيث تقول الباحثة نبيلة إبراهيم في هذا الشأن : " .... أنّ اللّغز وسيلة أساسيّة للتربيّة. ذلك لأنّه يعلّم الأطفال والكبار معا كيف ينظرون إلى المشكلة من كلّ جوانبها. ثمّ يحتفظون بعد الكدّ والتّفكير بحسّ فكاهي " [1] .

أما الباحث الجزائريّ عبد المالك مرتاض فيوسّع الدائرة الوظيفيّة للّغز. فهو عنده ليس مجرّد ترف ثقافي وتسلية عابرة ، " بل إنّنا نجد للّغز دلالات عميقة: تعني الحضارة، والتّاريخ، وتعني التربيّة والتّعليم. وقلّما تكون غايتة سطحيّة عابرة " [2]. ذلك أنّ تداول الألغاز الشّعبيّة يتمّ بين أفراد من المجتمع يلتقون داخل الأسرة أو خارجها في مكان وزمان معينين حول موضوعات مختلفة تهمّ الجميع تتّصل بالإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، وغير ذلك من مظاهر الطبيعة والبيئة المحيطة على مستوى الذّوات والمعاني على حدّ سواء. وهذا النشاط الجماعي من شأنه أن يربط الصلات الاجتماعيّة بين الأفراد والجماعات[3].

ومن بين الباحثين المتخصّصين في الأدب الشّعبيّ الذين أكّدوا الحقيقة السّابقة الدكتور عبدالحميد يونس في كتابه (دفاع عن الفولكلور) ص116 حيث يقول عن الألغاز مانصّه :

" لا تنهض بمجرّد الرّياضة العقلية، وإنّما تقوم بوظيفتين أساسيّتين هما: الوظيفة الثقافيّة والوظيفة النفعيّة إلى جانب وفائها بالسّمر وتزجية الفراغ " [4].

---

[1] أشكال التعبيرفي الأدب الشعبي، ص 202 .

[2] ينظر: الألغاز الشعبية الجزائرية، ص27 .

[3] المرجع نفسه، ص27 .

[4] نقلا عن: طلال سالم نايل، التراث الشّعبي الجزائري، مجلّة التراث الشّعبي، وزارة الإعلام، العراق، العدد 10، السنة 8، ص 240 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعلَّ الوظيفة التعليمية التربوية- بشكل خاصّ- للّغز الشَّعبيّ تتجلّى- بوضوح أكثر- في حكايات الألغاز ذلك أنَّ الحكاية الشّعبيّة في عمومها تؤدّي عدَّة وظائف داخل المجتمع الذي يتداولها، منها إلىجانب الترويح عن النفس-:

- تعليم التربيَّة الاجتماعيَّة والأخلاقيّة.

- تثبيت القيم الثقافيّة والاعتقاديّة.

« فالحكاية بتناولها لطبيعة العلاقات الاجتماعيَّة فهي تنوه بأخلاق البشر الحميدة وعلاقاتهم فيما بينهم وواجبات كلَّ واحد إزاء الجماعة الّتي ينتمي إليها » [1].

ومن حكايات الألغاز الشّعبيّة الّتي تشتمل على الوظيفة التّعليميّة والتربويّة تلك الحكاية الّتي تروي أنّ رجلا سألته زوجته: أين العقل ؟، فخشي أن يتعجل في الإجابة فلا يوفّق ويظهر أمام زوجه بمظهر العاجز فطلب منها أن تمنحه مهلة، و خرج من بيته باحثا عن حلّ لذلك السّؤال الملغز. وانتهى به المطاف أمام خيمة في الصّحراء، طرق بابها فخرجت له فتاة في سنّ النّضج فسألها عن أبيها، وأخيها، وأمّها، فأجابته إجابات في شكل ألغاز. عند ذلك بلغ التعجّب من الرّجل مبلغه وقال في نفسه: " لقد جئت لأحلّ لغزا فإذا بي أمام ثلاثة ألغاز!".وبعد وقت عاد الثلاثة واحدا بعد الآخر وكلّ يأتي على هيئة يدرك من خلالها الضّيف حلّ اللّغز المتعلّق به .عند ذلك قال الرّجل :

" الآن قد حلّت لي الألغاز الثلاثة، وبقي لغزي الّذي أتيت من أجله " وجلس الثّلاثة حول الضّيف مرحّبين به، وتعجّب الأب من أنّ ابنته لم تقدّم للضّيف شيئا، فصاح بها قائلا: لماذا لم تقومي بواجب الضيافة، أين عقلك ؟ وهنا تأهّب الرّجل لسماع الردّ عن هذا السّؤال، فردّت الفتاة قائلة: " إنّني أقوم بطهي الطعام للضّيف ألا تعلم أنّ العقل في الصّبر؟ " وسعد الرّجل بهذه الإجابة وحملها فورا إلىزوجته .

وتعلّق الدكتورة نبيلة إبراهيم على هذه الحكاية بقولها: "هذه الحكاية المحكمة البناء، قد صاغها الخيال الشّعبي على هذا النّحو ليؤكّد بها قيمة الصّبر في حياتهم، فالإنسان العاقل بالنّسبة للشّعب هو ذلك الإنسان الصّابر على مشقّات الحياة، والعكس صحيح، فمن لا صبر عنده، لا عقل له " [2].

وإلى جانب قيمة الصّبر تحمل هذه الحكاية اللّغزية قيمة أخرى أخلاقيّة اجتماعيّة أصيلة وهي واجب إكرام الضّيف.

---

[1] ينظر: سعدي محمد، الأدب الشّعبي بين النظريّة والتطبيق، ص 68 .

[2] ينظر: نبيلة إبراهيم، قصصنا الشّعبي من الرومانسية إلى الواقعية، مكتبة غريب، دار قباء للطباعة، دط، 1992 ، ص- ص 179,178.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهناك قضيّة نراها خليقة بأن تطرح في هذا المقام تتعلّق بوظائف اللّغز الشّعبي بين الثّبات والتغيّر.

لعلّنا لا نحيد عن الصّواب إذا زعمنا أنّ مسألة الثبات والتغيّر في عنصر الوظائف ترتبط ارتباطا عضويّا بالبواعث الدافعة إلى إبداع اللّغز وتداوله. فالقبائل البدائيّة التي كانت تتداول الألغاز في العصور الأولى قبل موسم الحصاد، وفي انتظار سقوط الأمطار، وقبل الزواج، وعند الختان والدفن .. إنّما كانت - بذلك - تعبّر حسب بعض الدارسين عن حالات الغموض التي تحيط بتلك المواسم والمناسبات ومآلاتها. فكان اللّغز بغموضه بمثابة معادل موضوعيّ لتلك الظواهر والحالات الغامضة. ولعلّ القدرة على حلّه تمثّل لديهم فأل خير وبشرى بالفرج والإنفراج والسّعادة، فاللّغز في هذه الحالة كان يؤدّي وظيفة نفسيّة اجتماعيّة في حياة الجماعة. وبعد تطوّر اللّغز وارتباطه بمجالس الحكماء والعارفين وبقصور الملوك والسّلاطين، و لاسيما في الحكايات الخرافيّة والشّعبيّة، أضحت وظيفته اختباريّة من جهة السّائل صاحب اللّغز، وإثباتيّة من جهة المسؤول المطالب بالحلّ. بمعنى أنّ السّائل يريد اختبار المسؤول في درجة ذكائه، والمسؤول عليه إثبات ذاته وكفاءته أمامه.

« فاللّغز وظيفة هي امتحان الأشخاص لتبيان إمكاناتهم الفكريّة، وبالتّالي قدراتهم على تحمّل أعباء أكبر وانتقالهم إلى رتبة أعلى » [1].

أمّا الألغاز البسيطة الموجهة - أساسا - إلى الأطفال، فغالبا ما تجمع بين وظائف التربية والتّعليم، والتّسلية والتّرويح في فضاء السّمر العائليّ بدفئه وحميميّته.

وقبل ختم هذا الفصل، نودّ التعليق - بشكل سريع - على " تخريجة " لغويّة شاذّة وغريبة لأحد الدّارسين حاول من خلالها الربط بين لفظ اللّغز والمضمون الجنسي عبر قلب كلمة (لغز) لتصبح (غزل)! والأغرب من ذلك أنّ الدّارس نفسه يعترف بأنّ في ذلك تحميلا للفظة، وتعسّفا... " لكن تبقى تلك الإشارة طريفة حتّى وإن لم تكن سنداً و لا حجّة " على حدّ تعبيره [2].

والحقّ أننا لانرى مبرّرا لهذا الشذود و التمحّل. و لو أنّنا سرنا مع هذا المنطق على طريقة القلب اللّفظي تبعا للهوس الجنسي، لا تّسعت هذه الدائرة لتتجاوز جنس اللّغز إلى أجناس أدبيّة أخري كالمثل والشّعر، فتتحوّل لفظة (مثل) إلى (لثم)، و تنقلب كلمة (شعر) لتصبح (رعش). و لعلّنا لا نحيد عن الصّواب إذا رأينا أنّ مثل هذه التخريجات اللّفظيّة الّتي لا سند لها و لا حجّة - بإعتراف أصحابها أنفسهم-لا تمثّل إضافة نوعيّة إلى البحث العلميّ مع احترامنا لأصحابها ولمكانتهم العلميّة .

---

[1] د. طلال حرب، أوليّة النّص، مرجع سابق، ص 157 .

[2] ينظر: د. علي زيعور، صياغات شعبيّة حول المعرفة و الخصوبة والقدر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص31 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و مجمل القول، في ختام هذا الفصل، الذي تناول هويّة اللّغز مفهوما، و نشأة، و تطوّرا، ووظيفة، أن مفهوم اللّغز يرتبط – دائما – بالغموض و التّعمية في كلا الأدبين الرّسمي و الشّعبيّ. و أنّ التّمييز بين الفصيح منه و العامي يعتمد على معيار اللّغة دون الموضوع و الوظيفة .

كما أكدّ البحث صعوبة تحديد النشأة الأولى و أسبابها بالنّسبة إلى اللّغز الشّعبيّ لإيغاله في القدم. وتمّت مناقشة عدّة آراء في هذا الشّأن. و قدّم الباحث فكرة مفادها إمكانيّة إرتباط النشأة الأولي برؤى المنام، ولا سيّما الرؤى التنبؤيّة لإشتراكها مع الألغاز في عدّة خصائص .

أمّا تطوّر اللّغز الشّعبيّ، فهو يتعلّق – على نحو خاصّ – بالمفهوم، و المضمون، و الطقوس و لقد تبين أنّ ارتباط مفهوم اللّغز عند أهل سوف « بالخُرَّاف » كما يسمّونه، يعود إلى بعض الأسباب، لعلّ من أبرزها التناص الحاصل بين اللّغز و بقية السّرديّات الشّعبيّة منذ القدم. و تطوّر المضمون مرهون بالتطوّر الحضاري العام، فيما يحكم تطوّر طقوس اللّغز عاملان: طبيعة المجتمع، وطبيعة اللّغز .

و تطرق الباحث - بعد ذلك - إلى محدوديّة تداول الألغاز – حاليّا – بالقياس إلى أجناس أخري كالمثل والشّعر، و تبيّن أنّ اللّغز الشّعبيّ - خلافا للمثل و الشّعر - قد حاصره التطوّر الحضاريّ العام، وضيّق دائرة تداوله بإيجاد بدائل له تؤدّي وظيفته.

وذلك بأنّ استمرار التّداول لأيّ جنس أدبيّ شعبيّ مرهون بمدى حاجة النّاس إليه من خلال الوظيفة الّتي يؤدّيها في حياتهم، لأنّ" أيّ مادّة شعبيّة– مهما كان نوعها– محكوم عليها بالفناء والاندثارإذا فقدت صلتها بالنّاس، فالتسمية الأساسية للفولكلورعامّة، والأدب الشّعبي خاصة، أنّه من الناس وإلى الناس" [1].

وفي مبحث الوظيفة، بيّن الباحث أنّ للّغز - في عمومه – وظيفتين أساسيّتين: التّعليم والتّسلية. أمّا الثبات والتغير في الوظائف. فيرتبطان ببواعث إبداع اللّغز وتداوله .

---

[1] ينظر: د. أحمد علي مرسي ، مقدّمة في الفولكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1975، ص 144 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصـــــــل الثاني:

تجليات البيئة السوفية في الألغاز الشعبية

- التمهيـــــــد
- أوّلا: عـــالم الإنســـان
- ثانيا: عـــالم الحيـــــوان
- ثالثا: عـــالم النبـــــات
- رابعا: عـــالم الجمـــــاد
- خامسا: العوالم المشتركـــة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تجليّات البيئة السوفيّة في الألغاز الشّعبيّة

- تمهيـــد:

سنحاول في خلال هذا الفصل أن نرّكز البحث والدّراسة حول إشكاليّة جوهريّة يمكن أن تـــصاغ على النّحو الآتي:

ما مدى انعكاس مظاهر الحياة والبيئة في منطقة وادي سوف على مستوى ألغازها الشّعبيّة ؟

ولّما كانت هذه الإشكاليّة جوهرية في هذا البحث فقد خصّصنا فصله التّمهيدي الأوّل للإطـــار العـــام لمنطقة البحث من أجل تسليط بعض الإضاءات على أبعادها الجغرافيّة، والتّاريخيّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة وغيرها.

ولعلّ التّصنيف الذي اعتمدناه بخصوص الألغاز الشّعبيّة التي جمعناها يساعد في مقاربـــة الاشـــكاليّة المركزيّة لهذا الفصل.

ولقد قام التصنيف الذي هُدينا إليه على أساس موضوعات الألغاز التي تنتمي إلى عـــوالم الانـــسان، أوالحيوان، أو النبات، أو الجماد، أو إلى عوالم مشتركة. ذلك أننا رأينا أنّ تجليات البيئة في منطقة وادي سوف لا تتجاوز دائرة هذه العوالم .

وقبل الدخول في صلب الموضوع، تجدر الاشارة إلى أنّ الألغاز الشعبية في وادي سوف كثيرة، منها البسيط الموجه للأطفال، والمركب المعقد المخصص للكبـــار ومنـــها – كعامـــة الألغـــاز – المنظـــوم، والمسجوع، والعادي.

واللغز النموذجي عند أهل سوف ما كان "صمديا" أو "دواليا":

1 - اللغز الصّمدي: وهو اللغز الذي ينسب إلى عبد الصمد الشابي. وكثيرا مـــا يفـــتح بالعبـــارة الشهيرة: (عبد الصمد قال كلمات) [1].

---

[1] توفي سنة1025 هـــ -1616م وهو من أبرز رجالات الأسرة الشابية المنسوبة إلى بلدة الشابة بالساحل التونسي. وقد كان لهذه الأسرة دور كبير في تاريخ تونس والجزائر في العهد العثماني وتجلّى ذلك الدور على الصعيد السياسي والثقافي والديني (تأسست الدولة الشابية بالقيروان سنة 942 هـــ الصادرة عن الطريقة الشابية) وشمل تأثيرها مناطق مختلفة من تونس، ومناطق قسنطينة والأوراس وبلاد سوف بالجزائر، ويقطن أغلب الشابية بتوزر. ولعبد الصمد نسل بناحية القبائل وباتنة وهم المعروفون الآن بأولاد عبد الصمد. (تنظر المراجع الآتية) : 1- إبراهيم العوامر، الصروف، ص 192 . 2- د. علي الشابي، مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية، المجلة التاريخية المغربية، يناير 1979، ص – ص 56 -81 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتتميز الألغاز الصّمديّة ببنيتها اللغوية والفنية المحكمة التي جعلت من صاحبها «رائدا للأدب الشعبي، دون مدافع، في كل من تونس، والجزائر، وما تزال ألغازه وأحاجيه طلبة للشداة لعمق خيالهـــا، ودقّـــة حبكتها، وشاعرية لغتها » [1].

2 - اللغز الدّوالي: « وهي التي تنسب إلى ابن دوال وهو شخص حكيم له قدرة فائقة على تركيب الألغاز والتّباري في حلها، وينسبون إليه اللغز الشهيـــر: أحلى مـــن آش، وأمـــر مـــن آش ، وأبـــشع من آش؟» [2]

وبعد هذه التوطئة المختصرة حول الألغاز الشعبية في وادي سوف بشكل عام، ندلف فيمـــا يـــأتي إلى عوالم هذه الألغاز لنستجلي من خلالها مظاهر الحياة والبيئة في منطقة وادي سوف في مختلف مناحيها وأبعادها.

- أوّلا: عـــالم الإنســـان:

لقد تناولت الألغاز الشعبية في وادي سوف عالم الإنسان بكل مكوناته وخصائصه في ضوء ما كانت تتيحه الثقافة الشعبية في زمن التداول. فالإنسان بأبعاده الفيزيولوجيّة، والنفسية، والدينية، والأخلاقيـــة، والاجتماعية، والثقافية، وغيرها كان أحد المحاور الرئيسية للألغاز الشعبية في منطقة البحث. ولا غـــرو في ذلك، فالألغاز أبدعها الإنسان للإنسان، وحتى العوالم الأخرى التي تناولتها الألغاز كعالم الحيـــوان، وعالم النبات، وعالم الجماد، إنّما هي عوالم سخرها الله ربّ العالمين للإنسان ليحـــسن التعامـــل معهـــا و الانتفاع بها.

وعند استقرائنا للألغاز الشعبية المتعلقة بعالم الإنسان، ألفينا أنّ البعدين: الفيزيولوجي والـــديني قـــد استأثرا بأغلبية الألغاز بالقياس إلى النسبة المتبقية المخصصة للأبعاد الأخرى المذكورة آنفـــاً. وفي هـــذه الملاحظة الأولية دلالتان:

- الدلالة الأولى: تتمثل في كون العقلية الشعبية تعنى بكيان الإنسان، وتعلي من شأنه باعتبـــاره قيمـــة مركزيّة في هذا الوجود.

---

[1] ينظر: علي الشابي، مصادر جديدة لدراسة لتاريخ الشابية، المجلة التاريخية المغربية، يناير 1979،ص- ص80 ،81

[2] ينظر: بن علي محمد الصالح، الألغاز الشعبية في وادي سوف، ص7 .(ولقد أورد الأستاذ ابن علي في هذا المرجع حكايتين شعبيتين تُنسبان إلى كلٍّ من عبد الصمد وابن دوال فحواهما أنّ لكل منهما ابنا خبيراً بالألغاز إبداعاً وحلاً من دون سائر الناس! وكأنّ العقلية الشعبية أرادت بذلك الإيحاء بأن فن الألغاز موهبة ربانية خُصَّ بها صنف مُميزٌ من الحكماء، وقد تنتقل إلى بعض أبنائهم بالوراثة).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- الدلالة الثانية: مفادها أنّ للدين تأثيرا كبيرا في حياة سكان وادي سوف الذين يتداولون هذه الألغاز. فعلى الرّغم من كون الألغاز تتناول الأشياء المفردة في الغالب أو المركبة أحياناً من حيث مكوّناتها، وخواصها، ووظائفها. على حين تضطلع أجناس أدبية أخري كالمثل والشعر والحكاية بترسيخ القيم الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية ... على الرّغم من هذا كله، وجدنا للبعد الديني حضورا معتبرا على مستوى الألغاز ممّا يؤكد الدّلالة السابقة التي أشرنا إليها، والتي توسعنا فيها بعض الشيء في الفصل التمهيدي .

وبناء على ما تقدم، سيكون البعدان: الفيزيولوجي والدّيني في ألغاز عالم الإنسان محلّ اهتمامنا في المقام الأوّل. أمّا بقيّة الأبعاد، فسيتم تناولها في مظانّها المحدودة من خلال إشارات سريعة .

أ- البعد الفيزيولوجي:

صوّرت الألغاز الشعبية الإنسان في مختلف أطواره: صوّرته جَنينا، ووليدا، ورجلا، وامرأة، وأمّا وأبا، وعجوزا مسنا. كما تناولت أعضاء جسم الإنسان الظاهرة والباطنة، وبعض الظواهر الإنسانية الأصيلة ذات الطابع الفيزيولوجي والنفسي كالنوم والرؤيا إلى جانب ظاهرة الموت فالإنسان جنينا في بطن أمه شدّ إليه المخيّلة الشعبية بغموض جنسه ومصيره فكان بمثابة لغز واقعيّ عبر عنه بلغز إبداعيّ. فاللغز الشعبي عبّر عن غموض جنس الجنين من حيث الذكورة والأنوثة بقوله "طاحت حبة في بير، ما عرفناها قمح وإلاّ شعير " [1].

وقد عكس هذا اللغز بعض مظاهر البيئة في وادي سوف من حيث استعمال البئر للشرب والسقي،كما عرّفنا بأبرز الحبوب المعتمدة، كالقمح والشعير أمّا غموض المصير فيما إذا كان سيكتب للجنين أن يرى النور فيعيش عمرا ثانيا يضاف إلى عمره الأول الذي قضاه في بطن أمّه، فإنّ اللغز الشعبي يعبر عن هذا المعنى تعبيرا بديعا يستخدم فيه البعد العددي، فيتحوّل اللغز بذلك إلى اختبار رياضي حسابي يضيف إلى المتعة الخيالية متعة ذهنيّة .

---

[1] ينظر: الملحق رقم:01 ، مدونة الألغاز ، عالم الإنسان ، اللغز رقم:11، ص 164 من هذا البحث .(وسنقتصر في الهوامش القادمة على ذكر العالم المعيّن ورقم اللغز فقط على نحو: عالم الإنسان: (11)، عالم الجماد:(52)...إلخ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نجد هذا كله في اللغز الآتي بروعة إيجازه، ودقة معناه و مبناه:

"افهم يافهام، وإذا فهمت حديث المعاني، عايش 270 يوم يتمنى عمر ثاني " [1]. ونلاحظ- هاهنا – نسبة الفعل (يتمنى) إلى الجنين على خلاف الواقع. ويفهم منه الإمعان في التعمية التي هي من لوازم اللغز، ذلك أنّ النسبة لو اتخذت وجهة أخرى لَاتّضح المعنى.

وبعد خروج الجنين إلى العالم الجديد لينتقل إلى طور الوليد، يركز اللغز الشعبي تصويره على أبرز خصوصيات هذا الطور ومتطلباته ممثلة في الرضاعة والقماط.

"جانا ضيف وضيفناه وجاء من بلاد الظلام، أعطيناه لحمتين بلا عظام " [2] فالوليد الجديد ضيف قادم من عالم آخر (بلاد الظلام)، وإكرام الضيف واجب. ومن أفضل مايقدم للضيف من الطعام اللحم بلا عظام، والمراد به ثديي أمه.

"جانا ضيف ضيفناه وكتفناه!" [3]

وهاهنا دهشة التناقض والمفارقة: فالضيف أكرم ثم شد وثاقه! وتزول الدهشة عندما نعلم أنّ الضيف هو الصبي الوليد الذي يكرم بالرضاعة ثم يربط بالقماط. وفي هذا اللغز،تألق الخيال، فتعانق المجاز والإيجاز لتصنع الدهشة.

والحديث عن الجنين والوليد يسوقنا – بالضرورة – إلى الحديث عن الأم ذلك المحضن الدافئ حيث يتدفق فيض الحنان مع لبن الإكرام في محراب الأمومة فهل للأم نصيب في عالم الألغاز ؟ أجل :

"تبدأ بالميم، والميم في قلبك يامحلاها، إذا ذهبت الميم عمرك ما تنساها " [4] والجواب :ماما.

وحرف الميم في لفظة (ماما) له سر عجيب « ...حتى أنّ اللغات الإنسانية لم تتفق في شيء اتفاقها في تسمية الأم: فمعضم اللغات حين يتعلق الأمر بالأم، نجد الميم لا تفارقها. فمن ذلك مثلا: العربية والفرنسية، والانجلزية، والإسبانية، والفارسية، والبربرية ... » [5].

---

[1] عالم الإنسان: (69) .

[2] نفسه: (73) .

[3] نفسه: (117) .

[4] نفسه: (72) .

[5] ينظر: د. عبد المالك مرتاض، الألغاز الشعبية الجزائرية ،ص 55 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمّا الإنسان أبا، فقد تناولته الألغاز الشعبية عبر شبكة النّسب وما تتيحه أصولها وفروعها من علاقات متشابكة ومتفرعة تتفاوت مستويات تعقيدها من لغز إلى آخر.

فمن أمثلة المستوى البسيط في دائرة شبكة النسب اللغزان الآتيان:

1- "عمّتك أخت ابّاك، خال ولدها، واش يقرب لك ؟ " (أبي) [1].

2- «خلّيني يا عمّي في حالي، خو مراة الميت خالي. من هو الميت ؟» (الميت هو الأب) [2].

أمّا المستوى المعقد، فنجده في مثل اللغز الآتـــي بغرابته وتعقيده على الرغم من إيجاز لفظه ووضوح أطرافه داخل شبكة النسب:

« يا خوي يا ولد أمّي يا اللّي ابّاك أخو ولدي، فّسر والاّ نوض من عندي ». [3]

وواضح أن سر التعقيد في هذا اللغز يكمن في تلك العلائق الغريبة بين أطراف النسب إذ كيـــف يعقـــل أن يكون والد أخي ابن أمي أخا لوالدي أنا ؟! بيد أن الغرابة تزول عندما نعرف الحل المتمثل في وجود امرأة وابنتها، ورجل وولده، يتزوج الأب البنت، ويتزوج الولد المرأة، فعندما ينجـــب كـــل منـــهما الأولاد، يصح هذا القول.

وهذا النوع من الألغاز كان بمثابة التمارين الرياضية التي تتعاطها الجماعـــة الـــشعبية فيمـــا بينـــها - في غياب التعليم المدرسي أو محدودية انتشاره- باعتبارها وسيلة تعليمية وترفيهيـــة تـــدرب الـــذهن على دقة الملاحظة وحسن الربط بين الأشياء في جو من المرح والتسلية.

وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن هذا الصنف من الألغاز شديد الـــشبه بالتمـــارين الرياضـــية والحسابية من حيث الانطلاق من معطيات أو مقدمات معينة للوصول إلى نتائج صحيحة عـــبر علائـــق وخطوات متدرجة.

وبخصوص طور الشيخوخة وما يصحبه من ضعف عام، تتألق المخيلة الشعبية في الوصف والتـــصوير من خلال استعارات وكنايات بديعة على شاكلة اللغز الآتـــي:

" لبْعادْ قرّبوا، والجماعة تفرّقوا، والاثنين ولّوا ثلاثة " [4].

---

[1] عالم الإنسان: (89) .

[2] نفسه: (75) .

[3] نفسه: (97) .

[4] نفسه: (116) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلفظة " لبْعادْ " كناية عن العينين من حيث مدى الرؤية الذي كان بعيدا فصار عند الكبر قريبا لضعف البصر. والمراد بالجماعة الأسنان التي ما يزال الدهر بها حتّى فرّق جمعها، أمّا الاثنان اللّذان صارا ثلاثة، فهما الرجلان وقد أضيف إليهما العكاز بعد الضّعف والشيبة.

وتعتمد المخيلة الشعبية في هذا اللغز على المقابلة بين طورين متناقضين يمر بهما الانسان متحوّلا من القوة إلى الضّعف، ومن القدرة إلى العجز على ثلاث مستويات حيويّة: الإبصار، والمضغ، والمشي.

وما يمكن استنباطه من هذ اللغز - أيضا- أن مفهوم القوة في الذهنية الشعبية يتمثل في مظهرين:

- المظهر الأول: فاعلية العضو في ذاته واستغناؤه عن غيره (العينان، والرّجلان)
- المظهر الثاني: القوة في الاتحاد والضعف في التفرق: (مثال الأسنان).

وفي لغز آخر، يمعن الخيال الشعبي في التعبير المجازي مصورا مظاهر الكبر والعجز على النحو الآتي: "طاح الثلج فوق روس الجبال، وطاحت الديار في الساحل واثنين يستنوّا في واحد باش يخلّصو الواحد" [1]، فالمراد بالثلج - هاهنا- الشيب حين يكسو رؤوس الشيوخ والديار التي سقطت هي الأسنان التي كانت تشكل ساحل الفم وما فيه من ريق ولعاب، أمّا القسم الثالث من اللغز فيتحدث عن الرجلين عند الكبر وهما ينتظران الواحد أي العكّاز لتخليص الواحد وهو الإنسان العجوز.

وللاستعارة في هذا اللغز الشعبي دلالتان:

- دلالة بلاغية: حيث استعير الثلج للتعبير عن الشيب بجامع البياض كعلاقة مشابهة بينهما، كما استعيرت ديار الساحل للتعبير عن الأسنان بجامع الإحاطة بالسائل.
- دلالة طبيعية بيئية: حيث استعيرت مظاهر من خارج البيئة الصّحراويّة: (الثلج، الجبال، الساحل) للتعبير عن أبرز أعراض طور الكبر والعجز.

---

[1] عالم الإنسان: (5) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما قدمناه، في الصفحات السّابقة بخصوص البعد الفيزيولوجي للانسان يتعلق بكيان الانسان ككـــل في مختلف أطواره وأدواره: جنينا ووليدا وأما وأبا، وشيخا مُسِنّا.

أمّا الآن، فسنتطرق إلى بعض الألغاز التـــي تناولت فيزيولوجيا الإنسان من خلال حواسه وأعضائه الحيوية ما ظهر منها وما بطن.

ونشير، في هذا السياق إلى أننا اقتصرنا على الأعضاء التي قصدتها الألغاز بشكل مباشـــر دون بقيـــة الأعضاء التي وردت في سياقات أخرى كالرجلين وشعر الرأس المتحول شيبا في معرض الحديث عن طور الكبر.

ولقد قمنا بعملية إحصاء حول هذا المحور (أعضاء جسم الإنسان)، وخلصنا إلى جملة مـــن النتـــائج يوضحها الجدول الآتي:

أعضاء جسم الإنسان	عدد الألغاز بشأنه	النسبة المئوية
مجموع الأعضاء	44	%36,06 (من أصل 122 لغزاً في عالم الإنسان)
العين	11	%25 (من أصل 44 لغزاً)
العقل والقلب	05	%11,36 (" " " ")
اليد والأصابع	03	%06,81 (" " " ")
اللّسان	03	%06,81 (" " " ")
الأذن	02	%04,54 (" " " ")
الأنف	02	%04,54 (" " " ")

ولعلّ الملاحظة الأولى التي يمكن تسجيلها تعليقاً على هذا الجدول تتمثل في النسبة المعتبرة من الألغاز الشعبية المخصصة لأعضاء جسم الإنسان بشكل عام، ممّا يعني اهتمام الإنسان بنفسه وتفكّره في أعضاء جسمه وحواسه التـــي بها قوام حياته. ذلك أنّ مختلف أوجه نشاطه في الحياة مرهون بمدى صحة تلـــك الأعضاء والحواس وسلامتها. أمّا الملاحظة الثانية، فتتعلق بنصيب حاسة الإبصار: العين من مجموع ألغاز الأعضاء، فهي تأتـــي في الصّدارة مستحوذة على ربع العدد الإجمالـــي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعل التفسير الذي يمكن أن يقدّم بهذا الصدد يعتمد على القيمة العظمى، والأهمية القصوى لحاسة الإبصار لدى الإنسان، فمن المعلوم أنّ العين لا تقدّر بأيّ ثمن، وفقدان البصر فيها لا يمكن تعويضه بأي حال من الأحوال فلو خير الإنسان بين عينه وباقي حواسه لرجحت لديه – بلا ريب – كفّة العين. وتتأكد هذه الحقيقة - بشكل أوضح- إذا أسقطناها على واقع البيئة في وادي سوف وما تقتضيه من ضرورات العيش في حياة النّاس من تمتع الإنسان بسلامة الأعضاء والحواس وفي مقدمتها العين. ذلك أنّ الإنسان السوفي، وهو يمارس نشاطه المعيشي من خلال الزراعة، أو التجارة، أو الصناعة التقلدية، أو الرعي...، يحتاج في ذلك كله إلى الصحة العامة وإلى " النظر " على وجه الخصوص. ولعل هذا المعنى هوالذي يفسر لنا الدلالة العميقة لتلك العبارة الشائعة والمتداولة عند أهل سوف وهي: " المهم في الصحة والنظر ". فعلى الرغم من أنّ صحة النظر تعد جزءا من الصحة العامة إلاّ أنّه خصص بالذكر معها من دون سائر الحواس والأعضاء إشارة إلى مكانته المتميزة بلا منازع. وبناء على ما تقدم، يمكننا أن نفهم سرَّ العين في الألغاز الشعبية بوادي سوف، وسرّ ذلك التفنن في وصفها، وتصويرها، والتعبير عنها بطرق عدة ولعلّ من أشهر ألغاز العين وأجملها اللغز الآتي:

"حكة لولبية، ومغطاها شعر، تستحي من الشمس وتقابل القمر" [1] فالعين في هذا اللغز نعتت باللولب لقدرتها على الدوران حول محورها. هذا التفسير محتمل وقد يكون المراد بذلك النعت نسبتها إلى الملولب وهو المرود الذي يكتحل به [2]. بيد أنّ استعمال لفظة " حُكَة " أي " عُلبة " بشكلها واستدارتها. وحركتها اللولبية، قد يفهم منه إيحاء أنثوي بالمعنى المراد هو المرأة. ولعل بقية المعطيات في اللغز ترجّح هذه القراءة؛ فعبارة "مغطاها شعر" توحي بذلك، لأنّ غطاء العلبة يكون - عادة - في أعلاها، وكذلك شعر المرأة.

---

[1] عالم الإنسان: (1) . حُكَّة أي: علبة .

[2] ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، مادة (لولب)، ص738 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وممّا يزيد في تعميق هذه الدلالة القسم الأخير من اللغز :" تستحي من الشمس وتقابل القمر ". فالاحتشام والاستحياء من الخصال والآداب التي تنسب – عادة – إلى المرأة ونجد هذا المعنى في القرآن الكريم في قصّة النبي موسى – عليه السلام – مع المرأتين في أرض مدين حيث قال الله – تعالى – :

« فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء...» [1] " وتقابل القمر: " لفظة " تقابل " في العُرف الاجتماعي بوادي سوف، وفي السياق الذي نحن بصدده، تعني أنّ المرأة يسمح لها أن تقابل رجلا ما من غير المحارم في دائرة القرابة النسبية، أو الجوارية، ولكن ضمن حدود وضوابط معينة.

وإذا حملنا هذا اللغز -كعموم الألغاز- على محمل المجاز والاستعارة، تحصل لنا الدهشة و المفارقة – وهي متعة اللغز- فنتساءل: كيف تستحي المرأة من المرأة وتقابل الرجل؟!

أو نفهم من فحوى اللغز - عبر التأويل- أن تلك المرأة تستحي من الوصال في وضح النهار على حين لا تمانع في ذلك عند الليل على نور القمر.

بيد أنّ كلّ هذه التأويلات التي يوحي بها اللغز تسقط عندما نعلم أنّ المقصود – بكل بساطة – هي العين التي لا تقوى على رؤية عين الشمس فتغمض الطرف وكأنّ بها حياء على حين يمكنها أن تنظر إلى القمر طويلا تتملى نوره وجماله كما تشاء. وببساطة الحلّ هذه – على غير ما يوحي به ظاهر اللغز– تثير فينا الدهشة مرة أخرى حينما ندرك أنّ ما طلبناه في المدى البعيد هو فينا وأقرب إلينا من كلّ شيء: إنّها عينك أيها الإنسان! وهذه هي عين التعمية التي هي روح اللغز حين يعزف نغمة جدلية بديعة على ترَيْ القرب والبعد، والحقيقة والمجاز، أو التجلية و التعمية.

ومن الألغاز التي تناولت العين من حيث قيمتها العليا التي لا تقدر بأي ثمن - كما أوضحنا آنفاً- اللغز الآتي:

« أمّ لعزاز والرّيش داير بيها،تعطيني كنوز الدنيا، وما انفرط فيها » [2]

---

[1] سورة القصص، الآية رقم 25 .

[2] عالم الإنسان: (65) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالعين وصفت – هاهنا – بأنّها أم لكل عزيز من الناس وهذا يعني أنّ فقدانها يفقد العزة إذ يصبح الإنسان من دونها محتاجا إلى غيره في كلّ شيءٍ. ولهذا فإنّ ثمنها جد غال بحيث يفوق كنوز الدنيا كلّها وماذا ستغني كنوز الدنيا عن الإنسان إذا فقد حبيبتيه؟.

ومن جانب آخر، تستوحى - أحيانا- بعض مظاهر البيئة لتصور من خلالها العين في جمالها وجلالها كما في اللغز الآتي: " نعجتنا الدرعاء، كان رقدت جلالها يغطّيها، وكان ثارت لَرضْ تطويها ". [1] والنعجة الدرعاء يسْودّ رأسها، ويبيضّ سائر جسدها تماما كالعين في سوادها وسط بياض الوجه. وعظمة العين راسخة على الدوام، في اليقضة والمنام على السواء ؛ ففي النوم يغطيها الجلال، وفي اليقظة تطوي الأرض طيا من حيث بعد الرؤيا وسعتها. هذا بعض ما قيل عن العين في ألغازنا الشعبية. أمّا بقية الأعضاء، فسنشير إلى الألغاز التي وردت بشأنها بشكل عابر إذ لا يتسع المقام للتوسع فيها كما فعلنا مع موضوع العين.

فبخصوص العقل والقلب ودورهما المركزي في كيان الإنسان يقول أحد الألغاز الشعبية:

"صاحبك معاك ديمه، مثل المنقاله، يأمر وينهي، يبيع ويشري، وما تشوفش خياله !" [2]

وفي اللغز نلاحظ دقة التشبيه بين القلب و الساعة، فالساعة مصاحبة للإنسان كقلبه، ودقاتها كنبضاته.

وفي لغز آخر نقرأ: « تكلم يا اعماره * وتكلم يابّا حَمَدْ

هرَّاجل دبَّر داره * وجهه ماورّاه لحَدْ » [3].

ففي هذا اللغز المنظوم إيقاع جميل ينقل إلينا طريقة تفاعل الخيال الشعبي مع الحواس الباطنة حيث القوى غير المرئية داخل الذات الإنسانية في تأثيرها العجيب على كيان الإنسان، فالعقل - حقا- مؤثر محيّر له سلطة التفكير والتدبير والتأثير وهو محجوب لا يعرف كنهه أحد !.

---

[1] عالم الإنسان: (94) .

[2] نفسه: (84) .

[3] نفسه: (39) .

ديمه أي: دائماً .

المنقالة: ساعة قديمة يضعها الشيوخ في جيوبهم .

خياله: ظلّه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونلاحظ أنّ سر الخفاء والاحتجاب للقوى الباطنة مثار عجب مشترك بين اللغزين السابقين، وهـــذا من شاكلة اللغز الواقعيّ الذي يعبر عنه بلغز إبداعي.

وممّا عبّر به عن اللسان هذا اللغز المسجوع الجميل بإيجازه ودقة معناه:

«لحمة في غار لاتنتن ولا تخضارْ »[1] واللّسان - فعلا- لحمة تسكن غارا لمدة طويلة وتظل كما هـــي دون تعفن أو تغير في الرائحة ولا في اللون، فهي لحمة غريبة حقاً.

وفي محور اليد والأصابع نذكر هذا اللغز البسيط الموجه للأطفال حول اليد:

" تتعشى عشاك وترقد حذاك " [2]

ومن الألغاز المعقدة الموجهة للكبار في هذا المحور اللغز الآتـــي: « افهم لو كنت فهام، تفهم حروف المدارس، نبّيني عن غصن راويان، نوّاره عود يابس » [3]. ولعل من أبرز ما يستوقفنا في هذا اللغز لفظة الفهم بصيغ متنوعة: بصيغة الأمر " افهم " وصيغة المبالغة: " فهّام " وصيغة المضارع " تفهم". ونفهـــم من هذا التكرار والتأكيد أنّ الباعث الأساس على إصدار اللغز هو اختبار درجة الفهم والـــذكاء لـــدى المتلقي. وهذا ما أوضحناه في الفصل السابق، ومما يستنبط مـــن اللغـــز الـــسابق - أيـــضا- الإحالـــة على المرجعية المشتركة بين المرسل والمتلقي، أو بين السائل والمسؤول، وهذه المرجعيةهي - ببـــساطة- اللّغة التي تمثل جوهر اللغز وسلطته الرمزية. واللغة في منطوق هذا اللغز هي هذه الحروف الـــتي تـــدرس في المدارس. والإشارة إلى المدارس في نص اللغز السابق تشي بتحدّ خفيّ لفئة المتعلمين من أهل المدارس. وهم صفوة المجتمع والفئة الراقية فيه في زمن التداول.

فالإبداع الشعبي- إذن- بهذا اللغز وأمثاله يستفز الجميع بمن فيهم من المتعلمين، وسلاحه في ذلك هي اللغة بحروفها المعروفة عند أصحاب المدارس معلنا أنّ شرط معرفة الحل متوقف على قوة الفهم أيّا كـــان المسؤول «افهم لو كنت فهّام» وهذا المعنى الأخير يؤكد الحقيقة السابقة بخصوص الوظيفة الاختباريـــة للغز.

---

[1] عالم الإنسان: (15) .

[2] نفسه: (55) .

[3] نفسه: (18) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيد أنّ اللغة التي يحيل إليها الإبداع الشعبي ويعتد بها ليست هي اللغة العادية بل المجازية التي لا يسبر أغوارها، ولا يدرك أسرارها إلاّ من كان فهّاما. ذلك أنّ اللغة في مستواها العادي تعد خاما مشاعا في متناول الجميع؛ أمّا في مستواها المجازي فهي صناعة متميّزة لها أربابها المتمرسون على مستوى الإبداع والفهم سواء بسواء.

وعلى قدر إتقان " التصنيع المجازي"، يكون حظ اللغة من السحر والأسر. وذلك هو سرّ الإبداع باعتباره تجاوزا للعادي والمألوف. فالتجاوز الذي يصنع الدهشة هو جوهر العبقرية، وشرط الإبداعية، وبخاصة في عالم الفن والأدب. ويتجلى التجاوز المدهش في اللغز السابق على مستوى قسمه الأخير:

« نبيني عن غصن رويان ونُواره عُودٌ يابس » ! فظاهر اللغز مخالف للحس والواقع بشكل بيّن. فأين يا- ترى - يوجد ذلك الغصن الحي الريّان ونواره عود يابس؟ مفارقة عجيبة غريبة بكل تأكيد. إنّه التجاوز المدهش! والحلّ فينا وأقرب إلينا ممّا نتصور على شاكلة اللغز الأسبق حول العين. الغصن الريّان هو الأصبع، وعود نواره اليابس هو الظفر!. أمّا حاسة السمع الأذن، فقد تناولها اللغز الشعبي من منظور أخلاقي يتصل بوظيفتها الاجتماعية بوصفها آداة فعّالة في التواصل والتفاصل على السواء. واللغز الشعبي الآتي يصور دورها السلبي فيقول: « هي واحلة و متوحلة وتفتش على الوحل في قرنوعة الواد، وفي باطن الجبل »[1].

والحل يتمثل في الأذن الباحثة عن الذنوب بحسب التصور الشعبي. فهي سمّاعة للباطل واللّغو، والكذب والغيبة والنميمة وغيرها من الذنوب والآثام. وتجدر الإشارة في هذا السّياق. إلى أنّ اللّسان الذي يعد شريكا أساسيا للأذن في هذا الدور السلبي، لم تصوره الألغاز الشعبية التي جمعناها من هذه الزاوية الأخلاقية وإن أشارت إلى كثرة لغطه واصفة إياه بالحنان والرقة: « طير لغّاط ولغطته حنينه، ساكن بين الكاف والمدينة ».[2]

---

[1] عالم الإنسان: (8): - واحلَة: متورطة في الوَحَلْ
- قرنوعة الواد: رأس الوادي

[2] عالم الإنسان:(86).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفيما يتعلق بالأنف، لم يصور اللغز الشعبي وظيفته بوصفه حاسة الشمّ، بل تناوله من حيث علاقته بالأصابع في عملية الاستنثار: « شايبنا الهرماني، تخلق بلا سنّين، يفزعوله عدَّة، ويحكموه اثنين » [1]. وتستوقفنا - هاهنا – لفظة " عدَّة " التي تعني في العامية السوفية العدد:5 . بمعنى أنّ الأنف تتوجه إليه الأصابع الخمسة ويمسكه اثنان فقط. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: لماذا استعمل اللغز لفظة " عدَّة " بدلا من لفظة " خمسة " مباشرة ؟.

والجواب أنّ السبب في ذلك يعود إلى بُعد انثروبولوجي يتصل بمعتقدات الجماعة الشعبية، سنحاول أن نشير إليه – بشكل مختصر – في هذا المقام باعتباره أحد تجلّيات البيئة في وادي سوف.

ذكرنا في الفصل التمهيدي أنّ من جملة المعتقدات الشعبية لدى أهل سوف الاعتقاد الشديد في العين الحاسدة. فهم يخشون عين الحسود ويرون فيها الشر الماحق. ولذلك تجدهم يتعوّذون ويتحصنون من ذلك الشر المتربص بالقول وبالفعل على حد سواء. ومن أشد ما يُتحصَّن به عندهم العدد (5) حيث تعلق " الخميسة " وهي يد صغيرة، في صدور الأطفال كما يستعمل " التحصين الخمسي " بطرق شتى لحماية المنازل والعقارات والحيوانات وغير ذلك ممّا يملكه الناس ويخافون عليه.

و ممّا تقدم، يبين لنا أنّ استعمال اللفظ أو العدد (5) مرتبط في المعتقد الشعبي بدفع شرّ العين الحاسدة. ولذلك،فإن من اللباقة الاجتماعية ألا ينطق بلفظ (خمسة) بحضرة الأحباب، والأصحاب، ونحو ذلك ممن هم أهل لإحسان الظنّ بهم، فتستبدل لفظة (خمسة) بلفظة (عدّة) مراعاة لهذه الاعتبارات. [2]

---

[1] عالم الإنسان: (6) .

[2] يستبدل كبار أهل سوف – إلى الآن- لفظ(الخميس) بلفظ (الونيس) من الأنس، كما يستبدلون – من باب التفاؤل بالخير- العديد من الألفاظ والتعابير منها: (الملح ←الربح) (النّار ← العافية) (سكّر الباب ← اصلح الباب)...إلخ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا انتقلنا من أعضاء الإنسان وحواسه إلى محاور أخرى في عالم الإنسان، ألفينا أنّ من أبرز الظواهر الإنسانية ذات الطابع البسيكو- فيزولوجي: النّوم والموت، وهما ظاهرتان متشابهتان إلى حدّ كبير، حتى إنّ عدد الألغاز التي تناولت كلاّ منهما عكست - بشكل أو بآخر- هذا التشابه والتقارب. و كان نصيب الموت ثمانية ألغاز ونصيب النوم سبعة.

ولعل هذا المعنى المستنبط يندرج في سياق بعض المزايا التي يتيحها المنهج الإحصائي الذي يقوم "بإحصاء الألفاظ والتراكيب اللغوية (النحوية والصرفية والصوتية) ثم محاولة تحليل العمل الأدبي في ضوء النتائج الإحصائية التي توصل إليها " [1].

وفي بحثنا هذا لا يعنى الإحصاء بالألفاظ والتراكيب اللغوية بقدر ما يعنى بإحصاء المحاور أو الموضوعات التي تناولتها الألغاز الشعبية. ومن هذه الناحية، قد يكون المنهج الإحصائي في مثل هذا البحث مجديا ولا يخلو من بعض الاستنتاجات والدلالات الممكنة كما رأينا ذلك من خلال الجدول السابق حول الألغاز التي تناولت أعضاء جسم الإنسان وحواسه من حيث الأعداد والنسب. ومن نتائج العملية الإحصائية التي قمنا بها تساوي عدد الألغاز التي تناولت كلاّ من الجنين والوليد، ومحور الكِبَر والشَّيْب، وهما طَوْران متقابلان من عمر الإنسان. فللتساوي - إذن- ما يبرره واقعيًّا وإبداعيًّا. وعدد الألغاز المشترك بين المحورين هو ثمانية (08).

وإذا عدنا إلى موضوعي: النوم والموت، وجدنا الإبداع الشعبي يتألّق حيالهما وصفًا وتصويرًا وتساؤلاً ممتطيا –كعادته – صهوة المجاز مع روعة الإيجاز .

فألغاز النوم – كباقي الألغاز – منها البسيط الموجه للصغار على شاكلة اللغز الآتي: « هِيكْ، هِيكْ، ينقّزْ عليك، يخطف لك اللّقمة من بين يديك » [2].

وجرس هذا اللغز وإيقاعه يُلائم طقوس تداوله بين الجدَّة أو الأم والأطفال أثناء السمر قُبَيْل النّوم.

---

[1] ينظر: شايف عكاشة، ا تجاهات النقد المعاصر في مصر، ص249 .

[2] عالم الإنسان: (46). ينقّزْ عليك :والمراد: يغشاك ويغلبك .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن ألغاز النوم الموجهة للكبار اللغز الآتي:

« علّي تحسّه وماتحسّه ويديك منه فاشلة، كان دار بيك ما عدت تعرف الدنيا من الآخرة »[1]. وهاهنا نجد أنفسنا أمام لغز مزدوج: لغز النوم في واقع الحياة، ولغز النوم في فضاء الإبداع يصوّره الخيال الشعبي هذا التصوير البديع الذي نلمح فيه حيرة السؤال وحسّ الدهشة والذهول حيال هذا الذي يصرعنا ونحبُّه! ونحسّه ولا نحسُّه! هذا الذي حين يغشانا ينقلنا من عالم إلى عالم آخر بحيث لا نعرف هل نحن في الدنيا أم في الآخرة ؟! ومن هنا كان شبهه الكبير بالموت ومن الظواهر المصاحبة للنوم والتي تزيد إمعانا في الغموض والغرابة رؤيا المنام، هذه الظاهرة السحرية التي تعدّ – في حدّ ذاتها – لغزا مزدوجا يُضاف إلى لغز النوم المزدوج: « علّي تشبحه وما تلقاشْ، يردّ الميّت حي وما توجداش!» [2].

فمن ذا الذي تراه ولا تلقاه؟! هذا الذي يردّ الميّت حيّا ولا تجد من أثره شيئا؟! ألسنا - هاهنا- إزاء حيرة في حيرة، ولغز في لغز؟ بلى وحسبنا هذا التعليق السائل الحائر حتى لا نفسد روعة الحيرة التي نقدّر أنّها سرّ الجمال والإبداع في اللغز السابق.

أمَّا الموت، فقد تناولته الألغاز الشعبية المتداولة في وادي سوف من جوانب عدة: فقد صوّرت الميت مفردا، كما صوّرته مع حامليه الأربع إلى المقبرة وفي بعض الألغاز وصف الكفن في علاقته بالإنسان حيّا أو ميّتا، وفي بعضها الآخر تصوير لأهل المقابر عامة. فالميّت مفردا صوّره اللغز الشعبي الآتي بإيقاعه الحزين:

« توَضا ما صلّى، ولبس ما خلّى، وراح ما ولّى » [3].

كما صوّره لغز آخر محمولا على النّعش إلى المقبرة من خلال الإشارة إلى المفارقة العدديّة التي يرسمها هذا المشهد الجنائزي:

«عبد الصمد شاف شوفة، عقله منها انخلع: على خمس روس، أربع نفوس ومائة اصبع!»[4].

فالدهشة عدديّة - هاهنا – وسرُّها الموت والحياة وحق للعقل أن ينخلع لأنَّ المشهد كئيب مهيب.

أمَّا الكفن، فقد وصف عبر جدلية الموت والحياة من حيث كون الإنسان الحيّ يراه ولا يلبسه، أمَّا الإنسان الميّت فيلفه دون أن يراه:« اتشوفه وما تلبساش،وتلبسه وما تشوفاش »[5].

---

[1] عالم الإنسان: (118).

[2] نفسه: (27).

[3] نفسه: (59).

[4] نفسه: (42).

[5] نفسه: (47).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبخصوص أهل المقابر عامة، يصور اللغز الشعبي ما آلوا إليه حيث صاروا عظاماً بالية امتزجت بالثرى فصارت كخشب مسندة. وعلى الرّغم من كثرتهم فهم لا يولدون:

« سندَوْا وبندوا، وفي باطن الأرض قنّدوا، كثروا وما ولدوا »[1].

2- البعد الديني :

أوضحنا في الفصل التمهيدي أنّ أهل سوف معروفون منذ القديم بشدة تمسكهم بالدين وإن شابته في بعض الفترات التاريخية بعض البدع والخرافات الموروثة من عصور الضعف والانحطاط كسائر أنحاء العالم العربي والإسلامي. بيد أنّ حرمة الدين وقدسيته ظلّت راسخة في ضمائر الأفراد وفي أوساط المجتمع عبر العصور والأجيال .

ولقد تجلى البعد الديني في الألغاز الشعبية بوادي سوف بأشكال مختلفة مشكلا نسبة تقدر بحوالي:25% من مجموع ألغاز عالم الإنسان. ومن الألغاز الدينية الموجهة للأطفال اللغز الآتي الذي يعلم الطفل صلاة الجماعة وضرورة أن يقتدي المصلون بالإمام لتجسيد معاني الوحدة والنّظام والانضباط:

« تهبط ريشة يهبط الريش الكل » [2] وفي مجال التربية الدينية – أيضا – نقرأ في اللغز الآتي الحث على الصلاة، والترغيب في المواضبة عليها بوصفها ركنًا دينياً أساسياً.

« في كل وقت اتّبع فينا، انتبعوها تحمينا » [3].

وقد صوّرت الصّلوات الخمس بشجرة لها خمسة أغصان مستقيمة: ثلاثة منها في الظلّ، واثنان في الشمس على الدّوام!:

« شجرة الخمس أغصانها مستقيمة: ثلاثة في الظلّ واثنين في الشمس دِيما » [4]

هذه عن الصلاة، أمَّا بقية الأركان فقد برز منها في الألغاز المجموعة اثنان: الصوم والحج، فالصوم عبر عنه باسم الشهر الذي فُرِضَ فيه وهو شهر رمضان. يقول اللغز الشعبي عن رمضان:

« شجرتنا اهلت بثلاثين عرف اندلت، البيضاء منها حرمت، والسوداء جلت »[5]. ونلاحظ في اللغز أنَّ رمضان شبه بشجرة كما شبهت الصّلوات الخمس في اللغز السابق ونفهم من هذا أنَّ الخيال الشعبي ينظر إلى كلّ ركن من أركان الإسلام على أنّه بمثابة الشجرة التي يستظل بظلها الوارف عامّة المؤمنين.

---

[1] عالم الإنسان : (7). سندوا: صارو كخشب مسنّدة. قنّدوا: يبِسوا.

[2] نفسه: (45).

[3] نفسه: (60).

[4] نفسه: (52).

[5] نفسه: (81).

[1] عالم الإنسان: (62).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمَّا الحجُّ، فإن اللغز الشعبي قد تناوله من ناحية اللقب الجديد الذي يكتسبه من حجَّ إلى البقاع المقدسة فلقد كان قبل الحجّ يدعى – مثلاً- "البشير" وبمجرد عودته إلى بلدته بعد آداء الفريضة، يطلق عليه اللقب الجديد "الحاج البشير ". وهذه العادة منتشرة بين سكان وادي سوف على نطاق واسع إلى اليوم. وقد يعود هذا التكريم اللقبي إلى المتاعب والمخاطر التي كان يتعرض لها الحاج في العقود السابقة حينما كان السفر يتم على ظهور الجمال وكانت الرحلة تدوم بضعة أشهر لشدة بعد المسافة

فالحاج الذي يعود سالماً يُنْظَرُ إليه بمنظار البطولة المؤيّدة بحفظ الله ورعايته وتوفيقه لأنّه دخل في مغامرة كبرى، وخرج منها بنجاح ولهذا يُخلَعُ عليه اللقب الجديد عن جدارة واستحقاق. نجد هذا المعنى في اللغز الآتي: « اسمه بالحاء، وإذا عانه المعين يطلع باسم ويترل باسمين »[1]

ومن المعاني الدينية التي عبرت عنها الألغاز الشعبية المقابلة بين الحسنة والسيئة كما في اللغز الآتي:

« زوج أخوات مولّدات في دشرة، واحدة تجيب بالواحد وواحدة تجيب بالعشرة »[2] فالسيئة تكتب سيئة واحدة أمَّا الحسنة فبعشر أمثالها. ففي الأولى يتجلّى عدل الله وفي الثانية فضله العظيم. فهذه القيمة الدينية الجميلة لا يمكن أن تغيب عن عالم الألغاز الشعبية في مجتمع معروف بالتدين منذ آماد بعيدة. ولعلّ المفارقة العديدة بين الواحد والعشرة مع الدلالة الروحية المشار إليها شكلتا المدخل المناسب لهذا اللغز.

ومن المحاور الدينية المُتناولة الأنبياء – عليهم السّلام – وأوّلهم آدم– عليه السّلام – الذي صور على النحو الآتي: « يمشي على الأقدام لا ولداته بيضة ولا أرحام! »[3]

وعيسى بن مريم – عليه السّلام – رُمز له بأوَّل حرف من اسمه: العين التي لا توضع فوقها نقطة كما يوضح اللغز الآتي بما يُشير إلى الوظيفة التعليمية التي تؤديها الألغاز الشعبية:

« اسمه بالعين والعين ما تنقطاش، كنّوه بأمه، وابّاه ما تعرفاش »[4]

وما يمكن أن يلاحظ عند الموازنة بين اللغزين السابقين أنَّهما اشتركا في التعبير عن معجزة الخلق والإيجاد بالنسبة إلى النبيين الكريمين وقد استخدم الإلغاز بالحروف عند تناول خاتم النبيين محمد – صّى الله عليه وسلم- وتترل القرآن عليه بواسطة أمين الوحي جبريل عليهم السّلام:

« عللّي اسمه بالجيم، جاب القاف معاه، وصّله للميم، وراح وخلاّه »[5]

---

[2] نفسه: (23).

[3] نفسه: (30).

[4] نفسه: (71).

[5] نفسه: (41).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي مقابل تناول الأنبياء، لم تُغْفل الألغاز الشّعبيَّة تصوير الشّيطان وتثبيت بعض القيم الدينيّة من خلال ذلك في سياق الوظيفة التّعليميّة والتربويّة التي أوضحناها فيما سبق.

يقول أحد الألغاز الشّعبيّة مصوراً الشّيطان الرّجيم:

«عدوّ حقار لايضربه كرطوش ولا حجار، ما يتغلب إلاّ بالأذكار، وحسن الأفكار » [1] .

ومن الشخصيَّات الدينيّة التّاريخيّة التي استهوت الخيال الشّعبيّ شخصيّة عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – الّذي صوّر بشكل أسطوري كما في اللّغز الآتي:

على اللّي هلال الحيّان ∴ حارو فيه النّاس الفاهمين

لادروه في السّما متخبَّي ∴ ولا في الجبال العاليين

ولسائل أن يسأل: لماذا عليّ بن أبي طالب تحديداً من دون سائر الصحابة بمن فيهم بقيّة الخلفاء الرّاشدين؟ ولماذا يتناوله الخيال الشّعبيّ على هذا النّحو الأسطوريّ ؟

والجواب يحيلنا إلى بعض الحقائق التاريخيّة المُتعلّقة بالمجتمع الجزائري عامة بما فيه المجتمع السوفي. وهذه الحقائق التّاريخيّة تتمثل في بعض تجليّات الموروث الشّيعي في الجزائر منذ العهد الفاطميّ. وقد أشرنا في الفصل التّمهيديّ إلى بعض من تلك التجليّات من خلال طقوس إحياء ذكرى عاشوراء. ولقد ألفينا هذا الموروث الشّيعي في مختلف أجناس الأدب الشّعبيّ بوادي سوف. وجدناه في أدب السِّير والمغازي [2]، وفي الشعر الشّعبيّ، وفي الأغاني الشّعبيّة.

ففي الشّعر الشّعبيّ، يقول الشاعر إبراهيم بن سمينة بعد الصّلاة على النبيّ (ص) والتذكير بأهمّ أركان الإسلام:

ياعلي بن طالب يا شمعة الظلام ∴ اللّهمّ يرضى عن فارس الخَنَقْ [3].

ويقول في قصيدة أخرى:

السيّد علي راكب حصَانْ ∴ بو سيف صلصالْ

حصّاد في امحال الرُمان ∴ كما زرع طايب قسيلةْ [4] .

---

[1] عالم الإنسان: (28).

[2] ينظر: عبد الحميد بدرايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 70 وما بعدها .

[3] ينظر: أحمد زغب، ديوان إبراهيم بن سمينة، ص 70.

[4] المرجع نفسه ،ص 69 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمَّا في الأغاني الشّعبيّة، فلا أزال أحفظ منذ الصّغر بعض المقاطع التي تؤدّيها النّساء في مناسبات الزواج والختان، ومنها:

سبّقت ربّي ∴ والصلاة على النبيّ

ومن سبّق الله ∴ ومحمد وعليّ

فالتّمجيد الشّعبيّ – هاهنا – ثلاثيّ الأركان: الله، محمّد، وعليّ. فلا ذكر لأبي بكر، ولا لعمر، ولا لغيرهما في مطلع تلك الأغنية الشّعبيّة. فالنماذج التي أوردناها من خلال الألغاز، والأشعار، والأغاني. وتلك التي أشرنا إليها في أدب البطولة والسّير والمغازي، كلها تؤكد مدى تأثير الموروث الشّيعي في الأوساط الشّعبيّة بوادي سوف، والأرجح أنَّ هذا التّأثير يشمل مناطق عديدة في الجزائر وإنما بدرجات متفاوتة من منطقة إلى أخرى. وهذا التأثير يصلح أن يكون موضوعاً لرسالة جامعيّة تبحث تجليّات الموروث الشّيعي في الأدب الشّعبيّ الجزائريّ.

ومن المحاور الدينيّة التي تناولتها الألغاز الشّعبيّة بوادي سوف: القرآن الكريم الذي كان ولايزال مَحَلَّ تقديس وتمجيد لدى أهل سوف كما أشرنا إلى ذلك في الفصل التّمهيديّ، ومن أجمل الألغاز في هذا المحور اللّغز الصمدي الآتي:

« عبد الصمد قال: يا قابس، بعيني شفت النوّار فوق العود اليابس !» [1]

فظاهر هذا اللّغز يحمل المفارقة والتناقض بمعيار الواقع إذا لايمكن أن يكون النوَّار فوق عود يابس إطلاقاً. ولكن بمعيار المجاز يمكن ذلك إذا فهمنا أنَّ المراد بالنوَّار هو القرآن الكريم، والمراد بالعود اليابس اللوح الذي يكتب عليه القرآن. والتّعبير بالنوَّار يوحي بقدسية القرآن عند أهل المنطقة كما أشرنا آنفًا. ولفظة "النوَّار" توحي بالجمال الجذّاب كما تشير إلى معنى النور. وكذلك مكانة القرآن لدى سكان سوف: جمال جذَّاب، ونورٌ هادٍ.

ولغز القرآن هذا يذكّرنا بلغز سابق شبيه به مرّ بنا حول الأصبع والظّفْر عندما صوّرا على النّحو الآتي: «... غصن رويان ونوَّاره عود يابس ». فبين اللّغزين تشابه على مستوى المشاكلة اللّفظيّة من جهة، وعلى مستوى المفارقة المعنوية من جهة أخرى.

وهناك ألغاز أخرى في المحور الدّينيّ تحمل مثل هذه المفارقات المدهشة التي تنطوي على سرّ الإمتاع في فن اللّغز. نذكر منها:

---

[1] عالم الإنسان: (87).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- « أنثى شريفة وهي ضنت أولاد حلال، خَضت ابّاها صبيّة، وتزوّجها في الحلال » [1]

فالمفارقة الكبرى، والتناقض الصارخ يشكلان صلب هذا اللّغز؛ إذكيف تكون شريفة، وتلد أبناء الحلال من تزوّجت أباها بكراً في زواج حلال ؟! ولا تنقشع الدهشة، ولا يُجبر التناقض، ولا تـــزول المفارقـــة إلاّ إذا عرفنا الجواب الكافي الشافي: إنّها أُمُّنا حوّاء !

2- « هم اثنين إخوة، والاثنين ملاح، واحد حلواني، وواحد قتّال أرواح » [2].

وظاهر أنَّ المفارقة في هذا اللّغز تكمن في القسم الأخير الذي يُناقض الحكـــم الأوَّل؛ فبعـــد أن أثبتنـــا الصَّلاح للاثنين، تبيّن أنَّ أحدهما قتال أرواح ! فأنى له الصَّلاح ؟! والجواب: هما العيدان الدينيّان: عيـــد الفطر الحلواني، وعيد الأضحى قتّال أرواح الكباش !.

وفي عالم الإنسان، ألغاز أخرى متنوعة تناولت بعض الموضوعات ذات طابع اجتمـــاعي، ونفـــسي وأخلاقي. ومن هذه الألغاز اللّغز الآتي الذي يصوّر البخيل تصويراً بديعاً في قالب تهكّميٍّ ساخر:

« ميّت وما تقبرشي ∴ حيْ كان بالنَّفَسْ

الماكله ما يكلشي ∴ يعرف غير يدسْ » [3]

ومن الموضوعات الاجتماعية ذات التّأثير النَّفسي البالغ على الفرد المعنيّ بها موضوع الدّيْن الّذي يمثل كابوساً مزعجاً لمن اضطرَّ إليه فابتليَ بـــه خُـــصوصاً إذا كـــان الفقـــر هـــو الـــسّائد في المجتمـــع: « أوّله بالدَّلْ، والدَّلْ توقى شرَّه، تصفار منّه الوجوه، وتركب منّه الفَدّهْ » [4].

وموضوع الطلاق بطابعه الاجتماعي والدّيني كان له نَصيب في الألغـــاز الـــشّعبيّة بـــوادي ســـوف كما في اللّغز الآتي الذي يصوّر خطورة الطلاق بالثلاث: « اسمه بالطّاء، واحرز الطاء عـــلاش يفـــوت. اللّي مرض مرضتين، الثالثة فيها يموت » [5].

وفي مجال الأحوال الشَّخْصيّة في الوسط الاجتماعي، يستوقفنا لغز يـــصوّر مـــدى بغـــض المـــرأة " للضرَّة " التي تشكّل لها استفزازاً وتحدّيًا لأنّها شاركتها في عرشها المقَدّس: عرش الزّوجيَّة على حـــين كانت تظنّ أنَّه عرشها وحدها دون منازع. ولهذا جاءت لغة اللّغز قاسية شديدة :

---

[1] عالم الإنسان: (114). خَضت: أصلها؛ أخذت، والمراد: تزوّجت.

[2] نفسه : (97).

[3] نفسه : (94). حيْ كان بالنَّفَسْ: حيٌّ بالنَّفَس فقط.

[4] عالم الإنسان: (99). الفَدّهْ : التنفس بإجهاد وصعوبة .

[5] نفسه : (68).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

« عليّ بن السّلطان، رقد ولاّ مازال، رقد مع الخادمة العجميّة، خَلّى طنيجرة المهوية للرّيح والنّدى، سلسل يا جان، واسخطهم يا سماء » [1].

فالرّجل – هاهنا – قد استبدل ماهو خير بما هو أدنى: استبدل البهيّة الوفيَّة: " طنيجرة المهويّة " بخادمة عجميّة، ولهذا، دُعِي عليه بمثل ذلك الدّعاء الشديد المزلزل الذي خُتِم به اللّغز.

وتجدر الإشارة – بهذا الصدد – أنَّ " طنيجرة المهويّة " في الخيال الشّعبيّ فتاة بهية، وهي عنوان حكاية شعبيّة تضّمن نصّها المقطع الأخير لهذا اللّغز بصيغة مختلفة بعض الشيء بما يؤكد حقيقة التناصّ بين الأجنّاس الشّعبيّة الّتي أوضحناها في الفصل السّابق [2].

ولا نغادر مجال المرأة قبل التّعريج على لغز شعبيٍّ طريف يبدو من مضمونه أنه من الألغاز الحديثة التّكوين – إن صحت العبارة – الّتي تعكس لنا كيفية تفاعل الذهنيّة الشّعبيّة المحافظة مع مستجدات المدينة الحديثة. ومن هذا الصنف من الألغاز نذكر اللّغز الآتي الذي يصوّر بطريقة هكمية ساخرة شرطية المرور مستخدماً في ذلك عناصر البيئة من عالم الحيوان وعالم النّبات:

« الزنينة زنينة كابو، والورقة ورقة فَقّوس، في اللّيل معزة، وفي النهار عتروس »[3].وواضح من هذا اللّغز أنَّ الذّهنيّة الشّعبيّة ترفض وتستهجن مثل هذه الظواهر الجديدة بشكل قاطع.

ونختم هذا المبحث الأوّل بجملة من الألغاز المتنوعة الّتي تناولت موضوعات متفرقة من عالم الإنسان. ولتكن البداية بالعلم وأدواته:

على المبنى اللّي بنيتُو بيدي ∴ وكادني بنيانُو

نعدْ السماء ونجومو ∴ وما نعدّش ببانُو [4].

فهذا اللّغز الشّعبيّ المنظوم يعكس قيمة العلم الكبرى لدى المجتمع السوفي. هذا العلم الذي هو بناء لا يمكن إتمامه لسعته وعظمته، كما لا يمكن إحصاء أبوابه . أمَّا أدوات العلم، وفي مقدمتها القلم الذي يُعَدُّ وسيلة إنتاج العلم ونشره، فقد أشادت به عدة ألغاز شعبيّة نذكر منها اللّغزين الآتيين:

1- « ستة يمشو في الشطّ: خمسة جرّهم غَدَتْ، وواحد جرّته بقت » [5]. ففي هذا اللّغز تصوير جميل لفعل الكتابة، فالشط هو القرطاس الأبيض، والستة الذين يسيرون في هذا الشط هم الأصابع والقلم. فالأصابع الخمسة لايبقى لسيرهم على القرطاس من أثر. والوحيد الذي احتفظ الورق بأثره هو القلم.

---

[1] نفسه : (48).

[2] ينظر: ثريّا التجاني، دراسة اجتماعيَّة لغوية للقصة الشعبية، ص- ص 136 ،137.

[3] عالم الإنسان: (106).

[4] نفسه : (110).

[5] نفسه : (80).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجميل تصوير الكتابة بمسير القلم على الورق تاركاً وراءه ما يدلّ عليه، أثره العظيم: الكتابة. فالأثر - حقاً - يدّل على المسير.

2- « منقال فضّة ذهب ومحراك ذهب، وزرع يتكلم، ما اطمَّك عجب ! » [1]

فالخيال الشّعبيّ، في هذا اللّغز، يبدي عجبه الشّديد من فعل الكتابة وأداتها القلم.وعبارة " زرع يتكلم " كناية عن القلم التّقليدي المصنوع من القصب ذي اللون الذّهبي، فالقَصَبُ الذي يتكلم خليق – حقاً – بإثارة العجب والدهشة.

ومن الألغاز الصّمدية المحكمة هذا اللّغز الّذي يصوّر ظلّ الإنسان:

«عبد الصّمد قال كلمات واصنتوا يا فهّامة ∴ واش فيك يدخل النار ويخرج بلا حرق سلامة» [2]

ودهشة المفارقة لا تبرح الألغاز ولا سيما الصّمدية منها، وإلاّ كيف يمكن أن يدخل النار جزءٌ منك ويخرج بسلام بلا حرق إلاّ أن يكون ظلّك؟.

ويمعن عبد الصّمد الشابي في الصناعة اللّغزية مؤلفاً بين دقة المعنى ودهشة المفارقة تأليفاً بديعا على شاكلة اللّغز الآتي:

« عبد الصمد حلف يمين ∴ ويمينه ما فيه حناثة

بعيني شفت ابن آدم دخل ∴ من باب وخرج من ثلاثة!» [3]

فعبد الصّمد في هذا اللّغز – خلافاً لغيره - أقسم يمينًا غير حانث بمعنى أنَّ ما سيقوله يُعَدُّ في منتهى الصحّة واليقين، بيد أنّه قال – بعد القسم الأكيد- كلاما في منتهى العجب والغرابة: رأيت – بعينيَّ– شخصاً من بني آدم دخل من باب وخرج من ثلاثة أبواب!

ألا تأخذ الدهشة بالنفس من جميع أقطارها بعد سماع مثل هذا الكلام الخيالي؟

ولكن إذا عُرفَ السبب بطل العجب كما تقول العرب. ونحن نقول في عالم الألغاز: إذا عُرِفَ الحلُّ زالت الدَّهشة.

وفي هذا اللّغز دون سواه، لغز اليمين الجازم، والقسم الأكيد، آثرنا أن نُمدّد من عمر الدّهشة لدى القارئ الكريم، ونُحيله إلى حَلِّ اللّغز في الملحق الأوَّل الّذي يضم مدوّنة الألغاز المجموعة بحلولها.

---

[1] عالم الإنسان: (93). ما اطمَّك عجب ! : ما أعظمك من عجب !

[2] نفسه : (107).

[3] نفسه : (89).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن الألغاز الشّعبيّة الطريفة بوادي سوف هذا اللّغز الذي يُسائل ذاته ! أي: أنَّ حلَّ اللّغز هو اللّغز نفسه، ولكن بالتّسمية الّتي عُرِفَ بها في وادي سوف وهي : " الخُرّاف " . وقد بحثنا هذا الجانب في الفصل السّابق .يقول هذا اللّغز عن نفسه:

« اسمه بالخاء، معروف عند العرب والبوادي، إللّي يقوله يبات مرتاح، واللّي يسمعه يبات شاقي » [1].

وفحوى هذا اللّغز تصوير متعة السائل ومحنة المسؤول في دنيا الألغاز، وهو يذكّرنا ببيت المتنبي الشهير:

أنام ملء جفوني عن شواردها ∴ ويسهر القوم جرَّاها ويختصِمُ .

ونختم هذا المبحث بالسَّلام أَيْ: بلغز حول السَّلام هذه القيمة الإنسانية الأصلية التي تعدّ جسر المحبّة والأمان بين النَّاس:

« عن شيء ما هو محتوم بالسيف ∴ لا هو صلاة، لاهو عبادة

إذا مشي يمشي بكلّه ∴ وإذا رجع يرجع بالزيادة » [2]

فإلقاء السلام يتم بلفظ السَّلام كله بصيغة : " السَّلام عليكم " أمَّا ردُّ السَّلام ، فيكون بالزّيادة :

" وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته "

ومجمل القول حول هذا المبحث الأوَّل أنَّ ألغاز " عالم الإنسان " قد اتّسمت بالدّقة والشمول بحيث تناولت الإنسان في مختلف أبعاده الفزيولوجيّة والدّينية ، والنفسيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة وقد عكست تلك الألغاز ذهنية الشّعب ومستواه الفكري، وأهمّ ما أثار انتباهه، وشغل اهتمامه من صور البيئة والحياة الّتي يعيشها في مختلف مناحيها.

- ثانيا: عالم الحيوان:

بلغ عدد الألغاز المجموعة الّتي تناولت " عالم الحيوان " ثمانية وخمسين (58) لغزاً. ولقد تناولت معظم الحيوانات المعروفة في البيئة الصّحراوية ممَّا سبق ذكرها في الفصل التمهيدي.

غير أنَّنا لاحظنا – بعد تأمل الألغاز- أنَّ موضوعات معينة في عالم الحيوان هي الّتي حظيت بالنَّصيب الأوفر من عدد الألغاز. ولأجل التأكد من هذا الأمر، قمنا بعمليّة إحصائيّة بسيطة شملت هذه الموضوعات المُكرّرة، فكانت النتائج على النحو الآتي:

1- البيض والدجاج: تكرر في اثني عشر (12) لغزاً من أصل (58). والنسبة المئوية 20,68%

2- الإبل: تكرر في عشرة (10) ألغاز من أصل (58) لغزاً. والنسبة المئوية 17,24%

3- الحليب والزبدة: تكرر في سبعة (07) ألغاز من أصل (58) لغزاً. والنسبة المئوية 12,06%

---

[1] عالم الإنسان: (38).

[2] نفسه : (108).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبناءً على هذه النّتائج، سيكون تركيزنا – في المقام الأوّل – على هذه الموضوعات دون أن نهمل ما تبَقّى في عالم الحيوان ولو بإشارات مُوجَزة.

I - البيض والدجاج:

لا عجب أن ينال هذا الموضوع النّصيب الأوفر من الألغاز في عالم الحيوان فقد سبق أن ذكرنا في الفصل التّمهيدي أنّ إنتاج البيض واللّحوم البيضاء قد تجاوز بكثير احتياجات السكّان بوادي سوف [1].

وتربية الدواجن تحقق للسكان فائدتين أساسيّتين:

- الفائدة الأولى: تحقيق الاكتفاء الذّاتي للأسرة من هذا المنتوج.
- الفائدة الثانية: التعامل مع المنتوج باعتباره مورداً اقتصاديًّا هامًّا للكثير من الأسر، من خلال بيعه في الأسواق والأحياء.

ومن جانب آخر، تتميّز تربية الدواجن بقدر كبير من اليسر والسّهولة؛ على مستوى الرّعاية والتّسويق على حدٍّ سواء. فهي لاتكلّف من الجهد العضليّ والماليّ إلاّ القليل. ولذلك نفهم أنّ أهميّة هذا الموضوع في حياة النّاس ومعيشتهم هي الّتي أكسبته هذا التفوّق في عالم الألغاز الشّعبيّة .

ولقد تفنّن الخيال الشّعبيّ في وصف البيضة وتصويرها كما تفنّن – في عالم الإنسان – في وصف العين وتصويرها للأهميّة الكبرى التي يكتسبها كُلٌّ منهما في حياة النّاس.

ففي أحد الألغاز تشبه البيضة في كرمها وعطائها بالقربة ولكن من دون أن ترشح أو تندى: « قربتنا الزّندى، لاترشح، لاتندى » [2].

وفي لغز آخر يُستعار البئر بقاعه لتصوير البيضة من داخلها بقسميها: الأبيض والأصفر:

« البير بير واحد والجمَّة جمّتين » [3] .

وينتبه الخيال الشّعبيّ، من جهة أخرى إلى المقارنة في الجانب التّكويني بين جسم البيضة وجسم الإنسان والحيوان على مستوى اللّحم والعظام، فيُبرز المفارقة بينهما بمثل اللّغز الآتي:

« اللّحم الداخل، والعظم البَرَّا » [4] .

---

[1] ينظر: Andrés-R-Voisin, Le Souf – Monographie, p 242.

[2] عالم الحيوان : (15).

[3] نفسه : (32). الجمَّة: قاع البئر حيث يجتمع الماء.

[4] نفسه : (38).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتُصوّر البيضة من حيث شكلها المتميز وخصائصها التّكوينيَّة المُباينة لخصائص الإنسان والحيوان بصيغة أخرى على النّحو الآتي: « مكركب لافيه راس، لا عين، الجلد جلد واحد، واللّحم لحمين» [1].

ويسبح الخيال الشّعبيّ في فضاء الاستعارة ليقتنص الذّهب والفضّة ويودعها جوف البيضة مبدياً عجبه ودهشته من انضواء الذّهب الأصفر تحت الفضّة البيضاء ، فيقول في ايجاز موحٍ بديع:

« هَبْ الرّيح ما هي الفضّة ركبت عالذّهبْ ! » [2] .

ويثير اللّغز الدّهشة - كعادته- وهو يصف البيضة كيف أنّها صدّت الرّياح من غير باب ولا مفتاح:

« صدّت لَرْياح لافيها بابٌ، لا مفتاح » [3].

وعودة إلى الشكل المُقبّب بنصفه الذهبيّ ونصفه الفضيّ يقول لغز آخر:

« قبّة قبب، نصّها فضّة، ونصّها ذَهَبْ » [4].

ونختم ألغاز البيضة – تحديداً – بهذا اللّغز المنظوم:

« كركب يا كركب ∴ ياراس بلا وذنين

الفريسة فريسة واحدة ∴ والطّعمة على اثنَيْن! » [5].

وفي هذا اللّغز الجميل نقرأ شكل البيضة في استدارتها المتميّزة، كما يوهمنا اللّغز بأنّنا حيال حيوان له رأس وجسم (فريسة). ولكنّه حيوان غريب من حيث إنّ رأسه بلا أذنَيْن، وللحمه طعمين! مفارقة –بلا شك – عجيبة ، ودهشة أكيدة.ولكن ذلك كلّه يزول وينقشع حالما نعرف الحلّ وهي البيضة.

وتجدر الإشارة، في هذا السّياق، إلى أنّ البيضة وحدها قد استحوذت على ثمانية (08) ألغاز من أصل اثني عشر (12) لغزاً في الموضوع: " البيض والدّجاج". وهذه النسبة تُقَدّر بالثلثين، ممّا يوحي بأهميّة البيض في ذاته باعتباره حاجة معيشيّة بالغة الأهميّة في حياة السكّان كما أوضحنا سابقا.

وحتّى الألغاز الأربعة المتبقيّة ورد فيها ذكر البيض مع الدّجاج بما يؤكدّ ما ذهبنا إليه من أنّ بيض الدّجاج هو المقصود – في المقام الأوّل – من دون لحمه.

ونذكر من تلك الألغاز المتبقيّة اللّغزين الآتيين:

1- « نكبسك كبسه حديفي، ما نثورش عنّك كلاّ عدت كيفي » [6].

---

[1] نفسه : (40).

[2] نفسه : (47).

[3] نفسه : (48).

[4] نفسه : (58).

[5] عالم الحيوان : (56).

[6] نفسه : (28) نكبسك: أربطك والمراد: أحضنك. كلاّ عدت كيفي:إلى حين تصير مثلي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي هذا اللّغز يتجلى البعد الخرافي في الموروث الشّعبيّ من خلال مخاطبة الدّجاجة لبيضها الّذي تحتضنه، وتعهدها أمامه بألاّ تبرحه حتّى يصير مثلها.

2- « عُرمة حجَر، ولَّتْ ذَرْ، ما عرفنا لَنْثَى من الذكر » [1]

وها هنا يُعبّر الخيال الشّعبيّ عن معجزة التحوّل المذهلة من الموت إلى الحياة أيْ: من البيض الميّت إلى الفراخ الحيّة. وتتألّق الاستعارة لتُحوّل هي الأخرى البيض إلى حجر، والفراخ إلى أطفال إمعاناً في التعمية لصناعة الدهشة.

II - الإبـــل:

أوضحنا في الفصل التّمهيدي أنَّ الإبل تُعَدُّ من ضروريات العيش والحياة لاسيّما لدى أهل البادية الذين يأخذون من الإبل غذاءهم وكساءهم، وسكناهم، وعلى ظهورها يتمُّ ترحالهم وأسفارهم ذلك أنَّ حياة البداوة تعتمد – أساسًا – على تربية المواشي والرّعي، وبخاصة رعي الإبل المهيأة في أصل خلقتها وتكوينها للتكيف مع البيئة الصحراويَّة وظروفها القاسية. فالبداوة «نمط معيشة خاص يقوم – في الأساس- على تربية المواشي والرّعي والترحال تلاؤماً مع البيئة الصّحراوية، فقد نشأ هذا النّمط في البادية ... وتكوَّن تدريجياً نتيجة لتفاعل دائم وطويل مع هذه البيئة استجابةً لحدودها، وقسوتها، ومتطلباتها» [2]. وأهل الإبل هم أهل الترحال المستمر في أرجاء الصّحراء المقفرة لأنَّ ذلك من صميم معاشهم ومقتضيات حياتهم. يقول صاحب " المقدمة ":

«...وأمَّا من كان معاشهم في الإبل، فهم أكثر ظعناً، وأبعد في القفر مجالاً » [3].

ومن مظاهر اهتمام أهل سوف القُدامى بالإبل أنَّهم كانوا يؤَشّرون عليها برموز خاصة تُميّز إبل كلِّ قبيلة أو عميرة عن الأخرى [4].

ومن جملة الألغاز الشّعبيّة الّتي تناولت الإبل نذكر:

1-«عبد الصّمد قال كلمات، واصنتوا يا شواشي،كلّ شيء خالق بشيء كان شي خالق بلا شي» [5].

---

[1] نفسه : (35) عُرمة: مجموعة، ولَّتْ ذَرْ: صارت أطفالاً.

[2] ينظر: د.حليم بركات، المجمع العربي المعاصر- بحث استطلاعي اجتماعي – مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط8، 2004 ، ص66 .

[3] ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص97.

[4] ينظر: Andrés-R-Voisin ,op.cit,p 240.

[5] عالم الحيوان : (7).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فعبد الصّمد – هاهنا- يُصوّر ماهو استثناء خلقي خاص بالجمل في عالم الحيوان، ويتمثّل هذا الاستثناء في انعدام المرّارة لدى الجمل.

2- « أربعة مطارف في بير غارف » [1] .

وفي هذا اللّغز وصف للحُوار – وهو ولدُ النَّاقة - في بطن أُمّه. ونلمح- هاهنا – الإيحاء بضخامة هذا الكائن الحيّ: النَّاقة، وسعة رحمها وعمقه بحيث حوى الحُوار بقوائمه الطويلة. ولقد اعتمد هذا الإيحاء على الاستعارة بأن استعيرت لفظة " المطارق" للإيحاء بطول قوائم الحُوار. واستُعير البير الغارف أي: العميق للإيحاء بعمق الرّحم وسعته.

3- « ربعة متربعات، راقيات الجبال الواعرات »[2].

وهنا تصوير للجمل بحمله الثّقيل وهو يتحدّى الكثبان الرمليّة العالية في الصَّحراء. وهذا اللّغز يذكرنا بذلك الحوار الملغز الذي دار بين عبد الصّمد الشابي وابنه، وقد أوردناه كاملاً في الفصل السابق.

وما يهمّنا من ذلك الحوار – في هذا السيّاق – هو المقطع الآتي:

الأب: واش يغلب العوامي* الوعور؟

الابن: بغلبها البعير الفحول.

4- « كثير العيون، قليل النظر، رزقه حذاه، وهو صايم ما فطر »[3].

والوصف في هذا اللّغز لايتعلّق بالناقة في ذاتها، بل بشيء يتعلق بها وهو الشمال** الذي وصف بأنَّه قليل النظر رغم كثرة العيون والثقب المحيطة به، كما أنَّه يُحيط بالرّزق من دون أن يصيب منه شيئًا، فيظلّ صائماً بلا إفطار.

III - الحليب والزبدة:

قد يُستغرَبُ – لأوَّل وهلة – إدراجنا لهذا الموضوع ضمن: "عالم الحيوان "؛ إذ الأقرب – عقلاً وواقعاً- أن يُنسب الحليب والزبدة إلى " عالم الجماد ". وهذا تصوّر صحيح بالقياس إلى مطلق الحليب والزّبدة بما فيه الأنواع الاصطناعيّة.

---

[1] عالم الحيوان : (27).

[2] نفسه : (30).

* العوامي: الكثبان الرملية.

[3] نفسه : (37)

** الشمال :شيء كالمخلاة يوضع على ضرع الشّاة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيد أنّ المفهوم الشعبي للحليب والزبدة ينحصر فيما هو طبيعي صادر عن الشاة مباشرة، و لذلك وجدنا ألغاز الحليب و الزبدة - في عمومها - مرتبطة ارتباطا وثيقا بالشاة الحلوب.

و من هذا المنطق، أدرجنا كل ما هو غذاء للإنسان من مصدر حيواني في ألغاز" عالم الحيوان" كالبيض والحليب، و العسل و ما شاكل ذلك.

و من ألغاز هذا المحور، نذكر ما يأتي:

1- " على طيب من طيب، وهو اخيار المطايب، كان كتب له الله المكاتيب من النّي يخرج طايب " [1]

و أول ما يلفت انتباهنا في هذا اللغز تكرار معنى الطيبة المراد بها ما لذّ و طاب من الطعام و الشراب، والحليب - بلا ريب - جدير بمثل هذا التنويه و الإشادة، فهو – حقّا – طيب من مصدر طيب، و هو خيرة المطايب [2]، و لكن المفارقة ترتسم في آخر اللغز، حيث إن هذا الموصوف يخرج ناضجا سائغا من مصدر نيء. و لو لم نمهّد بالكشف عن الحل، لكان اللغز صعبا بهذه المفارقة الأخيرة التي تذكرنا بآية قرآنية كريمة تشيد بهذه النعمة و المعجزة الربانية، قال تعالى: " وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً، نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ " [3]

2- " سيف جبته من بعيد ايبان ضواه، تلموا الطُلبة و العزّامة، لا من قد يرده لجواه " [4]، و في هذا اللغز استُعير السيف لتصوير الحليب بجامع البياض و اللمعان كعلاقة مشابهة بينهما، كما استُعير غمد السيف (لجواه) لتصوير الضرع، و المفارقة تكمن في امتناع القدرة على رد هذا السيف إلى غمده على الرغم من اجتماع أهل الاختصاص الطُلبة و العزّامة على ذلك و لكن العَجز كان سيد الموقف، و من غير معرفة الحل ، تظل الدهشة قائمة .

3 - " الانثى شدت في لحبال، و قالت : ياعالي الدرجات، جابت الانثى و الذكر، الانثى غلبت باللّذّات"[5]

و المراد بالانثى و الذكر -هنا – اللبن و الزبدة، و كلاهما طيب لذيذ غير أن لذة اللبن عاجلة زائلة، أما لذة الزبدة، فهي آجله باقية ، و ذلك عندما تدخر لتصير سمنا يلتمس منه الغذاء و الشفاء.

---

[1] عالم الحيوان: (17) .

[2] المطايب: من الشيء : خياره (المنجد في اللغة و الأعلام، مادة "طاب"، ص 744) .

[3] سورة النحل الاية: 65 .

[4] عالم الحيوان: (20) .

[5] عالم الحيوان: (2) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و نعرّج- الآن - على بعض المحاور الأخرى في " عالم الحيوان " بشكل مختصر سريع.

- " عبد الصمد قال: حاح، سحتوا الغنم و احلبوا المراح " [1]. أن يُبعَد الغنم و تُحلب مراتعه، تلك مفارقة عجيبة، و لكن العجب يزول عندما نعرف الحل بأن المراد بالغنم هو النحل حيث يجب أن يطرد و يبعد لأخذ العسل.

- و تصور الأفعى تحت الرمال على النحو الاتي " فص مراية مدفون في رملاية " [2].

- أمّا العقرب، فتشبَّه لسعتها الخطيرة بنار تتّقد و لكن بلا ضوء، و هي هابطة صاعدة في الجو، و مسكنها في الأرض الباطنة " النار اللي تقدي بلا ضوء، و القلم شاهي اسماها، ترقى و تهود ما الجو، و هي ساكنه في وطاها " [3].

ولا ينسى الخيال الشعبي صغار الحشرات كالقملة التي يلاحقها خمس و يلقي عليها القبض اثنان عندما تنتهك حرمة رأس الإنسان:

" غُمزتني غمزة، و همزتني همزة ، فزعولها خمسة، و جابوها اثنين " [4].

و من الألغاز البسيطة الموجزة الموجهة للأطفال لغز الغراب: " أسود ما يشيب " [5].و الجانب الديني حاضر – على الدوام- حتى في ألغاز " عالم الحيوان " " ضيف جانا بالتوحيد في الدنيا عاش يوم واحد " [6]. والمراد بهذا الضيف الغريب العجيب الذي جاءنا بالتوحيد و كأنه نبي مرسل على حين أنه لم يعش سوى يوم واحد هو كبش الفداء لإبراهيم و إسماعيل عليهما السلام و هكذا يتفاعل اللغز الشعبي مع الحقيقة الدينية بشكل رمزي جميل.

و خلاصة القول في ألغاز " عالم الحيوان " أن الخيال الشعبي بوادي سوف قد ركّز وصفه و تصويره – في المقام الأول – على الموضوعات و المحاور التي يعدّها في مقدمة حاجاته و ضروراته المعيشية كالبيض و الإبل واللبن من دون أن يهمل باقي المحاور في عالم الحيوان ممّا يحيط ببيئته الصحراوية من حشرات وهوام، وزواحف، وطيور و غيرها.

---

(1) نفسه: (10) . حاح: صوت يطلق لطرد الطير أو الحيوان. سحتوا : اطردوا .

(2) نفسه: (13) .

(3) نفسه: (18) .

(4) نفسه: (06) . فزعولها: هبّوا نحوها .

(5) نفسه: (31) .

(6) نفسه: (24) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ثالثا: عالم النبات:

سبق التأكيد في الفصل التمهيدي أنّ النخيل يمثل الغطاء النباتي الأبرز في أرض سوف، كما أنّ غراسة النخيل كانت هي الدعامة الأساسية للاقتصاد المحلي. فلا غرو- إذن - أن تكون ألغاز النخيل هي الأكثر عددا في" عالم النبات " ذلك أننا عرفنا من خلال الصفحات السابقة، أن الموضوعات ذات الصلة المباشرة بحياة السكان و معيشتهم هي التي تحظى بالنصيب الأفر من الألغاز.

و من هذا المنطلق، سنُعنى في هذا المبحث بألغاز النخيل - في المقام الأول - ثم نتناول البقية عبر إشارات سريعة عابرة .

* ألغاز النخيل:

بلغت ألغاز هذا الموضوع اثني عشر لغزا من أصل خمسة و أربعين جمعت في " عالم النبات" فالنسبة المئوية - إذن- تقدر بحوالي : 27% .

و لقد أبدع الخيال الشعبي في ألغاز النخيل حيث تناول هذا الموضوع بالوصف و التصوير من جوانب عدة، سنتعرف على بعضها فيما يأتي:

" أخضر من لعشب، و أصفر من الذهب، و أسود من الليل اللّي ضرب " [1]، فهذا اللغز يصور مراحل تطور التمر ابتداء بالبلح الأخضر، مرورا بالبسر أو الرطب الأصفر، و انتهاء بالتمر الأسود [2].

و الملاحظ في اللغز السابق استعمال صيغة التفضيل: (أفعل) على مستوى الألوان: أخضر، و أصفر، وأسود[*]. و هذه الصيغة توصي بمدى تفاعل الخيال الشعبي مع التمر في مختلف أطواره.

و يتفنن الخيال البدوي في وصف مجموعات النخيل في غاباتها مستعيرا مشاهد الأغنام في مراعيها صانعا من جدلية الحركة و السكون بين المشهدين الدهشة الآسرة.

" سعينا مولد * حلا ليب حلا ليب.

-واثق مراتع دياره * لا يسرح لا ياكله الذيب.

و لا قوم تدي اخباره " [3].

---

[1] عالم النبات: (2) .

[2] ليست كل التمور سوداء. فالغرس- مثلا- أحمر و لكن المراد- هنا- بعض التمور السوداء مثل: تكرمست ، و تنسين " .

[*] في الفصحى، لا يصح بناء (أفعل) التفضيل من لفظ اللون بشكل مباشر، بل يؤتى باسم تفضيل مناسب ويضاف إلى مصدر اللون، فيقال – مثلا -: أشد خضرة أو اخضرارا، وأشد سوادا وهكذا...

[3] عالم النبات: (8) حلاليب: مجموعات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أجمل الألغاز - في هذا المجال- و أبدعها، و أدقها وصفا، و ألطفها معنى، هذا اللغز الآتي الذي يصور عرجون التمر و مراحل تطوره:

"- أبيض من الشاش مغسول * بين يدين أهل الرباصة.

- أخضر من الخز مبلـــول * يصفار كيف النحاسة.

- يحمار من كثرة الهـــول * بالشرع يتقص راسه " [1].

و تبدأ هذه المراحل من انشقاق الطلعة إلى غاية المرحلة الأخيرة حيث ينضج التمر، و يُقص العرجون في موسم جنـــي التمور. ومن البداية إلى النهاية، يمر التمر بعدة أطوار وألوان يوضـــحها أبـــو حـــاتم السجستاني (ت. سنة 255هـــ) بقوله :" و إذا انشقت الطلعة فخرج الذي في جوفها أبـــيض قيـــل: غضة بغوة... ثم هو البلح ما دام أخضر مثل أبعار الغنم إلى أن يغلظ النوى. فإذا فصل اللون إلى الحُمرة أو الصُفرة فهو البسر حتى يقنأ و يبلغ أقصى لونه " [2].و لطلعة النخلة نصيب من الوصف و التصوير ، فهي : " أبيض من الكتان منين كان، و أرطب من سلك الحرير في جواه، يشرب مـــن راس العـــين ، متوسّد ركبة للاّه " [3]. ولاعجب في هذا النص الحافل بالتغنـــي والتمجيد و الإشادة على إيجـــازه، ذلك أنّ خيال الفلاح الشعبـــي يرى في طلعة النخلة بداية الرحلة، و فاتحة البشرى، و حاملة الثمرة.

و من الألغاز البسيطة الموجهة للأطفال في عالم النخيل اللغز الآتـــي: " عروقها في الماء، و راســـها في السماء " [4]. ولعل أفضل عنوان لهذا اللغز هو: " النخلة: رسوخ و شموخ " و هـــي قيمـــة تربويـــة جوهرية في الحياة أراد الخيال الشعبـــي ترسيخها في وجدان الأطفال عبر إيـــحاء هذا اللغز. هذا مـــا وقع عليه اختيارنا من ألغاز النخيل بحسب ما يتسع له المقام، و نحسب أنّ في هذه الباقة المختارة حـــدّا مقبولا من الكفاية. أما بقية الموضوعات والمحاور في عالم النبات، فسنوجز القول في بعضها من خـــلال الألغاز المختارة الآتيـــة:

1- " بلادنا الخضرة * سكانها عبيد.

تتسكر بالقدرة * و تتحل بالحديد" [5].

---

(1) عالم النبات: (18) أهل الرباصة : المراد بها أهل الرفق و الأناة . من كثرة الهول: من شدة الحر .

(2) ينظر: أبو حاتم السجستاني ، كتاب النخلة ، تحقيق أ دحاتم صالح الضامن ، ص- ص 69 ، 70 (مرجع سابق) .

(3) عالم النبات: (29) للاّه: أمه و المراد بها : النخلة .

(4) نفسه: (39) .

(5) نفسه: (1) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعل جمال هذا اللغز يكمن في روعة الاستعارة التي نقلتنا من عالم النبات إلى عالم البلدان و الدول، فالمتلقي- لأول وهلة - يحسب أن الوصف يتعلق ببلاد لها سكان و أبواب تغلق بسر القدرة، و لا تفتح إلا بالحديد، و قد يذهب الخيال إلى أنّ المراد بالحديد هو السلاح الذي يدّك الحصون، و يفتح الأبواب، ولكن الحل بكل - بساطة - يتمثل في البطيخ الأخضر المعروف - عندنا - باسم (الدلاع)! ياللبُعد! يا للدهشة! كيف؟ إليك التفصيل : بلادنا الخضرة: البطيخ الأخضر. سكانها عبيد: بذورها سوداء كالعبيد، وهو ما يعرف في العاميّة بـ (الزنين). تتسكر بالقدرة: تغلق بالقدرة الإلهية، تتحل بالحديد: تفتح بالسكين.

هذا كل ما في الأمر. إنها الاستعارة صانعة التعمية و الدهشة، ترمي بنا بعيدا، والحل - دائما- قريب.

2- " شاهية و مشتهية، الناس الكل تشتهيها، ولدت ولد خايب النية، ولـّى عليها كلاها " [1]. فمن هذه المسكينة التي يشتهيها كل الناس، تلك التي و لدت ابنا عاقا أكل أمه ؟ ياللهول!. الحل – ببساطة – هو القمح و سوسته.

و تجدر الإشارة - هاهنا - إلى خاصية يتميز بها الأدب الشعبي في عمومه و هي خاصية تعدد الصيغ والروايات للنص الواحد بتأثير التداول الشفهي من منطقة إلى أخرى، و هذه الملاحظة و قفنا عندها، أثناء الجمع و التصنيف على مستوى العديد من الألغاز، فاللغز السابق - مثلا- ألفيناه برواية أخرى بالصيغة الآتية: " أنثى طرية، سبحان ربي لانشاها، ولدت صغير خايب اللون، ولـّى عليها كلاها" [2]،و حل هذا اللغز هو: الفولة و السوسة التي بداخلها .

3-" كبشنا لدرع عمره ما صيح في غنم ، قدام العصر حلال، وبعد العصر احرم" [3]، يبدو أن المفارقات كثيرة في هذا اللغز الموجز، فالوصف يتعلق بعالم الحيوان: بكبش أدرع غير أنه لم يصح قط في غنم، و هو قبل العصر حلال، و بعد العصر حرام. و الحل كلمة واحدة هي: العنب .

و من الألغاز الموجزة الطريفة هذا اللغز الذي يصور قرن الفلفل في صغره و خطره على النحو الآتي: " صبي بطربيشته فيه البلاء في كريشته" [4]،فهو صبي يحمل " طربيشته " (تصغير لطربوش) ، و المشابهة قريبة و جميلة بين المستعار و المستعار له، و على الرغم من صغره و لكنه يحمل البلاء بداخله، لأنه حريف يلذع اللسان بحرارته.

---

[1] عالم النبات: (22) .

[2] نفسه: (17) .

[3] نفسه: (38) .

[4] نفسه: (4) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و في ختام هذا المبحث، يمكن القول بأن ألغاز النخيل كانت هي الأكثر عددا، و الأبدع تصويرا في عمومها، لأهمية النخل الكبيرة في حياة السكان، و مع ذلك، لم يهمل الخيال الشعبي بقية النباتات والمزروعات على محدوديتها في البيئة الصحراوية.

رابعا: عالم الجماد:

لعل الملاحظة الأولى التي تطرح في بداية هذا المبحث تتعلق بهذا العدد الكبير من الألغاز الشعبية التي تناولت عالم الجماد بحيث تجاوز عددها الثمانين بعد المائة متصدرة بذلك المدونة المجموعة تليها ألغاز عالم الإنسان. و لعل تفسير هذا الذي لاحظنا ينحصر في أمرين:

- الأمر الأول: أن عالم الجمادات - في الطبيعة – عالم واسع فسيح، فلا يستثنى منه سوى عالم الكائنات الحية: الإنسان و الحيوان و النبات، و هي عوالم محدودة و لا سيما في البيئة الصحراوية.

- الأمر الثاني: أن عالم الجماد يشمل إلى جانب عناصر الطبيعة الجامدة كل المصنوعات و الأدوات والوسائل التي يستخدمها الإنسان في معاشه. وهي كثيرة، و متنوعة، و متجددة.

و ستكون دراستنا لهذا المبحث الرابع: " عالم الجماد" من خلال المحورين المذكورين: محور الجمادات الطبيعية،و محور الجمادات الاصطناعية.

1- محور الجمادات الطبيعية:

ويشمل هذا المحور الأرض و السماء و ما فيهما من مخلوقات جامدة، و فصول متعاقبة.. و عدد ألغاز هذا المحور بلغ حوالي خمسين (50) لغزا من أصل مائة و اثنين و ثمانين (182) هي مجموع ألغاز " عالم الجماد" و النسبة المئوية الناتجة عن العدد المسجل تقدر بحوالي : 27,5 % . و هذه النتيجة تعني أن النسبة الأكبر من الألغاز كانت للمحور الثاني: محور الجمادات الاصطناعية، و لهذه النتيجة دلالة سنتوقف عندها لاحقا.

لقد تفاعل الخيال الشعبي مع مظاهر الطبيعة المختلفة في الفضاء الرحيب كما في هذا اللغز: " بيتنا الكبيرة، و غنمنا النشيرة، و فرحنا الدوّاي، و مصباحنا الضوّاي" [1]. فبيتنا الكبيرة هي السماء القبة الزرقاء، و غنمنا النشيرة هي النجوم البيضاء - كالأغنام - المنتشرة في الفضاء، و فرحنا الدّواي هو الرعد بباروده المدوي، أمّا مصباحنا الضّواي، فواضح أنها الشمس بضوئها الوهاج. و ما يشد انتباهنا في هذا اللغز تلك النظرة الحميمية المتفائلة إلى الطبيعة التي نلمحها من خلال استخدام ضمير المتكلمين: (نا) في كل مقاطع اللغز بما يوحي أن الطبيعة هي أمّنا الحنون، و هي ملكنا جميعا .

---

[1] عالم الجماد: (48) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و نرجح أن تكون هذه النظرة المتفائلة مستوحاة من العقيدة الإسلامية الراسخة في نفوس أهل سوف، ذلك أن عقيدة الإسلام رسّخت في وجدان أتباعها أن الطبيعة خُلقت من أجل الإنسان، و هي مسخرة له لينتفع بها شاكرا لأنعم الله فيها باعتباره خليفة الله المكرّم، وسيد المخلوقات جميعا [1]. و هذا بخلاف بعض الفلسفات و الأساطير القديمة لأمم مختلفة ترى الطبيعة عدوا للإنسان، و تقسّم الكون إلى ثنائيات متصارعة بين إله الخير و إله الشر من جهة، و بين إله النور و إله الظلام من جهة اخرى. وترى في ظاهرة الرعد- على سبيل المثال – غضب الآلهة وصوتها المزمجر. على حين يرى خيالنا الشعبي الرعد فرحا و عرسا يُدّوي ببارود.

و من الألغاز الجميلة في هذا المحور اللغز الآتي: " أربع سلاطين متقادرين ، يدخل واحد، يخرجوا لُخرين" [2]. و ظاهر اللغز يعكس مفارقة عجيبة غريبة إذ لم يحدثنا التاريخ في- حدود علمي - أن أربعة من السلاطين كانوا يتداولون على عرش واحد في عصر واحد باحترام و سلاسة، ذلك ان السلطنة - عادة- تقتضي الوحدة و التفرد، بيد أن العجب يزول بمجرد معرفة الحل المتمثل في الفصول الأربعة.

أما الليل و النهار، فهما كبشان: أحدهما أبيض و الآخر أسود، و أحدهما يُفرق و الآخر يجمع " زوج أكباش، واحد أبيض، و واحد أحمّ، واحد يفرق، و واحد يلمّ " [3]، و نلاحظ - هاهنا- أن الخيال الشعبي في ألغاز سوف يستمد صوره المختلفة من وحي بيئته البدوية، و طابعها الصحراوي.

و ما ذا عن الماء في بيئة الصحراء ؟

الحقيقة أن الماء بوصفه أساس الحياة لكل الكائنات، حظي بعدد معتبر من الألغاز الشعبية بوادي سوف، حيث أبدعت المخيلة الشعبية و تألقت في وصفه و تصويره كعادتها مع كل موضوع حيوي. فهو " يمشي بلا راس، و يحفر بلا فاس، و يقتل بلا رصاص " [4].

---

[1] من دلائل ذلك ما ورد في القرآن الكريم من حديث مستفيض عن الطبيعة ، و دعوة الإنسان إلى التأمل و السير فيها لتعميق الإيمان ، و عمارة الأرض، كما نلمس العلاقة الحميمية مع الطبيعة فيما روي عن الرسول – (صلى الله عليه وسلم)- أنه مر و أصحابه بجبل أحد فقال: " هذا جبل يحبنا و نحبه " .

[2] عالم الجماد: (96) .

[3] نفسه: (65) .

[4] نفسه: (88) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و يوصف للأطفال بأنه " يطبخ و ما يطيب" [1]. و يوجه إليه الخطاب بشكل مباشر و كأنه عاقل إمعانا في التفاعل معه: " ياما جريت في الارض و طويت، العود اللّي سقيته به تكويت " [2]. و كم هو جميل هذا الخطاب الحميمي الحزين الذي يجعلنا نشعر بالأسى و الإشفاق على هذا الذي طوى الأرض سعيا و عملا، ثم تكون عاقبته أن يكوى بذات العود الذي طالما سقاه ورعاه ! فالاستعارة نقلتنا - هنا - إلى عالم الإنسان لتحرك فينا الوجدان، ثم تضعنا في النهاية، أمام أصل وجودنا: الماء.حقا:" إن من البيان لسحرا "[3].

و يمعن الخيال الشعبي في التألق و التأنق عازفا على و تري التركيب و الدلالة في لعبة حروف مدهشة بل مرعبة يوحي ظاهرها بالكفر و الزندقة فلا ينقذنا من هذه الحال المتوترة سوى فك الرموز لمعرفة سر هذه اللعبة الخطرة . يقول هذا اللغز الغريب:" المطر ما صبت، و البحر ما فيه، وربي ما خلقني، ونايا ما عبدته" [4] و لعل القارىء الكريم أدرك سر التعمية الكامنة في الحرف (ما) من حيث دلالته الظاهرة على النفي، ودلالته الباطنة على الماء بالاعتبار الصوتي. فهذه اللعبة الخطيرة المثيرة تحالف فيها الحرف و الصوت لإرباك الإنسان. فعجبا! الإرباك منه وإليه.

و البعد الديني حاضر - على الدوام – حتى في " عالم الجماد " حيث يصور اللغز الآتي جبل عرفه تصويرا جميلا فيقول:"تراسنا القارح عاش مدة من الزمان،في العام يتغطى مرة، و باقيها عريان "[5].

2- محور الجمادات الاصطناعية:

أوضحنا –فيما سبق- أن هذا المحور يضم العدد الأكبر من ألغاز عالم الجماد بنسبة مئوية تفوق 70 ٪.كما أشرنا إلى أن هذا التفوق العددي لا يخلو من دلالة. و لعل الدلالة الظاهرة، في هذا السياق ، تتمثل في كون الجمادات الطبيعية، و بخاصة في البيئة الصحراوية، محدودة بالقياس إلى الجمادات الاصطناعية التي تشمل مختلف الصنائع و الأدوات و الوسائل التي يستخدمها الإنسان في معاشه ممّا أبدعتها يداه، فالجمادات الطبيعية هي الأرض و السماء و ما فيهما من مخلوقات ظاهرة كالشمس و القمر، و النجوم، و الجبال، و الماء، وظواهر مختلفة كالبرق و الرعد، و الليل و النهار، و الفصول الأربعة، فهي - إذن - لا تكاد تخرج عن هذه المحاور المذكورة المحدودة، أمّا الجمادات الاصطناعية، فهي – كما أشرنا آنفا – كثيرة و متنوعة، و متجددة.

---

[1] عالم الجماد: (35) .

[2] نفسه: (153) .

[3] هذا القول جزء من حديث شريف .

[4] عالم الجماد: (177) نايا أي: أنا .

[5] نفسه: (1) زوز أي : زوج .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي– من جانب آخر– تتصل بكل العوالم الأخرى: عالم الإنسان، و عالم الحيوان، و عالم النبات. ذلك أنها تشمل ملبوسات الإنسان المصنوعة من أصواف الحيوانات، و أوبارها، و أشعارها، و التي يصنع من بعضها مسكنه في الصحراء. كما تشمل مصنوعاته التقليدية على اختلاف أنوعها وأشكالها ، وأحجامها، التي تستمد موادها الأولية من نخيل المنطقة، و نباتاتها الأخرى، و حيواناتها ،وصخورها.

وسنحاول، من خلال الألغاز الشعبية التي سنختارها من هذا المحور، أن نعرف كيف تعاملت المخيلة الشعبية - إبداعيا – مع ما أبدعته يد الإنسان من مصنوعات و أدوات و وسائل في عالم الجمادات الاصطناعية.

لعل من أبرز الأدوات و الوسائل التي تناولتها الألغاز الشعبية، تلك المتعلقة بأبرز الصناعات التقليدية المنتشرة في المنطقة كصناعة النسيج التي أشرنا إليها، و إلى أهميتها لدى السكان في الفصل التمهيدي. و لقد صورت صناعة النسيج في الألغاز الشعبية بوادي سوف بمختلف مراحلها: بدءا بمرحلة غسل الصوف وتجفيفه و انتهاء بإقامة المنسج الذي ينتهي الاشتغال فيه بإخراج المنتوج المنتظر. و بين البداية و النهاية مراحل أخرى للعمل تستعمل فيها عدة أدوات و وسائل، و من تلك الأدوات ما يسمى عند العامة " بالقرداشة " ، وهي أداة خشبية عليها أسنان حادة كإبر صغيرة و تستعمل كزوجين متقابلين يوضع بينهما الصوف ليمشط تهيئة لغزله و استعماله في المنسج.

و قد وصفت (القرداشة) في عدة ألغاز نذكر منها:

1- " زوز خدم يتنادبن، و ما يصيرش الدم" [1] و لعل جمال هذا اللغز يكمن في روعة الاستعارة التي أحالتنا إلى عالم الإنسان في مشهد جنائزي غريب حيث وضعنا أمام خادمتين تتنادبان من غير دماء تسيل من أثر الندب .

2- " علّي فمها في كرشها، و جلدها متكمّش، المضغان تمضغ، و الصرطان ما تمّش " [2]، و في هذا اللغز - أيضا- نقله أخرى من عالم الجماد إلى عالم الحيوان على متن الاستعارة، فهاهنا وصف " للقرداشة" و هي تقوم بعملها في مشط الصوف، فنسب لها فم و كرش و جلد ومضغ بلا بلع ! و هو وصف دقيق و بديع لعب فيه الخيال الدور الأساس .

---

[1] عالم الجماد: (1).

[2] نفسه: (80) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما خيوط المنسج بعد إقامته ، فقد صور الخيال الشعبي كثرة عددها بحيث يصعب عدها، و لكن الغريب أن خيطا واحد منها لو سقط لاكتُشف بواسطة " الذبال " و هو آداة حادة تتخلل الخيوط. و يصور اللغز الآتي هذا المعنى موظفا صور البيئة المحيطة فيقول:

" غنمنا الكثيرة، العدّان ما نعدّوهما، و كان غدت شويهة نفقدوها " [1] .

ومن الألغاز الجميلة البديعة في موضوع صناعة النسيج و أدواته اللغز الآتي:" جاوب جواب : القيت عشرة حيين يرقص من بينهم واحد ميت " [2]، المفارقة - هاهنا- كبيرة، و الدهشة أكبر، فاللغز يعزف على و تري الحياة و الموت، ووجود ميت وسط عشرة من الأحياء أمر ممكن و وارد، و لكنه ميّت يرقص. هذا هو مبعث العجب و الغرابة. هل الوصف يتعلق برؤيا في المنام ؟ و يأتي الجواب بالمفاجأة غير المتوقعة: إنه "المغزل" بين أصابع المرأة و هو يرقص بينها و يتحرك في عدة اتجاهات.

و من ملبوسات الإنسان السوفي التي تنتجها صناعة النسيج ذلك اللباس التقليدي المعروف الذي يصوره اللغز الآتي:

" فيه الراس، و ما فيه الوجه، و فيه الظهر، و ما فيه الكرش، و فيه الجنحين، و ما يطير ! " [3]، الأرجح - بحسب ظاهر اللغز- أننا أمام حيوان خرافي من شاكلة الحيوانات التي نجدها في الأساطير القديمة، والحكايات العجائبية ! و لكن الجواب يأتي - دائما- بما لا نتوقعه، لأن الاستعارة - في فضاء الألغاز- تعمل - باستمرار- على إبعادنا عن كل ما هو قريب منا سعيا وراء ما أمكن من التعمية، و الجواب القريب الغريب لهذا اللغز هو: " البرنوس ".

و من المصنوعات النسيجية التي استهوت- بجمالها- الحس الجمالي لدى الخيال الشعبي " الزربية " التي صُورت على النحو الآتي:

" جنينة في الدار، مليانة نوار، تحيا و تعيش بلا ماء، متظرها يسبي الانظار " [4]. و هذا اللغز، فيه من روعة الوصف وجمال الصياغة، بقدر ما فيه من حجم المفارقة، و سحر الدهشة.

---

[1] عالم الجماد: (80) . شويهة: تصغير للفظ: شاة

[2] عالم الجماد: (105) .

[3] نفسه: (120) .

[4] نفسه: (104) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن المصنوعات التقليدية التي حفلت بها الألغاز الشعبية : " القربة " التي تصنع من جلود الحيوانات يقول عنها عبد الصمد:

" عبد الصمد قال كلمات، و اصنتوا يا شهودي: بعينـــي ريت الماء في مسكن الدم بات، و إذا كذبت قصوا زنودي " [1]. فجلد القربة كان - حقا - مسكنا للدم حينما كانت الـــشاة حيـــة، و الآن هـــو مسكن يبيت فيه الماء.

و في لغز، شعبي آخر، يستوقفنا الخيال الشعبي حيال القربة لينفذ من ورائها إلى أصلها و هي الـــشاة ليلفت الانتباه إلى نعمة الله علينا في الأنعام التي ننتفع بها في حياتها و حتى بعد مماتها**!**" كلينـــا لحمهـــا، و كدّدنا عظمها، و باتت تخدم عن أهلها**!**" [2] و الأنعام ميته تخدم البدوي في الصحراء الواسعة حيـــث يصنع من جلودها خيمته التي تقيه الحر و القر حين يأوي إليها بعد تطواف طويل: " من البعـــد يبـــان زماهير، و من القرب مسمح انصابه، مخلطه ضان و معيز، ورجليها عودان غابة " [3].

و من المنتوجات التقليدية المصنوعة من سعف النخيل: الطبق الذي وصف بأنه يدفع الخير بصدره من غير أن يذوقه أو ينتفع به و المراد بالخير كل ما يوضع على الطبق مما يؤكل و ينتفع به:

" يدز في الخير. بصدره، لا يذوقه، لا يستنفع بيه " [4].

و نقرأ في اللغز الآتي إشارة إلى نوع آخر من الصناعات التقليدية و هي صناعة الجبس ممثلة بـــبعض عناصرها: التافزة أثناء تحويلها إلى جبس:" أنثى حرة، و الضرب فيها اكثر، يخيروه بخياره: أنثـــى و إلاّ ذكر"[5]. و من الأدوات التي يصنعها البدوي " الكِتَبْ " الذي يوضع على ظهر الجمل و يتكـــون مـــن أربع خشبات و محورين. و لقد اشتغلت المخيلة الشعبية على هذه المكونات فحولتها الاستعارة إلى عالم الإنسان لتصنع من هذا التحويل الخيالي الدلالي مع حسن استثمار المعطيـــات العدديـــة (4) و (2)، لتصنع من ذلك كله مفارقة اللغز الآتـــي و دهشته:

" انقولكم عن كلامي اللي جبته عاجل: أربع إناث و ذكرين يسمو فرد راجل " [6].

---

[1] عالم الجماد: (49) .

[2] نفسه: (123).

[3] نفسه: (26):زماهيز:المراد بها العلو: (شاهقة) .

[4] نفسه: (39) .

[5] نفسه: (58) .

[6] نفسه: (6) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحق أن ألغاز هذا المحور كثيرة غزيرة يصعب الإتيان عليها جميعا كما يصعب الانتقاء منها، ذلك أنها تناولت كل ما يستخدمه الإنسان في معاشه من وسائل و أدوات على اختلاف أشكالها و أحجامها ومنافعها. و بعد أن أوردنا ألغازا متنوعة تتصل بمختلف أنواع الصناعات التقليدية نحاول الآن أن نختار باقة أخرى من الألغاز حول موضوعات متفرقة:

" أولها بالسين، لا هي سلسة، لا هي سكين، لا هي ساقية تجري بماها، تحكم بحكم السلاطين، الناس الكل تمشي برضاها " [1]. و في هذا اللغز، وُظفت حروف الهجاء كما في الكثير من الألغاز، و قدمت وظيفة هذا الموصوف المجهول الذي يحكم بحكم السلاطين، و الجميع راضون بحكمه: إنها الساعة آلة الزمن. و الساعة تعدّ من الوسائل المستحدثة لدى أهل الحضر بالقياس إلى أهل البادية أثناء زمن التداول الواسع لهذه الألغاز . و هو زمن قديم نسبيا " دارنا المدوره، من داخل منوره، فيها قدور يشطح و يدور " [2].

و هذا اللغز - أيضا- يشي ببداية التفاعل الإيجابي مع أشياء الحضارة و أدواتها المستحدثة، فاللغز وصف طريف للمنبه يبعث على المرح و التسلية .

و ما يجدر التنبيه إليه - بهذا الصدد- أن الخيال الشعبي المعبر عن ثقافة الشعب و معتقداته و أعرافه، قد تفاعل بشكل إيجابي سلس مع الوسائل الحضارية الجديدة خصوصا بعد قناعته بجدواها و منافعها، و هذا الحكم ينطبق على الوسائل المادية، أمّا ما يراه من إفرازات سلبية للحضارة الحديثة على مستوى السلوك الإنساني، فهو يرفضه و يستهجنه كما رأينا ذلك مع لغز " شرطية المرور" في " عالم الإنسان " .

و من بين الألغاز التي يظهر من خلالها التعاطي الإيجابي مع الوسائل الحضارية الجديدة نذكر:

1 " من بعيد اتشوفه، عامل مريره، أخف من رمشة العين، أبشع من الثقيله " [3]. و في هذا اللغز إشارة إلى خاصيتين تميزان الكهرباء و هما: السرعة و الخطر. و هو بقدر ما يوحي بانبهار الخيال الشعبي بهذا الوافد الجديد، يوحي أيضا بالخوف و التوجس منه لعظيم خطره. و هذا الخطر الكهربائي، عبر عنه لغز آخر بصيغة أخرى هي الآتية:

" يلدغ بلادم، و في ضربته يكون كافي، كسار في حجرة الفم ، و في مشيته يكون وافي " [4].

---

(1) عالم الجماد: (9) .

(2) نفسه: (106) .

(3) نفسه: (53) .

(4) نفسه: (55) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتصور السيارة على النحو الآتـــي البسيط على شاكلة ألغاز الأطفال: " أربعة كحولـــه، هـــازين حديد نوع فوله " [1]. أما القطار، فيوصف على نحو أعمق: " سلسلة من سلسلة تقطع الجبال بسلسلة، فيها خوك، و فيها بوك، و فيها الناس اللي يعرفوك " [2]. و لا يخفى حس الانبهار بالقطار - هاهنـــا- هذه السلسلة التي تقطع الجبال حاملة على متنها أناسي كثيرا. و نلاحظ في آخر اللغز تلـــك الكنايـــة الجميلة عن الأعداد الكثيرة التي تمتطي ظهر تلك السلسلة العجيبة. ذلك أن الناس الذين يعرفونك هم - في العادة - كثير .

و نختم هذا المحور بألغاز أخرى متنوعة نبدؤها بشفرة الحلاقة التي صورت وظيفيا على نحـــو بـــديع استوحى خلاله الخيال الشعبي - كعادته - صور البيئة البدوية: " جملنا المعقول ثار واطلق اعقاله، دهـــم على حرثنا المبلول، ما خلاش حثاله " [3]. و الذي يحمل على رأسه الشر على حين يهرب منـــه جميـــع الناس هو عود الكبريت: " قده قد لبره، و لبره هي قياسه، الناس تهرب من الشر، و هو حامله على راسه " [4]. أمّا صاحبه الذي يلقي عليه القبض اثنان، و ثلاثة شهود عليه، و النار مشتعلة فيه فهي الـــسيجارة سارقة الصحة و المال: "اثنين شادينه، و ثلاثة شاهدين عليه، و النار شاعله فيه"[5].

و مجمل القول، في خاتمة هذا المبحث الرابع، أن ألغاز " عالم الجماد " قد نالت النصيب الأوفر مـــن عدد الألغاز المجموعة المثبتة في المدونة، تليها في الترتيب ألغاز " عالم الإنسان ". و عرفنا أن ســـر هـــذا التفوق العددي يكمن - من جهة- في محدودية باقي العوالم و بخاصة " عالم الحيوان" و" عالم النبات" و لا سيما في البيئة الصحراوية. و من جهة أخرى، يعود ذلك التفوق إلى سعة " عالم الجماد " الذي يشمل الجمادات الطبيعية ، و الجمادات الاصطناعية، و هي كثيرة و متنوعة و متجددة، و لها صـــلة بـــالعوالم الأخرى جميعا.

و لقد لا حظنا أن الخيال الشعبي ينظر إلى الطبيعة نظرة حميمية متفائلة، و رجحنا أن السر في ذلـــك قد يعود إلى القيم الإسلامية الراسخة في المجتمع السوفي. و ممّا يؤكد ذلك أن البعد الدينـــــي ألفينـــاه حاضرا في ألغاز مختلف العوالم المدروسة. ومن أبرز الموضوعات التي تناولتـــها ألغـــاز الجمـــادات الاصطناعية ما أبدعته يد الإنسان السوفي في مجال الصناعات التقليدية على اختلاف أنواعها.

---

(1) عالم الجماد: (83) .

(2) نفسه: (113) .

(3) نفسه: (102) .المعقول: مقيد بعقاله. دهم على: عرّج على الشيء .

(4) نفسه: (11) .

(5) نفسه: (12) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما تناولت تلك الألغاز محاور أخرى كثيرة و متنوعة تمثلت في مختلف الأدوات و الوسائل المتواجدة في بيئة وادي سوف، أو المحيطة بها من قريب أو من بعيد، سواء أكانت ذات طابع محلي أم مستورد على اختلاف أنوعها، و أشكالها، و أحجامها من عود الكبريت و السيجارة إلى القطار و السيارة. وعلى ذكر القطار و السيارة، نشير إلى أن الخيال الشعبي قد تعامل مع الوسائل الحضارية الجديدة - بشكل عام- بنوع من السلاسة و الإيجابية الممزوجة بحس الانبهار - عموما- ، أو التوجس - أحيانا- كما رأينا مع ألغاز الكهرباء حيث الإشارة إلى خطره الكبير، و لعل ذلك يندرج في سياق الوظيفة التعليمية و التربوية للألغاز.

خامسا: العوالم المشتركة:

هذا هو القسم الأخير من مدونة الألغاز المجموعة، و هو أصغرها حجما إذ لا يحوي سوى تسعة عشر (19) لغزا. و نعني بالعوالم المشتركة تلك الألغاز التي لا يكون حلها خاصا بعالم واحد محدد من العوالم المدروسة سابقا، بل يكون الحل مشتركا بين عالمين أو أكثر، و نشير- في هذا الصدد- إلى أن بعض الموضوعات المشتركة كالموت - مثلا- تمّ تصنيفها بحسب ما فهمناه من معنى اللغز و دلالته، فإذا كان المراد موت الإنسان، صنف اللغز في " عالم الإنسان" أمّا إذا كان المراد الموت على إطلاقه، صنف في قسم: " العوالم المشتركة.

و من أجمل الألغاز في هذا القسم الأخير، هذا اللغز الآتي الذي يشمل العوالم كلها: عوالم الإنسان، والحيوان، و النبات، و الجماد.

" ثلاثة يزيدن في ثلاثة، و ثلاثة ينقصن من ثلاثة، و الحل هو الآتي:

- ثلاثة يزيدن في ثلاثة: الحنة تزيد في يد العروس، و الززة تزيد في البركوس، و السدرية تزيد في البرنوس.

- و ثلاثة ينقصن من ثلاثة: اللسان ينقص من الحرمة، و المغرف ينقص من البرمة، و الربعي ينقص من العرمة" [1].

و المتأمل في هذا اللغز يستنبط بعدين بارزين: البعد الجمالي، و البعد الأخلاقي:

فالبعد الجمالي ظاهر في الثلاثية الأولى:" فالحناء "جمال وزينة للعروس، و كذلك" الصوف " و " السدرية " لكل من البركوس و البرنوس.

---

[1] عوالم مشتركة: (1) . - الززة: الصوف ، - البركوس: الكبش، - الرُبعي: إناء حديدي يستخدم لكيل القمح، و الشعير، و نحو ذلك.

- السدرية: قطعة قماش تخاط ما بين البرنوس و طربوشه، و تكون من حرير أو نحوه، و يُعنى بتوشيتها مما يزيد في جمال البرنوس .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمّا البعد الأخلاقي، فيتمثل في القسم الأول من الثلاثية الثانية في عبارة: " اللسان ينقص من الحرمة ". و ليس المراد مطلق اللسان - بطبيعة الحال- و إنما دوره السلبي تحديدا، عندما يتلوث فيلوث معه عرض صاحبه إذا أطلق له العنان في مجال الباطل، و اللغو، و الفحش، و غيرها من آفات اللسان.

" حاجاتكم يا ما جاتكم عن شجرة اللي باللي، تنجاب يوم المفاخر، هي ميته و وسطها حي، و تحتها حي آخر" [1] . هي – إذن- شجرة ، أو هكذا سماها الخيال ، يؤتى به بها في يوم المفاخر، و الغريب أنها ميته بين حيين: أحدهما في وسطها و الثاني تحتها، ما هذه الطقوس الأسطورية الغربية؟ و الأغرب أنها تمارس في يوم ليس كسائر الأيام، إنه يوم المفاخر! و يأتي الجواب الكافي الشافي ليقول: هي الجحفة عند العامة، أو الهودج بالفصحى، ذلك الذي يوضع على ظهر الجمل و العروس بداخله تزف إلى العالم الجديد.

" ثلاثة وقوف، و الرابع معلق، و الخامس يشوف " [2]. ظاهر هذا اللغز يعطي انطباعا مرعبا مفاده أننا حيال مشهد مأساوي، إنها حادثة إعدام بالشنق، فأحد الخمسة قد تم إعدامه فهو معلق يتدلى، و ثلاثة واقفون، يرجح أن يكونوا هم الذين أشرفوا على تنفيذ الحكم، أمّا الخامس فهو يراقب المشهد عن كثب، فقد يكون شاهدا أو شهيدا بعد حين! بيد أن الاستعارة اللعوب الكذوب هي التي ألقت بنا في هذه المطارح البعيدة، وجعلتنا نحس بالخوف و الرعب من غير داع لذلك غيرَ داعي المجاز! أما الحقيقة القريبة البعيدة، فتتمثل في ثلاثية بسيطة هي: الحمارة [3] و الشكوة و المرأة. فالثلاثة الواقفون هي عصي الحمارة أو قضبانها و هي قائمة، و الرابع المعلق هي الشكوة، و الخامس المشاهد هي المرأة .

" ناقتنا الحامل جوها الجمال الهايجين هي صبحت حايل، و هم صبحوا حاملين " [4]يالمفارقة الغريبة! ويالدهشة العجيبة! ناقة حامل، تتغشاها جمال هائجة، فينقلب الحمل منها إليهم! إنها روعة المجاز، و دهشة الاستعارة، و كل شيئ ممكن معها!. الحل ببساطة بسيطة يتمثل في القصعة و الأكلة!.

---

[1] عوالم مشتركة: (6) .

[2] نفسه: (8) .

[3] الحُمّارة: ثلاثة عصي أو قضبان يتم ربطها من الأعلى، و تعلق عليها القربة أو الشكوة، و في الفصحى تسمى الحمراء (المنجد في اللغة والأعلام) ص 153 مادة (حمر) .

[4] عوالم مشتركة: (12) حايل: غير حامل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و نختم هذه الجولة بلغز يتضمن البعد الديني الذي فرض نفسه على كل العوالم دون إستثناء كما أشرنا سابقا. يصور هذا اللغز ثلاثية لوح الكتابة، و القرآن الكريم، و القلم على النحو الآتي البديع في صوره وإيقاعه:

" أرض من خشب، و زرعها من ذهب، و محراثها من قصب " [1].

و في ختام هذا القسم الأخير، نتمنى أننا قد وفقنا في تمثيل، " العوالم المشتركة " بما اجتهدنا في اختياره من ألغاز جميلة تألق فيها الخيال الشعبي - كعادته- مشكلا من عناصر متفرقة لعوالم مختلفة نصوصا لغزية بديعة لعبت فيها الاستعارة دورا مركزيا عاكسة لنا صورا متعددة و متنوعة من البيئة السوفية.

وفي خاتمة هذا الفصل الذي عالج تجليّات البيئة السّوفية من خلال ألغازها الشّعبيّة، يمكن القول بأنَّ الألغاز الشّعبيّة بوادي سوف قد حوت وعكست مختلف مظاهر الحياة والبيئة في وادي سوف بصورة أمينة وجميلة. فألغاز " عالم الإنسان " تناولت الإنسان في مختلف أبعاده ولاسيّما البعد الفزيولوجي والبعد الدّيني. وألغاز " عالم الحيون" ركّزت الوصف والتّصوير – في الدرجة الأولى – على المحاور المُتعلقة بأهمّ الحاجات المعيشيّة للسكّان كالبيض والإبل ولبن الأنعام دون إهمال باقي الأنواع الحيوانيّة المعروفة في البيئة الصَّحراويَّة. أمَّا ألغاز " عالم النبات " فقد حظيت فيها ألغاز النّخيل بالنّصيب الأوفر كمًّا وكيفًا، لما للنّخلة من دور محوري في حياة السكّان ومعيشتهم. وإلى جانب النّخيل، تناولت ألغاز هذا الصّنف أنواعاً أخرى من النباتات والمزروعات على الرغم من محدوديّتها في نطاق البيئة الصَّحراويَّة. ولقد مثلت ألغاز الجماد العدد الأكبر بالنّسبة إلى ألغاز العوالم الأخرى. وقد صوّرت الجمادات الطبيعيّة والجمادات الاصطناعية على نحو كشف لنا نظرة المجتمع إلى الطبيعة، كما أطلعنا على مختلف المنتوجات المحلية في مجال الصّناعات التقليديّة، وبقيّة الأدوات والوسائل المحليّة منها والوافدة. ومن ضمنها الوسائل الحضاريّة الجديدة وموقف الخيال الشّعبي منها .

وكانت ألغاز " العوالم المشتركة " هي الأقل عدداً. ومن خلالها تألّق الخيال الشّعبي التركيبيّ بتأليف عدّة عناصر وصور من عوالم مختلفة ضمن لغز واحد بشكل بارع وبديع.

---

[1] عوالم مشتركة : (10)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصـــــل الثالث:

البنية الأسلوبيّة للّغز الشّعبيّ

- التمهيـــــد

- أوّلا: لغة اللّغز الشّعبيّ :

- ثانيا: بلاغة اللّغز الشّعبيّ:

- المستوى الصـــوتي
- المستوى المعجمي
- المستوى التركيبي
- البنية الهيكليـــة
- البعد التـــداولي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البنية الأسلوبيّة للّغز الشّعبيّ

- تمهيـــد:

هذا هو الفصل الأخير من بحثنا، وسنحاول من خلاله تقديم بعض الإضـــاءات حـــول الجـــانب الشكليّ في اللّغز الشّعبيّ بعد أن عالجنـــا في الفصل السَّابق مضـــامينه ومحتويـــاته، أو- بـــالأحرى – موضوعاته التي عكست لنا صور الحياة والبيئة في منطقة وادي سوف في مختلف مناحيها وتجلّياتها.

ونعني بالجانب الشكلي البنية الأسلوبيّة للّغز الشّعبيّ من حيث اللّغة، والبلاغـــة، وأهـــمّ المكوّنـــات والمستويـــات الأسلوبيّة وهي: المستوى الصوتي، والمستوى المعجمي، والمستوى التّركيبي، والّتي تـــشكّل في مجموعها - بانسجامها وتناغمها – البنية الأسلوبيّة الكليّة بمختلف أبعادها الدّلاليّة.

أوّلا - لغة اللّغز الشّعبيّ :

لعلّ أوّل ما يستوقفنا – ها هنا – في موضوع اللّغة خصوصيّة لغـــة اللّغـــز الشّعبيّ وموقعها بيـــن العـــامية والفصحـــى. ولا ينبغي - في هذا السّياق – أن نطلق حكماً مطلقاً مـــستعجلاً حيـــال لغـــة الألغاز الشّعبيّة فنقول: هي العاميّة على إطلاقها بناءً على رأي شائع يـــزعم أنَّ لغـــة الأدب الـــشّعبيّ في عمومه هي العاميّة وتقابلها الفصحى الّتي هي لغة الأدب الرسميّ. وإذا أخذنا بهذا الرّأي، فإنَّ ذلـــك يعني أنَّ العامية المستعملة في لغة التخاطب اليومي، هي نفسها المستعملة في الإبداع الأدبيّ. وهـــذا غـــير صحيح، ذلك أنَّ لغة الإبداع في الأدب الشَّعبيّ بمختلف أجناسه تُعدُّ – بلا ريب – أرقى وأجود. ذلك أنَّ لغة الإبدع – بوجه عام- لغة متميّزة تظهر عليها آثار الصّناعة الفنيّة الّتي تشي بالمَلَكة والمهارة علـــى حدٍّ سواء. صحيح أنَّ العـــاميّة لا تخضع لصرامة القواعد اللّغوية من نحو وصرف وإعـــراب، بيـــد أنَّ ذلك لا ينفي عنهـــا خصـــائصها الذاتية وقدرتهـــا على التعبير في مستوياته المختلفـــة. وفي هـــذا السّياق يقول ابن خلدون: «ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللّسان العربي لهذا العهد (يقصد عاميـــات الأمـــصار المفتوحة) واستقرينا أحكامه، نعتاض عن الحركات الإعرابيَّة الّتي فسدت في دلالتـــها بـــأمور أخـــرى وكيفيّات موجودة فيه؛ فتكون لها قوانين تخصّها ولعلّها تكون في أواخره على غير المنهاج الأول في لغـــة مضر» [1].واللّغة – كما هو معلوم – تتفاوت مستوياتها سواء أكانت عاميّة أم فصيحة. ففـــي مجـــال الفصحى، نجد أنَّ لغة الصحافة – مثلاً – غير لغة الأدب، والفصحى من جانب آخر، يمكن التـــصرّف فيها من حيث الإعراب – بطريقة أو بأخرى - بحيث تقترب من العاميّة قليلاً أو كثيراً مثلما يحـــدث في أيّامنا من تعميم الوقف بالسّكون على معظم الكلمات في الجملة.

---

[1] ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص 478.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي ضوء ما تَقدَّم، وفي حدود ما قرأناه وعرفناه على مستوى لغة الأدب الشّعبيّ – بوجه عام - ولغة الألغاز الشّعبيّة – بوجه خاصّ – يمكننا القول بأنَّ لغة الأدب الشّعبيّ تُعَدُّ لغة متميّزة عليها أثر العاميّة ولكن تعلو عليها، وليست بفصحى ولكن تقترب منها. ويتفاوت هذا الاقتراب من لهجة إلى أخرى. ونحسب أنَّ لهجة منطقة سوف تحظى بنصيب وافر من ذلك كما أوضحنا في الفصل التّمهيدي.

وهذا الذي أوضحناه بخصوص تميّز لغة الأدب الشّعبيّ أثبته أحد الباحثين بقوله: « إذن فالأدب الشّعبيّ يمتاز بلغة معينة من الصّعب وصفها أو تحليلها. ولكنّها على وجه القطع ليست عاميَّة، وعلى أساس التّرجيح فصحى راعت السهولة في إنشائها، وإمكان إعطالها في القراءة، مع قدرتها على المشاكلة بحيث أصبح كلَّ فرد يحسُّ بها كما لو كانت لهجته المحليّة الخاصّة» [1] .

وبخصوص لغة الألغاز الشّعبيّة بوادي سوف، يمكننا، بعد استقراء المدوّنة المجموعة، أن نعثر على عدد كبير من الألغاز تبيّن ماذهبنا إليه فيما يتعلق بتميّز لغة الإبداع الشّعبيّ، وسموها عن العاميَّة الشائعة، واقترابها الكبير من الفصحى كما في اللّغز الآتي:

« كبيرهم في جماعة ،احتل وسط القاعة، طعامهم لغيرهم، وحظّهم مجاعة »[2]. فهذا اللّغز الشّعبيّ يُصور إبريق الشّاي والكؤوس المحيطة به. ونعتنا إيَّاه بالفصاحة ليس من قبيل المبالغة، بل هي الحقيقة الناصعة كما يظهر من ألفاظ اللّغز وتراكيبه جميعاً.

وقريب من اللّغز السَّابق هذا اللّغز الآتي الّذي يُصوّر النّوم:

« أحلى من العسل، وأثقل من القنطار، لايتباع في السوق ولا يشروه تجّار » [3].

والحكم نفسه ينطبق على اللّغزين الآتيين:

1- « يبكي بلا عين، يمشي بلا رجلين، ويطير بلا جنحين، لا أنف فيه ولا وذنين » [4].(السحاب)

2- « يخرج من كرش أمّه، ويحك ظهر ابّاه ترجعله ما تلقاه »[5] (عود الكبريت)

فهذه نماذج من الألغاز الشّعبيّة القريبة من الفصحى إلى حدٍّ كبير في مستوياتها الصّوتية والمعجميّة، والصّرفيّة والتّركيبيَّة.

---

[1] ينظر : د. محمود ذهني، الأدب الشعبي العربي « مفهومه مضمونه » مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم (5)، دار الاتحاد العربي للطباعة ، 1972 ، ص81 .

[2] عالم الجماد : (125).

[3] عالم الإنسان : (33).

[4] عالم الجماد : (136).

[5] نفسه : (51).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن جانب آخر، يقسّم الباحث عبد المالك مرتاض لغة الألغاز الشّعبيّة الجزائريّة إلى قسمين أساسين:

- أوّلها: لغة بدويّة تتّسم بالجزالة والقوة...
- ثانيهما: لغة حضرية مهذّبة رقيقة [1]...

ويبدو أنَّ هذا التقسم على قدر كبير من الصّواب والتوفيق.

ولعلّ لغة الألغاز الأربعة السابقة تندرج ضمن القسم الثاني لما يبدو عليها من آثار الرقّة والتّهذيب الدّالة على أهل الحضر.

أمَّا الألغاز الشّعبيّة الّتي تغلب عليها اللّغة البدويَّة بقوّتها وجزالتها، فهي كثيرة ولعلّها تُمثّل النّسبة الكبرى، من هذه الألغاز:

1- « الزّمل جاي من شرڤ ∴ وفي يدّه مفتاح السريره
عطى الأرْض عزڤات ∴ وخَلّى الثنيّة مريرَه » [2].

فهذا اللّغز يصوّر فرح البدوي بطلوع الفجر بعد ليل حالك طويل ثقيل. فيرى الفجر الطالع وكأنَّه قافلة قادمة من الشرق وفي يدها مفتاح كُلِّ فرجٍ وحبور، وكلّ ماهو جديد من المخبوء والمستور في أعماء ليالي الصَّحراء. أقبلت القافلة – إذن – واتضحت بسيرها الثنيّة (مسلك رمليّ). واستنار الطّريق .

وفي هذين البَيتَين الملغزيْن، نلمح القوّة والجزالة في اللّغة البدوية على مستوى ألفاظها كألفاظ :

" الزّمل "، " السريرة "،" عزڤات "، " الثنيّة مريرة " .

2- « من البعد تبان زماهيْز، ومن القرب مسمح انصابه، مخلّطه ضان ومعيز، ورجليها عودان غابه »[3].

فالبدويّ – هاهنا – يصف خيمته الّتي تلوح من بعيد عالية شاهقة، ومن قريب تملأ عين النَّاظر إليها جمالاً وهي ثابتة راسخة، وقد اشترك في صنع هذا الجلال والجمال كلٌّ من الماعز والضّأن. أمَّا أرجلها فمن أعواد الغابة. فاللّغة البدويَّة بقوّتها وجزالتها واضحة جليّة في هذا اللّغز أيضاً وحسبنا لفظتا:"زماهير" و" انصابه" دليلاً على ذلك .

---

[1] ينظر : د. عبد المالك مرتاض، الألغاز الشعبية الجزائريّة، ص127 وما بعدها

[2] عالم الجماد : (19) عزڤات: من العزڤ: وهو حفر الأرض وتقليبها من حول النخلة عند تزويدها بالسَّماد

[3] نفسه : (26).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- « شايب عبُّوكي، ديمه متّكي، وابنيّاته في البرور سايبات »[1].

وفي هذا اللّغز وصف للجبل الذي من صخره تُصنَع الرَّحى. فقد صُوِّر وكأنَّه شيخٌ في منتهى الهرم لا يبرح مكانه أبداً على حين تنتشر بناتُه – أيْ الأرحاء - في كلّ الأرجاء وهو لا يدري! ونلاحظ – هاهنا – إسقاط القيم الأخلاقيّة والاجتماعيّة على الجماد. كما نلاحظ من جانب آخر، مدى قوّة الألفاظ البدويّة وجزالتها في مثل: "عبُّوكي" ، "البرور"، "سايبات" .

4- « جملنا ياهدَّارْ، يا لقّاط غبار الدّار، يالسانه تحت خفّه، يا عينين النّاس فيه » [2]. وهذا نص آخر بدويّ المبنى والمعنى. عكست لغه البدويّة من أوَّل عبارة " جملنا ياهدَّارْ " صور البادية، وروحها، وريحها على الرغم من أنَّ الموصوف في أعالي السَّماء وهو: هلال رمضان! .

5- « اطوال ليلها وعسعس ∴ وتفكّرت خزين خزينها

واش يخرّج اللّهجة من اللّهجة؟! ∴ واش يردّ اللّهجة الْضميرها؟! » [3].

وفي هذا اللّغز البدويّ المنظوم تصوير بديع لظاهرة الاجترار عند البعير والشّاة. يعكس مدى تعجّب الخيال الشّعبيّ حيال هذه الظاهرة الحيوانيّة الغريبة من خلال تكرار صيغة الاستفهام "واش" في البيت الثاني بشطريْه. وما يستوقفنا كذلك توظيف لفظة " عسعس " ونسبتها إلى اللّيل. وهي لفظة فصيحة تذكّرنا بالآية الكريمة: « واللّيل إذا عَسْعَسَ » [4]. والحقُّ أنَّ العديد من الألغاز الّشعبيّة المتداولة بوادي سوف تشتمل على ألفاظ عربية فصيحة ممّا يؤكّد ما قرّرناه – سابقاً- بخصوص القرب الكبير بين اللّهجة المحليّة والعربيّة الفُصحى ولا سيّما على مستوى لغة الإبداع الشّعبيّ.

6- « صوّاط لوّاط ∴ جيَّاب أخبار النّزالي

يسوف في سعيه بكرعيه ∴ ورجليه مقلوبة الْتالِي » [5].

وهاهنا وصفٌ دقيق لحشرة صحراوية تُسمَّى - في اللّجة المحليّة – " بوبزنّة" بصوتها المتميّز وحركتها الغريبة وهي تجلب غذاءها وتجرّه، ومن مظاهر الجزالة والقوّة والخشونة البدويَّة ما توحي به صيغ المبالغة: " صوّاط، لوّاط، جيَّاب " ومن مظاهر البئة البدويَّة – أيضاً- ما نجده في عبارة "يسوف في سعيه " أيْ يسوق غنمه. فالرَّعي وهو من ركائز الحياة البدويّة، يفرض حضوره حتّى في نصّ لغز يصوّر حشرة صحراويّة !

---

[1] نفسه : (13).

[2] عالم الجماد : (41).

[3] عالم الحيوان : (50).

[4] سورة التكوير، الآية: (16).

[5] عالم الحيوان: (54).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لعلّ هذه النّماذج المقدّمة من الألغاز الشّعبيّة المتداولة في وادي سوف، تشكلّ – بتعدّدها وتنوّعها – نافذةً كافية يمكن الإطلالة من خلالها على عالم الألغاز الشّعبيّة في منطقة وادي سوف بخصوبته وثرائه.

وبناءً على هذه النّماذج اللّغزيّة المختارة، بوسعنا أن نؤكد جملة من الحقائق المستنبطة ممّا سبق تقريره آنفاً وهي:

1)- لغة الألغاز الشّعبيّة بوادي سوف – رغم ظاهرها العاميّ – لغة متميّزة بسموّها على العاميّة الشّائعة، واقترابها الكبير من العربية الفصحى – بدرجات متفاوتة – على مستويات عدّة: صوتيّة، ومعجميّة، وصرفيّة، وتركيبيّة *.

2)- قسَّم بعض الباحثين لغة الألغاز الشّعبيّة الجزائريّة – في عمومها – إلى قسمين أساسين:

أ- لغة حضريّة رقيقة ومهذّبة.

ب- لغة بدويّة جزلة وقويّة.

وقد تأكّدت لنا صحّة هذا التقسيم من خلال النّماذج المذكورة.

3)- لوحِظَ على مستوى لغة الألغاز الشّعبيّة المدروسة في هذا الفصل، وفي سابقه، تألّق إبداعيّ تبّدى من خلال دقّة الوصف، وبراعة التصوير، وخصوبة الخيال ولا سيّما من حيث الاستعارة ممَّا يجعل لغة الألغاز الشّعبيّة صناعة فنيّة متميّزة لها بلاغتها الخاصّة. ومن هذا المنطلق، سنبحث فيما يأتي الجانب البلاغيّ في اللّغز الشّعبيّ.

ثانيا - بلاغة اللّغز الشّعبيّ :

سبقت الإشارة في عدة مواضع من هذا البحث إلى أنَّ فصاحة اللّغة لا تعني بالضرورة بلاغتها ، كما أنَّ عاميّة اللّغة لا تستلزم خلوّها من البلاغة.

وسندنا في هذا الحكم الذي ذهبنا إليه أنَّ البلاغة غير الفصاحة، وبتعبير أدق يمكن القول: البلاغة أخصُّ من الفصاحة كما قرَّر أهل المعاني مثلما أنَّ الرّضا أخص من الصَّبر في المجال الدينيّ والأخلاقيّ. ذلك أنَّ المحققين من علماء البلاغة يقرّرون أنَّ الفصاحة يُوصف بها المفرد والكلام والمتكلّم؛ أمَّا البلاغة، فيُوصف بها الكلام والمتكلّم فقط من دون المفرد. لهذا يصحُّ أن يُقال: كلمة فصيحة على حين لا يصحّ القول: كلمة بليغة .

فالفصاحة - لغةً – تعني: الظهور والبيان والوضوح. والكلام الفصيح ما توفَّر فيه وضوح المعنى إلى جانب سهولة اللَّفظ وعذوبته، وسلامة التركيب وجودته.

* سنتناول هذه المستويات لاحقاً بشيء من التفصيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمَّا البلاغة، فقد كثرت بشأنها التَّعريفات، ولا يتّسع المقام للخوض في هذا الموضوع المتشعّب، إذ ذلك ليس من صميم بحثنا. وحسبنا في هذا السّياق، أن نورد بعض التّعريفات التي من شأنها أن تُضيء لنا بعض الجوانب الهامّة التي نودّ الوصول إليها من خلال معالجة هذا الموضوع. يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني – وهو أحد كبار علماء البلاغة- محدّداً مفهوم البلاغة وواصفاً إيَّاها بأنَّها: «...وصف الكلام بحسن الدلالة، وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرّجها في صورة هي أبهى وأزين، وآنق وأعجب، وأحق بأن تستولي على هوى النّفس، وتنال الحظّ الأوفر من ميل القلوب » [1].

وإنّما يتأتّى ذلك للكلام حينما «...يُؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللّفظ الذي هو أخصّ به، وأكشف عنه، وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا، ويُظهر فيه مزيَّة » [2].

وقريب من هذا التعريف تعريف ابن خلدون في كلامه عن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم إذ يقول:

« واعلم أنَّ ثمرة هذا الفنّ إنّما هي في فهم الإعجاز من القرآن لأنّ إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة؛ وهي أعلى مراتب الكمال، مع الكلام فيما يختصُّ بالألفاظ، في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصّر الأفهام عن إدراكه» [3] .

ومن المتأخّرين، نورد تعريف السيّد محمّد رشيد رضا في تقديمه لكتاب الجرجاني: «دلائل الإعجاز » في نسخة الطبعة الأولى للكتاب سنة 1321هـ حيث يقول في تعريف البلاغة : « هي أن يبلغ المتكلّم ما يُريد من نفس المخاطب بإصابة مواقع الاقتناع من العقل والتأثير من القلب » [4] .

وجماع القول في هذه التعريفات المذكورة، أنّ البلاغة تعني – بالمختصر المفيد – مطابقة الكلام للمعنى المقصود، ولمقتضى الحال على أكمل وجه ممكن. وهذا الحكم ينطبق على كلِّ اللّغات دون استثناء.

وهاهنا نقترب من حجر الزاوية – كما يُقال – في مبحثنا هذا فنطرح – بهذا الصّدد- السّؤال الآتي:

- هل بالإمكان الحديث عن البلاغة في اللّغة العاميّة؟ ومعلوم أنَّ المراد بالعاميّة – في هذا السّياق- لغة الإبداع الشّعبيّ لا لغة التخاطب اليوميّ كما أوضحنا سابقاً.

وبوسعنا أن نجيب بالإيجاب عن السّؤال السّابق مطمئنّين بالاستناد على ما تقدّم من بيان يفيد أنَّ البلاغة ملكة في الكلام – أي كلام – تتأتّى إذا استوفت شروطها – المذكورة آنفاً – على مستوى المعاني والمباني سواء بسواء.

---

[1] ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، موفم للنَّشر، 1991 ،ص 57.

[2] المرجع نفسه،ص57 .

[3] ينظر : ابن خلدون، المقدّمة، ص475 .

[4] ينظر : الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 05.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويؤيّد رأينا في هذا المقام ابن خلدون في تناوله لعاميّات عصره وآدبها حيث أعاب على الذين ينكرون أن تكون لها بلاغة لعدم خضوعها للإعراب وقوانين النّحاة بقوله: «وهذا إنّما أتى من فقدان الملكة في لغتهم. فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها إن كان سليماً من الآفات في فطرته ونظره؛ وإلاّ فالإعراب لا مدخل له في البلاغة، إنّما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال ... وإنّما يدلُّ على ذلك قرائن الكلام، كما هو في لغتهم هذه. فالدّلالة بحسب مايصطلح عليه أهل الملكة... وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحّت البلاغة» [1] .

ويُفهم من كلام ابن خلدون أنَّ معرفة بلاغة العاميّات وتذوّقها، يتحققان لمن حصلت له ملكة من ملكاتهم اللّغوية من شأنها أن تجعله يدرك مدى قدرة العاميّة على التّعبير البليغ عن كلّ المعاني المتعلقة بالبيئة الّتي تحتضنها. وهذا لا يتسنى إلاّ بمعرفة تلك البيئة، ومعايشة أهلها، والاحتكاك بهم. يقول أحد الباحثين في هذا السِّياق : « والحقّ إنّ بلاغة العاميّة، تقتضي الإحاطة بمزاج أهلها ومؤدَّى اصطلاحاتهم في مختلف القضايا، وفهم نفسيّتهم، وهذا كلّه معناه إدراك نوع حياتهم وظروف مجتمعهم وتاريخهم » [2]. وهذه الحقيقة الّتي قررها هذا الباحث تُؤكّد – في نظرنا – أهميَّة وضرورة الفصل التّمهيديّ الذي أتاح لنا معرفة جوانب هامّة ومُتعَدّدة تتّصل بمنطقة البحث بما عكس لنا طبيعة المجتمع السّوفي، وتاريخه، وظروفه وأنماط حياته ومعيشته. ذلك أنَّ معرفة هذه الحقائق إلى جانب تحصيل ملكة في اللّغة العاميّة يمكّنان من فهم بلاغة العاميّة وتذوّقها.

وبناءً على ما تَقدَّم، سنحاول أن ندرس بعض الجوانب البارزة فيما يتعلّق ببلاغة الألغاز الشّعبيّة المتداولة بوادي سوف. وذكرنا الجوانب البارزة تحديداً لعلمنا أنَّ مجالات البلاغة كثيرة ومتنوّعة، ولا يسمح المقام – هاهنا – بالتوسّع والتّفصيل فيها جميعاً.

ومن هذا المنطلق، سينصبُّ اهتمامنا – أساساً – على جانبين بارزين في بلاغة اللّغز الشّعبيّ، وهما:

1- جانب بياني يتّصل بالمجاز والخيال ونعني به: " الاستعارة ".

2- جانب بديعي يتّصل بالصوت والإيقاع ونعني به: " السّجع " .

واختيار هاذين الجانبين – على وجه التّحديد – تمَّ بناءً على استقراء شامل لمجموع الألغاز الشّعبيّة المجموعة. وهذا الاختيار لا يمنعنا من الإشارة إلى بعض الوجوه البلاغيَّة الأخرى كلّما دعت الحاجة إلى ذلك حسب ما تقتضيه ضرورات هذا المبحث .

---

[1] ينظر : ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون ، ص502 .

[2] ينظر : أحمد رشدي صالح، الأدب الشّعبيّ ، مطبعة السنّة المحمديّة، مكتبة النهضة المصرية، 1971،ص 51 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحقّ أنَّ الاستعارة والسّجع ركيزتان أساسيّتان في البلاغة:

- فالاستعارة ركيزة صامتة يختبيء وراءها المعنى بما يشكّل جوهر اللّغز.

- والسّجع ركيزة صـــائتة. أو رافد صوتي يمنح اللّغز إيقـــاعه الموسيقيّ، ونغمة العذب بمـــــا يـــسهّل حفظه وتداوله.

1/: الاستعارة:

أشرنا في مواضع متعددة من هذا البحث إلى أنَّ الاستعارة تُمثّل جوهر اللّغز. وهذه الحقيقـــة تكـــاد أن تكون محلَّ اتّفاق بين عموم الباحثين في الأدب الشّعبيّ. تقول البـــاحثة نبيلة إبراهيم في هـــذا المعنى: « واللّغز في جوهره استعارة، والاستعارة تنشأ نتيجة التقدّم العقليّ في إدراك الترابط والمقارنـــة، وإدراك أوجه الشبه والاختلاف » [1].

ويجدر التنبيه – في هذا السّياق – أنّنا سندرس موضوع الاستعارة في الألغاز الـــشّعبيّة وفـــق المفهـــوم التقليدي للاستعارة في البلاغة العربيَّة.

فذلك أقرب إلى طبيعة الإبداع الشّعبيّ وروحه . أمَّا النظريّات البلاغيّة الحديثة [2] الّتي تناولت الاستعارة كالنظريّة الإبدالية، ونظريّة الانزياح، ونظريّة التوليد والتحويل، ونظريّة التفاعل، ونظريّة التأثير والسياق، والنظريّة العلاقيّة ...، هذه النظريّات الجديدة تصلح أكثر للتطبيق في مجالات إبداعيّة أخرى كالتجارب الشعريّة الحداثيّة في إطار المناهج النقديّة الحديثة كالشعريَّة والأسلوبيَّة والسيميائيّة، والتفكيكية وغيرها.

ومن التعريفات المشهورة الّتي تناولت الاستعارة في تراثنا البلاغي التعريف المنسوب إلى الرازي حيث قال:" الاستعارة هي جعلك الشيء الشيء للمبالغة في التشبيه" غير أنَّ هذا المعنى قد يلتبس بمفهوم التشبيه البليغ الذي يجعل المشبّه هو نفسه المشبّه به وليس مجرّد مثيل له للمبالغة. ولعلّه لهذا السّبب سمّي بليغاً.

ومن الأقوال المشهورة - أيضاً- : " زوِّج المجاز بالتشبيه فتولدت بينهما الاســـتعارة". ولهـــذا تُعـــرّف الاستعارة تعريفاً آخر يمزج بين المجاز والتشبيه مفاده:" الاستعارة عبارة عن مجاز لغويّ يتّخذ صورة تشبيه حُذِف أحد طرفيْه: المشبّه أو المشبّه به " ولَّما كان التشبيه ركناً أساسياً في الاستعارة كان شرط العلاقـــة بين المعنى المجازي المذكور والمعنى الحقيقي المقصود هي المشابهة دون سواها. ومن هنا تميّزت الاســـتعارة عن المجاز المرسل الذي يُعرف بتعدّد علاقاته من دون المشابهة.

وممَّا قيل في الاستعارة – أيضاً – أن تُستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيءٍ لم يعرف بها إظهـــاراً للخفيّ، وإيضاحاً للظّاهر.

---

[1] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشّعبيّ ، ص 191.

[2] ينظر : محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري المركز الثقافي العربي، ط1 1985 ، ص 85 وما بعدها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومجمل القول، أنَّ الاستعارة هي عدولٌ باللّفظ عن أصل ما وُضع له التقاطاً لأوجه التشابه القريبة والبعيدة بين الأشياء. وعلى صعيد آخر، تحمل الاستعارة أبعادا ودلالات عاطفيّة شعوريَّة، وفنيّة جماليّة، وفكريَّة معرفيّة.

ونذكّر – في هذا المقام – بأنَّ الاستعارة قد استوقفتنا في ثنايا هذا البحث في عدّة محطّات ولاسيّما في الفصل السّابق في معرض تحليلنا لبعض الألغاز وما تعكسه من صور ومشاهد الحياة والبيئة في وادي سوف. وفيما يأتي، سنحاول الوقوف عند استعارات أخرى في ألغاز أخرى لنستجلي من خلالها بعضاً من جماليَّات الاستعارة ودلالاتها.

« فرد جفّال وهرّاب من كلّ غاشي، لا هو في السَّماء طيَّار، ولا هو في الوطا ماشي » [1]. ظاهر اللّغز يشير إلى أنَّ الموصوف – هاهنا – إنسان ذلك أنَّ الأوصاف الواردة بقرائنها المصاحبة تُرجّح الهويَّة الإنسانيّة لهذا الموصوف؛ فهو فرد كثير الهرب والنّفور من النّاس كلَّ النّاس بما يوحي بطبيعة انطوائيّة، ونزعة انعزاليّة ملكتا عليه أقطار نفسه. بيد أنَّ بقيّة الأوصاف توقعنا في الدهشة والحيرة والمفارقة والإرباك. ولكنَّها في الوقت نفسه، تقرّبنا من الحلّ. فعبارة: " لا هو في السَّماء طيَّار " متّسقة – إلى حَدٍّ بعيد – مع الأوصاف الأولى. لأنَّ الإنسان بأصل طبيعته ليس بطيّار في السَّماء. أمَّا القسم الأخير من اللّغز -" ولا هو في الوطا ماشي " - ، فقد نقض التصوّر السّابق من أساسه! فالإنسان يمشي على الأرض، أمَّا هذا الموصوف، فقد نفى اللّغز عنه ذلك. وهنا يطرح السّؤال النابع من دهشة المفارقة: تُرى من يكون هذا الذي يهرب من كلّ " غاشي " وليس هو بطائر يطير في السَّماء، ولا هو بكائن يمشي على الأرض؟ فلا هو من عالم الإنسان، ولا من عالم الطيور، ولا من عالم الحيوانات الأرضيّة! فمن أين إذن ؟! وهنا يأتي الحلّ والجواب: هو السَّمك!! فهذا اللّغز استعار للسَّمك بعض صفات الإنسان لينقضها بعد ذلك سعياً وراء التعمية وإثارة للدَّهشة. ولعلّ هذا ما يجعل للاستعارة في اللّغز نوعاً من الخصوصيّة والتميّز. فهي – في الغالب- تُعزز التّعمية لتصنع الدَّهشة.وهذا هو جوهر اللّغز، على حين تُصنّف الاستعارة – من حيث الأصل البلاغي – في إطار علم البيان، والبيان من معانيه الوضوح الذي لا يناسب تركيب اللّغز القائم – أساساً – على الغموض. على أنَّ الاستعارة – بوجه عام – تشتمل على قدر ما من الغموض وإثارة الدهشة من حيث هي عدول باللّفظ عن أصل ما وُضع له بما يحقّق انزياح الدلالة، بيد أنَّ النّصيب الأوفرمن هذه المعاني تستأثر به – على ما يبدو – استعارة اللّغز لورودها في سياق تركيبي قائم في أساسه على الغموض و التّعمية.

---

[1] عالم الحيوان: (36) جفّال: كثير الهرب والنّفور (فصيحة).
الوطا : الأرض.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

« اسمه بالحاء، ماذا قاسى مسكين، وبعد الممات حَيَا، عـــاد يسمّى بالسّين » [1]. منطـــوق هـــذا اللّغز يوحي – للوهلة الأولى- أنَّ الموصوف كائن حيّ يبدأ اسمه بحرف الحاء، وهو مسكين قاسى كثيراً في حياته. ثمَّ مات. وبعد الممات، عاد إلى الحياة باسم جديد يبدأ بحرف الـــسّين. هـــذا مـــا نفهمـــه من ظاهر اللّغز ومنطوقه. ولكن ما إن نعرف الحلّ، نعلم أنَّ الاستعارة هي الّتي ساقتنا إلى هـــذا الفهـــم أو – بالأحرى – الوهم! فالموصوف – هاهنا- هو الحليب الذي يتحوّل عبر مراحل إلى سمن!

ولقد استُعيرت لهذا الموصوف الجامد بعض الصّفات التي تُعدُّ من لوازم الكائن الحيّ كـــشدّة المقاســـاة والمعاناة بما يثير الإشفاق عليه حتّى نقول عنه: مسكين. كذلك تعرّضه للموت والحياة. وهـــذا النّـــوع من الاستعارة الذي يختفي فيه المشبّه به ويُرمز له بشيء من لوازمه. يدخل في إطار ما يُسمّى بالاستعارة المكنيَّة. ونحن نعرف أنَّ الاستعارة المكنيَّة تعني أن يُحذف المشبّه به ويكنّى عنه بشيء من لوازمه مع ذكر المشبّه. ولكنَّ المشبّه غير مذكور صراحة في هذا اللّغز، بل رُمز له هو أيضاً بحرفين يبدأ بكلٍّ منهما اسمـــه قبل التحوّل وبعده، ذلك أنَّ المشبّه هو الموصوف المراد معرفته. فإذا كانت الاستعارة تعرف بأنَّها عبارة عن تشبيه حُذف أحد طرفيه: المشبّه، أو المشبّه به، فإنّنا – في مثل هذا اللّغز – أمام اختفـــاء للطـــرفين كليهما. ولعلَّ هذا الاستثناء يُعدُّ أيضاً من خُصوصيات الاستعارة اللّغزيَّة. أمَّا علاقة المشابهة بين الحليب المتحوّل وذلك الكائن الحي بمواصفاته الواردة في اللّغز، فتتمثّل في كون الحليب إثر استخراجه من ضرع الشَّاة يُنعت بأنَّه حيٌّ*. ثُمَّ يبدأ رحلة " المعاناة " بتعريضه مدَّة زمنيّة كافية لأشعة الشّمس أو نحو ذلـــك حتَّى يصير لبناً رائباً ليدخل طوراً جديداً من المعاناة الشّديدة بأن يسكب في شكوة ويحكم ربطها ليُـــرجَّ في جوفها رجًّا ينتهي باستخلاص زبدته ليشرب اللّبن وتدخرّ الزبدة لمدّة طويلة حتّى تجمـــد وتمـــوت، لتُبعث من جديد بنوع من المعالجة لتتحوّل إلى سمن فيه غذاء وشفاء.

وللتذكير، فإنَّ موضوع اللّبن والزبدة السّمن تناولته عدّة ألغـــاز لأهميتـــه المعيـــشيّة لـــدى الـــسّكّان. كما يعكس أحد المظاهر البارزة للبيئة بوادي سوف من حيث اشتغال أهلها بتربية المواشي.

« أنثى شعر راسها زين والحرّ يبّس عـــضـــاهـــا، وصغيـــــرك اللّـــي ذَبّـــل العـــين، يـــسكت إذا عطوه ضناها » [2] وهذا اللّغز كباقي الألغاز – يوهمك ظاهره بموصوف معروف على حين يحـــتفظ باطنه بالمعنى الحقيقي المقصود.

---

[1] عالم الحيوان: (55) .

* كذلك ينعت عصير النخل (اللاّقمي) فور استخراجه من لبّ النّخلة، فإذا مرّ عليه يوم صار ميّتا واتّخذ سكراً ثمَّ يتحول إلى خَلٍّ بعد أيّام. وتقول العامّة عن ذلك مُلغزة: حلال، حرام، حلال؟

[2] عالم النبات: (27)، عضاها: جسدها. ضناها: ولدها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالظاهر يقول: إنَّ الوصف يتعلّق بأنثى أكسبها شعر رأسها جمالاً وبهاءً إلاَّ أنَّ الحرّ الشّديد أيبس جسدها، ومع ذلك فهي تنجب من الولد ما يُغني ويُرضي! هذا إعلان الظاهر الجليّ، أمَّا إيحاء الباطن الخفيّ فشيءٌ آخر. ذلك أنَّ التّصوير في اللّغز المذكور يتعلّق بأنثى أخرى من عالم آخر هي النّخلة! فالاستعارة هذه المرّة تصريحيّة حيث صُرّح بالمشبّه به وهي الأنثى بصفاتها الواردة في اللّغز، والّتي جاءت في سياق التمويه والتّعمية على طريقة الألغاز في ذلك. واختفى المشبّه (النّخلة) – لأنّه هو محور اللّغز، والمقصود بالبحث والكشف. وعلى الرّغم من التعمية والتمويه، إلاّ أنَّ المشابهة تظلُّ قائمة بين الظاهر المذكور، والباطن المقصود. فقدُّ المرأة كثيراً ما يشبّهه الخيال الشّعبي في وادي سوف بجذع النَّخلة الفارع المنتصب. وفي هذا المعنى، يقول الشّاعر الشّعبي إبراهيم بن سمينة:

والقدّ غرس اللّي حفل بزروبه ∴ صلّب جريده كايد العدّاد [1] .

كما أنَّ شعر المرأة يشبه الجريد الملتفّ برأس النَّخلة في أعلاها.

ووجه آخر للمُشابهة يتمثّل في الولادة. فكلتاهما ولود: المرأة تلد الأولاد من البنين والبنات، والنَّخلة تلد التّمور بمختلف الثّمرات.

« عبد الصمد قال كلمات، واصقروا يا شهودي: الأنثى شريفة والذكر يهوديّ »[2].هذا لغزٌ صمديّ يطلب فيه عبد الصّمد من المتلقين الشّهود بأن ينصتوا باهتمام إلى لغزه الجديد من أجل التّفكير فيه وتدبّره.

واللّغز موجز العبارة، قائم على التقابل بين أنثى وذكر:

الأنثى ذات شرف وحرمة، والذّكر يهوديّ بلا شرف ولا حرمة! .

البنية السّطحيّة – بلغة السّيميائيّين- تحيلنا على عالم الإنسان. ذلك أنَّ صفة الشَّرف لا يمكن أن تعدو هذا العالم، وكذلك النّسب اليهوديّ. ومحصّلة هذا المستوى الأوَّل من الفهم أنَّ عبد الصّمد يتحدّث عن امرأة مسلمة شريفة تقابلت مع رجل يهوديّ في مكان ما لأمر ما. غير أنَّ البنية العميقة تقتضي للّغز معنى أعمق ودلالة أبعد. وإلاَّ، فإنَّ مدلول البنية السّطحيّة لامعنى له إلاَّ أن يكون عنواناً لقصّة: « الأنثى شريفة والذّكر يهوديّ ». جواب هذا اللّغز يتعلق بيومين من أيّام الأسبوع هما: الجمعة والسَّبت. وتتجلّى الاستعارة في هذا اللّغز من خلال تشبيه الجمعة بامرأة شريفة، وتشبيه السّبت برجل يهوديّ. وهي استعارة تصريحيَّة صرّح فيها بالمشبّه به من دون المشبّه.

---

[1] ينظر : أحمّد زغب، ديوان إبراهيم بن سمينة،مرجع سابق، ص 24 .

غرس: نوع من النخيل يتميَّز بقوّته وضخامته.

[2] عالم الجماد: (16)، اصقّروا: انصتُوا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمَّا علاقة المشابهة القائمة بين الطرفين، فهي الأنوثة للمرأة ولفظ الجمعة، والذكورة للرّجل ولفظ السّبت، وإسناد صفة الشّرف إلى الأنثى / الجمعة ،وصفة اليهوديَّة إلى الذكر / السّبت، يتضمن إشارة إلى البعد الديني الحاضر دائما في مختلف عوالم الألغاز الشعبية في وادي سوف كما أوضحنا سابقاً. فالجمعة ذات شرف وحرمة عند المسلمين وهي عيدهم الأسبوعي .

أمَّا السّبت فهو عيد اليهود الأسبوعيّ. وممّا يلفت النّظر في نصّ هذا اللّغز تلك المقابلة بين صفتي الشرف واليهوديّة ممّا يوحي بأنَّهما على طرفي نقيض بمعنى أنَّ الشرف و اليهوديّة ضدّان لا يلتقيان.

والحقّ أنَّ هذه النظرة السّلبيّة إلى الآخر اليهوديّ تحديداً متأصّلة في العقل الجمعيّ الشّعبي بوادي سوف. وهي تعود إلى أسباب دينية وتاريخية – لايتسع المقام لشرحها – عزّزتها عوامل أخرى تتعلّق ببعض السلوكيات السيئة لليهود في أوساط المجتمع السّوفي كالتّعامل بالرّبا مع السكّان مستغلين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية الصّعبة ولا سيّما إبّان العهد الاستعماريّ [1].

وهناك عدّة ألغاز تعكس هذه الصورة السلبية الّتي يحملها العقل الجمعي الشّعبي بوادي سوف عن اليهود منها اللّغز الآتي:

" أقل من عفسة الفار ∴ وأوسع من بحيرة السّبيخَةْ

هذه حجاي عبد الصّمد ∴ ماهوش حجّاي ليهودي الجِيفَهْ!" [2].

.« علّي بطّوه ستة بطّات ماسالت نقطة دم، طيّشوه قالوا: مات، كلّموه قال: نعم!» غريب أمر هذا الموصوف الحيّ الميّت النّاطق! يبدو ظاهريًّا أنَّه كائن حيّ، إن لم يكن إنسانًا، فهو حيوان. ولكنَّ المفارقة مدهشة حقًّا؛ فهذا الكائن الحي قد طعن ستّ طعنات من غير أن تسيل منه قطرة دم واحدة! بيد أنَّ هذه المفارقة، على الرغم من أن الدّهشة التي أثارتها، فقد قرّبتنا من الحلّ: فلعلّ هذه الطعنات غير الدّامية هي مجرّد ثُقَب، ولعلّ موضعها مادة جامدة لاحيّة، ولعلّ نطقها لا يعدو أن يكون صوتاً، أو نغماً في أحسن الأحوال. أجل: إنَّه النّاي! إنَّها استعارة جميلة حقًّا بالدهشة التي أثارتها من جهة، وبالطريق الذي مهّدته بما يؤدّي إلى إزالة تلك الدهشة من جهة أخرى!.« قاعد متربع والنَّاس تروح ليه لا ياكل لا يشرب والنَّاس اتثيق فيه » [3]يصوّر لنا الخيال الشّعبيّ في هذا اللّغز شيخاً وقوراً قد تربَّع في جلوسه، والنّاس تقصده لحاجتهم إليه وثقتهم فيه، غير أنَّ مفارقة اللّغز – هاهنا – تكمن في التركيب الأوسط: " لا ياكل لا يشرب " الذي يُمثل - في آن واحد – مفارقة اللّغز ومفتاح الحلّ!

---

(1) ينظر: علي غنابزيّة، مجتمع وادي سوف، ص 172.

(2) عالم الإنسان: (109) .

(3) عالم الجماد: (121) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أجل، فسياق اللّغز – زمنيًّا – يفيد الحال والاستقبال بدءًا باسمي الفاعل: " قاعد " و " متربع " مرورًا بباقي الأفعال التي وردت بصيغة المضارع الذي يُفيد التجدّد والاستمرار: " تروح ليه" " لا ياكل" ، " لا يشرب " ، " اتثيق فيه". فكونه لا ياكل ولا يشرب على سبيل الاستمرار والتجدد. هذا يعني أنّه ليس بإنسان.

وهنا نلج عالم الاستعارة. فنفهم أنَّ الخيال الشَّعبيّ استعار بعض صفات الإنسان ليخلعها على هذا الموصوف المجهول فهذا الذي خلناه شيخاً وقوراً هو في الحقيقة: "الميزان". وهو من عالم آخر: عالم الجماد. ويبدو أنَّ الصفات الإنسانيّة المستعارة للميزان مناسبة ومطابقة إلى حد كبير على قاعدة المشابهة الّتي تقوم عليها الاستعارة. فالميزان قاعد متربّع في مكانه كشيخ وقور. والنَّاس تقصدُه لحاجتهم إليه في شؤون معاشهم من بيع وشراء وما إلى ذلك. وهو محلّ ثقة الجميع لأنَّ أحكامه صحيحة. وكذلك الأمر مع الشيخ الوقور الحكيم الذي حنَّكته تجارب الحياة فصار بها خبيراً. فمثل هذا الشيخ تكون آراؤه – في الغالب – صادقة سديدة، وأحكامه صائبة صحيحة. فهذه الاستعارة اللّغزية الجديدة أصابت مربَّع الدلالة من زواياه الأربع بدقّة وبراعة كعادة الاستعارة المحكمة دائماً.

« الرَّبيع مربّع والنوّار مواتيه، الرَّاجل يمشي والمَرَاه اتبع فيه »[1] يصوّر هذا اللّغز مشهداً ربيعيًّا جميلاً تربَّع فيه الرَّبيع على عرش الطَّبيعة بنوَّاره وورود وأزهاره. وفي هذا المشهد الجميل يُرى رجل يمشي ووراءه امرأة تتّبعه وتقتفي أثره.

هذا ما يعكسه. ظاهر اللّغز بيد أنَّ المعنى الحقيقيّ الذي ينطوي عليه باطنه ، لا يمكن الوصول إليه إلاَّ بتحليل الاستعارة التي يقوم على أساسها اللّغز مُشكّلة جوهره وجماله .

والاستعارة – هاهنا – تصريحيّة ومزدوجة بمعنى أنَّ في اللّغز استعارتين تنبعان من مشهد تصويري واحد:

- الاستعارة الأولى: شُبهت فيها الزّربيَّة وهي تُنسَج على آلة المنسج ببساط الربيع الزّاهي الجميل بنوّاره وأزهاره . وعلاقة المشابهة بينهما تتمثل في الجمال وتعدّد الألوان في انسجام وتناسق.

- والاستعارة الثانية: شُبّه فيها "الذبَّال"[2] برجل يمشي وشبهت "الخلالة"[3] بامرأة تتّبعه.

وجامع المشابهة يكاد أن يقتصر على التذكير والتأنيث اللّفظيَّين وإن كان لشكل كلٍّ من الأداتين دلالة على الذّكورة من جهة وعلى الأنوثة من جهة أخرى.

---

[1] عالم الجماد: (109) .

[2] الذبَّال: أداة حادّة في شكل القلم تتخلّل خيوط المنسج لتدخل خلالها خُيوطَ الصّوف المُهيّأ للنّسج .

[3] الخلالة: أداة بها أسنان حادّة كأسنان المشط ومقبضها من خشب يلي عملها عمل الذبَّال حيث تتبعه ضاربة على خيوط الصوف كي تلتحم بالجزء المكتمل من المادّة المنسوجة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويجدر التذكير – في هذا السّياق – أنَّ موضوع هذا اللّغز- صناعة النّسيج – يُعدُّ من الموضوعات المكررّة في عدّة ألغاز وذلك لأهميّته الكبيرة في الحياة المعيشيّة للسكّان.

لقد تعرفنا في الصفحات السَّابقة على نماذج متنوعة من الاستعارات اللّغزيّة. وللاستعارة – كما أسلفنا- أبعاد ودلالات نفسية شعوريّة، وفنيّة جماليّة، وفكرية معرفيّة.

فالدلالات النفسية الشعوريّة نلمسها لدى الطرفين: المبدع والمتلقي: فالمبدع في تجربتة الإبداعيّة، انفعل بالموضوع الذي أراد وصفه وتصويره، وتفاعل معه، فأوحى الانفعال النَّفسي الشعوري إلى الخيال بأنَّ يقتنص الصُّور المناسبة على قاعدة المشابهة بين الموصوف الحقيقي، والمعادل الخَياليّ، فكانت الاستعارة بإحكامها وجمالها ذلك المولود البلاغي الجميل الذي نقل إلينا انفعال صاحبه .

أمَّا المتلقّي، فقد رأينا كيف أنَّ الاستعارة تمارسُ تأثيرها عليه، على الصعيد النَّفسي الشّعوري، من خلال ماتثيره فيه من شعور عميق بدهشة المفارقة المتجاوزة لكلّ ما هو معروف ومألوف لديه. وبخصوص الدلالات الفنية الجماليّة للاستعارة اللّغزية، فإنَّها تتجلى في دقّة الوصف وبراعة التصّوير وروعة المشابهة الملتقطة بين المشهدين، الواقعيّ والخياليّ. كلّ ذلك يولّد في كيان المتلقي الإحساس بالمتعة الجماليّة في فضاء تلك الظلال الفنيّة. أمَّا الدلالات الفكريّة المعرفيّة الّتي تحملها الاستعارة في عالم الألغاز، فهي تُلمح من خلال الوظيفة التعليمية للغز في حد ذاته من حيث هو وسيلة لغويّة تعليميّة تدرّب الذهن على دقّة الملاحظة وحسن الرّبط بين الأشياء لاكتشاف نوع العلاقات وأوجه الشّبه، وأوجه الاختلاف فيما بينها. ولا يتأتى هذا إلاَّ من خلال التفكير والتأمل في طبيعة الأشياء وخصائصها. وهذا بعد فكريّ معرفيّ يتيحه اللّغز القائم في جوهره على الاستعارة.

ومن جانب آخر لاحظنا، أنَّ الاستعارة في الألغاز الشّعبيّة المُتداولة بوادي سوف، تأخذ صورها من مختلف مظاهر الحياة والبيئة الخاصّة بالمنطقة الّتي كان يغلب عليها – في زمن التداول الواسع للألغاز- الطابع البدويّ. ولقد عكست الألغاز من خلال الاستعارة صورة المجتمع البدوي بمعتقداته الدينيّة، وقيمه الفكريّة والاجتماعيّة، وأنماط معيشته.

وهذه العلاقة الوثيقة بين الإبداع الشّعبيّ البدوي وبيئته الخاصة، لا تتجلّى على مستوى الألغاز الشّعبيّة فحسب، بل تتعدَّاها لتشمل كافة الفنون الشّعبيّة البدويّة، وهذا ما أثبته الباحثون الذين درسوا الاجتماع البدويّ، يقول أحد هؤلاء الباحثين في هذا السياق: « ترتبط الفنون الشّعبيّة البدويّة ارتباطا وثيقاً بمختلف صور الحياة البيئية والاجتماعية والدينية والفكرية السّائدة لدى كُلّ مجتمع بدويّ على حدة » [1].

---

[1] ينظر: صلاح مصطفى الغوال، علم الاجتماع البدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، دار نافع للطباعة والنشر، ط1، 1974 ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وممّا يدل على هذا المعنى، ما يُلاحظ في العديد من الألغاز الـتي اعتمـد فيهـا الخيـال الـشّعبيّ على صور تُعدُّ من صلب الطبيعة البدويَّة وأنماطها المعيشيّة كصورة الجمل والناقـة والنعجـة والنّجـع وغيرها. حتّى ولو كان الموصوف من عالم آخر، ومن بيئة أخرى مغايرة. وعلى سبيل المثال لا الحـصر نذكر الألغاز الآتية:

1- " نجعنا الطميم يرحل ويقيم، لا جرّه ولا أثر قديم " (الباخرة، "البابور") [1].

2- " نعجتنا الصغيّرهْ خرجت من البيت مطيّرهْ " (الرصاصة "الخرطوشة") [2] .

3- " جملنا المعقول ثار واطلّق اعقاله، دهّم على حرثنا المبلول. ما خلاّش حثاله " (شفرة الحلاقة) [3].

4- " ناقتنا باركه تتكلم بالتخميم، النواجع راحلة والسلطان مقيم " (السبحة) [4] .

5-" ناقتنا الحامل جوها الجمال الهايجين،هي صبحت حايل وهم صبحوا حاملين "(القصعة والأَكلَة) [5].

2/: السّجع:

يُعدّ السَّجع من أبرز الظواهر البلاغيَّة الّتي تعتمد عليها الألغـاز الـشّعبيّة إلى جانـب الاسـتعارة. وإذا كانت الألغاز في عمومها تتوزَّع أشكالها ما بين المنظوم والمسجوع والعادي، فإنَّ النّسبة الكـبرى تمثلها الألغاز المسجوعة التي ترد – غالباً – في قوالب موجزة من الجمل القصيرة الخفيفة « ومثل هـذه الصّفات تكفل لها التدوال بين النّاس بسهولة، فيحفظونها ويروونها ويشيعونها بين المتلقّين » [6] .

ولا يخفى ما للسّجع من دور في الإيقاع الصَّوتي الذي يُشيع في الكلام نغما موسقيًّا عذباً تأنس له الأذن، وتنجذب إليه النّفس خصوصاً إذا ورد في تراكيب رصينة بألفاظ مختارة، متجانسة الحروف، منـسجمة متناغمة بما يحقّق الموسيقى الداخلية للكلام إلى جـانب الموسيقى الخارجية التي يوقّعهـا الـسّجع . و «الذوق الشّعبيّ في الألغاز كما هو في الأمثال حريص على الأصوات المنسجمة في الكلام، ولـذلك اهتمَّ باختبار الألفاظ، وتقطيع الجمل، بغية تحسين الصّياغة، وتنويع التراكيب، لإحداث معادلة صـوتيَّة، تنبعث منها موسيقى، تضفي على الترسّل الشّعبيّ نوعاً من الجمال الأدبي» [7] .

ص 283 .

[1] عالم الجماد: (131).

[2] نفسه : (132).

[3] نفسه : (102).

[4] نفسه : (143).

[5] عوالم مشتركة: (12).

[6] د. عبد المالك مرتاض، الألغاز الشعبية الجزائريّة، ص22

[7] ينظر: د. رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي، مرجع سابق، ص-ص 101 – 107 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويرى أهـــل البلاغة أنَّ أجمل السَّجع ما تســـاوت فِقَرُه، ومـــا كان رصـــين التركيـــب، بعيـــداً عن التكلّف، خاليا من التكرار لغير فائدة.

والسّجع بهذه المواصفات وُجد في مختلف النصوص البليغة وفي مقدمتها النّص القرآنيّ الذي اعتمد السَّجع في العديد من السور والآيات لما له من دور كبير في تجويد الأسلوب، والتأثير على المتلقي، بـــالإضافة إلى تسهيل حفظ الكلام وتداوله.

وفي هذا المبحث سنحاول الوقوف على بعض النماذج اللّغزيَّة المسجوعة لنستجلي من خلالها بعـــض جماليّات السّجع الشّعبي، مع الإ شارة إلى بعض الأوجه البلاغيَّة الأخرى التي قد تشتمل عليها الألغـــاز ولاسيّما على المستوى البديعيّ بشقيه: اللّفظي والمعنوي

- « توضَّى ما صلَّى، ولبس ما خلَّى، وراح ما وَلَّى » [1]. (الميّت).

هذا اللّغز المسجوع من النوع الذي تساوت فقره، وقصرت جمله، وهو – كما يبدو – رصين التركيب، بعيد عن التكلّف والتّكرار، قائم على التماثل الصّوتي، وعلى الازدواج المعنويّ بمعـــنى أنَّ كـــلَّ جملـــة من جمله الثلاث قائمة على معنيَيْن: إثبات ونفي. واجتماع هذه الخصائص أكسب اللّغز جلالاً في المعنى وجمالًا في المبنى .

- « يطبخ ما يطيب، يكبر ما يشيب، يتعوَّج ما يعيب » [2] (الماء، الغراب، الحنش)

وهذا اللّغز كسابقه من حيث اشتماله على أهمّ الخصائص الواجب توفّرها في السّجع الرّفيع. ولعلَّ الفرق بين اللّغزين أكثر بروزاً في جانبين:

- الأوَّل: الجانب الزَّمني، حيث قام اللّغز الأوَّل على الزَّمن الماضي لتناسبه مع الموصوف وهو: "الميّـــت" الذي رحل وانتهى، وأصبح في حكم الماضي. وكأنَّ اللاَّوعي الشعبي – هاهنا – يريـــد نـــسيان هـــذه الحقيقة المُخيفة ففزع إلى الماضي ونأى بنفسه عن المضارع الذي يُفيد التجدّد والاستمرار. وفي المقابـــل، قام اللّغز الثاني على الزمن المضارع لأنَّ الأمر يتعلّق بظواهر حياتيّة عاديّة تتكرّر وتتجدّد مع مرور الزمن وتعاقب الأيّام.

- الثاني: الجانب المضموني: ويتمثل في الفرق الملاحظ بين مضموني اللّغـــزين؛ فـــاللّغز الأوَّل أحـــاديّ المضمون: (الميّت)، والثاني ثلاثي المضمون (الماء، الغراب، الحَنَش).

فاللّغزان السَّابقان متشابهان من حيث التركيب الثلاثي المشكّل لكلٍّ منهما، ومـــن حيـــث الخـــصائص السّجعيّة المشتركة وجماليّاتها. ويختلفان – كما رأينا – في الجانبين: الزمني والمضمونيّ.

---

[1] عالم الإنسان: (60).

[2] عوالم مشتركة: (13).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأوجه الشّبه والاختلاف هذه تدلّ على الثراء والتنوّع في الألغاز الشّعبية على المستويات الصوتيّة، والتركيبيّة. والدلاليّة وغيرها ، على الرغم من التشابه الظّاهري كما رأينا في اللّغزين السَّابقين.

وفي كلا اللّغزين، تتجلى براعة الإبدع الشّعبي على مستوى المباني والمعاني سواء بسواء. وفي هذا السّياق، يقول الباحث عبد المالك مرتاض معلّقاً على اللّغز الثاني:

«وحين نتأمل بعمق، بنية الجمل الثلاث المركّب منها اللّغز، نندهش لهذه البراعة الشّعبية في رصف الجمل بعضها بإزاء بعض، بدون نشاز ولا اضطراب. وقد يكون أروع من بنية هذا التركيب الذي بمقتضاه تمَّ وضع هذه الجمل حتَّى أصبحت ذات انسجام وكمال، هذا التنسيق المنطقي المتحكم في هذا التركيب نفسه» [1].

« أنت فيه، وما كش فيه، وما تقدّش تدخل فيه » [2] (المرأة).

لعلَّ أوَّل ما يُلاحظ في هذا اللّغز المسجوع تكرار الفاصلة: "فيه".

فهل هذا التّكرار من الصّنف الذي يضعف اللّغز ويُشينُه؟

ونبادر بالإجابة:لا، لأنَّ مثل هذا التّكرار يخدم المعنى ولا يمجُّه الذوق، فقد أكّد لنا معنى الغرابة في علاقتنا بهذا الموصوف الذي ترى – حقًّا – نفسك داخله، ولست بداخله، ولا تقدر على الدخول إليه! فالتّكرار في هذا اللّغز المسجوع أدَّى وظيفتين:

1- تأكيد المعنى المقصود.

2- إشاعة نغم موسيقي عذب في الكلام.

« جماعة في حانوت، اللّي يخرج منهم يموت » [3] (أعواد الكبريت).

يتكوّن هذا اللّغز المسجوع من فقرتين غير متساويتين، فالثانية – كما هو واضح – أطول من الأولى. وقد سبقت الإشارة إلى أنَّ أفضل السجع - عند علماء البلاغة – ما تساوت فقره. ونحن نرى أن تحقيق مثل هذا التّساوي ممكن في هذا اللّغز. ويتمّ ذلك بحذف كلمة « منهم » ليصبح اللّغز على النحو الآتي: « جماعة في حانوت، اللّي يخرج يموت ». وواضح أنَّ حذف كلمة « منهم » لم يُخلّ بالمعنى لأنَّها مفهومة - ضمنيًّا – من سياق الكلام. « ثلاثة أخوة: واحد ياكل ما يشبع، وواحد يسرح ما يرجع، وواحد يرقد ما ينوض » [4] (النار، الدخان، الرّماد).

---

[1] الألغاز الشعبية الجزائرية، ص-ص 168، 169.

[2] عالم الجماد: (152).

[3] عالم الجماد (100).

[4] نفسه: (99).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السّجع في هذا اللّغز قائم بين الجملتين المتجاورتين في وسط النّصّ. وبينهما تناسب صوتي وتركيبي ودلالي. ويبدو أنَّ أهمَّ جماليّات السّجع الرّفيع متوفر من تساوي الفقر، إلى رصانة التركيب إلى الخلوّ من التكلف والتكرار غير المفيد. واجتماع هذه الجماليات مع ذلك التناسب غطىَّ على غياب السّجع في بقيّة التّراكيب الواردة في اللّغز، فلم نشعر بذلك الغياب. فكمال الحضور في الوسط أنسانا الغياب في الأطراف، ولا سيّما أنَّ التّركيب الأخير شديد الشّبه بسابقيه، وشذوذ فاصلته بحرف أخير مُغاير لم يُخلّ بجمال الإيقاع الصّوتي السائد في الكلام ذلك أنَّ الواو الممدودة قبل الحرف الأخير امتدَّ معها الصَّوت فلم يُبق أثراً لشذوذ أو نشاز.

« زوج نفوس متضاربات، واحد تولد بالميّات، والأخرى عاقر للممات » [1] (ذقن الرجل وذقن المرأة).

يتميز هذا اللّغز المسجوع بتساوي فقره، ورصانة تركيبه، وبعده عن التكلّف والتّكرار لغير فائدة. وفي التّركيبين: الأوسط والأخير – إلى جانب السّجع الجميل – محسّنات بديعية أخرى لفظيّة ومعنويّة أسهمت في توضيح المعنى وتأكيده، وفي تجميل الأسلوب وتجويده. فالمحسّن البديعيّ اللّفظيّ يتمثّل في الجناس الناقص بين الفاصلتين: (بالميّات- للممات)، ولا يخفى ما بينهما من توقيع صوتي ونغم موسيقي عذب. أمَّا المحسن البديعيّ المعنويّ، فيتبدّي في الازدواج والمقابلة بين المعنيين المُتَعاكسين: كثرة الولادة من جهة، والعقم الدائم من جهة أخرى.

ومثل هذا الازدواج والتقابل المعنويّ الممزوج مع السّجع، نجده في اللّغز الآتي الذي يُصوّر ظاهرتين طبيعيتين: إحداهما ضوئيّة، والآخرى صوتيّة.

« تشوفه وما تسمعاشِي، وتسمعه وما تشوفاشي » [2] (البرق والرعد).

ومجمل القول، أنَّ السّجع بخصائصه الصوتيّة الجمالية المؤثرة، وبدوره الكبير في تسهيل حفظ الألغاز وتداولها، قد حَظِي بالنّسبة الكبرى من عدد الألغاز على اختلاف عوالمها وموضوعاتها. وقد تنوعت أشكاله وطرائقه على المستويات الصوتيّة والتركيبية، والدلالية، كما امتزج في بعض الألغاز مع محسّنات بديعيّة أخرى لفظيّة ومعنويَّة إلى جانب الأوجه البلاغية الأخرى وعلى رأسها الاستعارة. وتشكّل هذه الفسيفساء البلاغية في انسجامها وتناغمها سيمفونيَّة أسلوبيّة لغزيّة تبسط سلطان جمالها على المتلقّي محققّة وظائف اللّغز بمختلف أبعادها.

---

[1] عالم الإنسان: (79). بالميّات: أي: بالمئات.

[2] عالم الجماد (151).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تناولنا في الصَّفحات السَّابقة بعض الجوانب البلاغيّة التي تُعَدُّ الأكثر بُروزاً على مستوى الألغاز الشّعبيّة. ونعني بذلك الاستعارة والسّجع على وجه التحديد. فالاستعارة مظهر بلاغيٌّ بياني، والسَّجع مظهر بلاغي بديعي. وكلاهما يشكل جانباً من جوانب البنية الأسلوبيّة للّغز الشّعبيّ بمستوياتها المتعدّدة: الصوتيّة والصّرفيّة، والمعجميّة والتركيبيّة والدلاليّة. وتجدر الإشارة – بهذا الصّدد – إلى أنَّ المستوى الدّلالي يُعَدُّ المحصّلة النهائيّة لباقي المستويات المذكورة.ولقد تطرّقنا إلى الجانب الدلاليّ في الألغاز الشّعبيّة المتداولة بمنطقة وادي سوف، في موضعين من هذا البحث:

- الموضوع الأوَّل: في ثنايا الفصل الثَّاني عندما بحثنا الدلالات السياقيّة للألغاز الشّعبيّة ومدى انعكاس مظاهر الحياة والبيئة في وادي سوف من خلالها.

- الموضوع الثاني: في هذا الفصل الثالث عند دراستنا لجماليات الاستعارة ودلالاتها القريبة والبعيدة.

وبناءً على ما تقدم، سنحاول التطرق – بشكل مختصر – إلى ثلاث مستويات على صعيد البنية الأسلوبيّة للّغز الشّعبيّ وهي: المستوى الصوتيّ، المستوى المعجمي، والمستوى التّركيبي. أمَّا المستوى الصّرفي، فنرى أنَّه بالإمكان الإشارة إليه - بطريقة أو بأخرى- من خلال المستوى المعجميّ حيث ترد الكلمة جامدةً حينًا ومشقّة حينا آخر. ويمكن حينئذٍ معرفة نوع الاشتقاق، وطريقة التصريف وما إلى ذلك من الجوانب الصّرفيّة.

1- المستوى الصوتيّ:

الصوت أساس اللّغة سواء أكانت لغة عادية أم أدبيَّة. ذلك أنَّ اللّغة – في جوهرها- عبارة عن " أصوات يُعبّرها كلّ قوم عن أغراضهم" على حدِّ تعبير ابن جنّي في تعريفه الشهير للّغة. « والصّوت اللّغوي المنطوق يعدّ أصغر الوحدات اللّغويّة في النّص الأدبي فضلا عن أنَّه يُعَدُّ المادة الخام للكلام الإنساني من ناحية، ولتراكيب النصّ اللّغويّة والسياقية والدلالية من ناحية ثانية » [1].

[1] ينظر: د. مراد عبد الرحمان مبروك، من الصوت إل النص – نحو نسقي منهجي لدراسة النص الشعري، درا الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1 ، 2002، ص21 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وللإيقاع الصوتي دور أساس في جمال الأسلوب. وقد أشرنا إلى ذلك في المبحث السّابق الذي تناولنا فيه جماليّات السّجع في الألغاز الشّعبيّة. و السّجع – كما هو معلوم – مظهر بلاغيٌّ ذو بعد صوتيّ إذ يشيع في الكلام نغما موسيقيًّا عذبًا عميق الأثر على الأذن والقلب. والإيقاع الصوتيّ – في عمومه- أشمل من السّجع الذي يعني توافق الفاصلتين في الحرف الأخير بما يصنع النّغم المأنوس، ذلك أنَّ الإيقاع الصّوتي يُعنى بكلِّ الألفاظ المشكلة للنّص من حيث مدى تجانس حروفها تبعا لطبيعة مخارجها وخصائص أصواتها،ومدى تناغمها على الصعيد الصوتي مع بقيَّة الألفاظ المجاورة لها ليتشكّل من ذلك التجانس والتناغم الذي أساسه الإيقاع الصوتي جمال الأسلوب في كليّته. ذلك أنَّ «جمال الأسلوب في اللّغة العربيَّة يقوم، أساساً، على الايقاع الصوتي. وإنَّ إعجاز القرآن، في رأينا، قام بالدرجة الأولى على الإيقاع الصوتي العبقري، حيث نجد السور تبتدىء بإيقاع صوتي معيّن فلا تكاد تعدوه إلى نهايتها.والأدب العربي الشّعبيّ ليس بدعا من صفوة الأدب العربي الفصيح. فهو يشبه، ولاسيّما القديم منه في كثير من خصائصه التاريخية» [1] . ومن أهمّ هذه الخصائص التاريخية المشتركة الاعتماد على الرواية الشفاهيّة. والتداول في مجتمع تغلب عليه الأميّة وروح البداوة بمختلف مظاهرها [2] .

ولغة الألغاز الشّعبيّة نابعة من لهجة المنطقة الّتي أوردنا بعضاً من خصائصها الصوتيّة والصّرفيّة، والتركيبيّة في الفصل التمهيدي ، وقد ذكرنا أنَّ من أبرز ما يُميّز اللّهجة المحليّة على المستوى الصوتيّ ما يُسمَّى بظاهرة الاقتصاد اللّغويّ، أو التخفيف على حدّ تعبير اللّغويين القُدامى .

---

[1] د. عبد المالك مرتاض،الألغاز الشعبية الجزائرية، مرجع سابق، ص171 .

[2] ينظر: المرجع نفسه ، ص171 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أمثلة الاقتصاد اللّغويّ ما نجده في الألغاز الآتية:

- « يمشي بلا راس، ويحفر بلا فاس » [1] (الماء).

يُلاحظ في هذا اللّغز تخفيف الهمزة في كلمتي: (راس) و (فاس): (رأس ← راس) و (فأس← فاس).

- « قاعد متربع، والناس تروح لِيهْ، لا يأكل، لا يشرب والنّاس اتثيق فيه » [2] .(الميزان).

وهنا حذف وتخفيف للهمزة: فلقد حُذفِت من فاصلة المقطع الأوّل (لِيهْ) وأصلها: (إليه) مراعاةً للانسجام الصوتي مع فاصلة المقطع الثاني: (فيه). وخفّفت الهمزة من الفعل (ياكل) وأصله: (يأكل)

- « البير بير واحد، والجمّة جمّتين » [3]. (البيضة).

والتخفيف هنا تمَّ على مستوى كلمة (بير) عن طريق قلب الهمزة ياءً: (بئر ← بير).

وقد ذكرنا في الفصل التّمهيدي أنَّ أمثال هذه الظواهر الصوتيّة من الاقتصاد اللّغويّ تهدف إلى تحقيق الانسجام الصوتي أو التّوافق الحركي.

وتجدر الإشارة – بهذا الصّدد – أنَّ هذه الخصائص الصوتيّة الأصيلة في لهجة سوف تكون قد تَعزّزت من خلال القرآن الكريم الذي يحظى باهتمام خاصّ لدى أهل سوف حفظًا وتلاوةً وسماعاً وتداولاً كما أوضحنا في الفصل التّمهيدي. ونعني بالقرآن الكريم رواية ورش على وجه التحديد. وهي الرواية المنتشرة في المغرب العربي بوجه عام، وفي الجزائر بوجه خاص. ومعلوم أنَّ رواية ورش تعتمد التخفيف ولا سيّما فيما يتعلّق بالهمزة كما في كلمات:

« بير: ... وبير مُعطّلةٍ وقَصرٍ مشيدٍ » (سورة الحجّ، الآية 42)، « وذيب: ... وأخافُ أن ياكُلَهُ الذيب ... »(سورة يوسف، الآية 12)، والمومنون:« قد افْلَحَ المُومِنُون »(سورة المومنون، الآية 01).

---

[1] عالم الجماد: (137).

[2] نفسه: (121).

[3] عالم الحيوان: (32) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن مظاهر التّخفيف والاقتصاد اللّغويّ الإمالة بنوعيها: الخفيف والشّديد:

فمن أمثلة الإمالة الخفيفة تحويل الفتحة إلى كسرة ممالة إذا جاءت بعدها ياء مدّ كما في اللّغز الآتي:

« يدزّ في الخير بصدره، لايذوقه لايستنفع بيه » [1] .(الطبق).

نجد الإمالة في كلمة (الخير) الّتي أصلها في الفصحى: (الخَيْر) .

فكانت الإمالة خفيفة وذلك بتحويل الفتحة على الخاء إلى كسرة ممالة لتنسجم صوتيًّا مع الياء التي تليها باعتبار أنَّ الحركات هي أبعاض حروف المدّ كما يقرّر علماء اللّغة. وحركة الكسرة تناسب الياء كما تناسب الواو الضمّة، والألف الفتحة. فهذه الإمالة الخفيفة – إذن – جاءت لتخفيف النطق وتيسيره.

أمَّا الإمالة الشديدة، فتكون بانتحاء الألف ناحية الياء. وتقع غالباً في الأسماء الممدودة كما في اللّغز الآتي الموجّه للأطفال: « سطيل مِيْ معلق في السّميْ » [2] . (المطر) .

فالإمالة الشّديدة ملاحظة في كلميْ: (مِيْ) و (السّميْ) وهما من الأسماء الممدودة وأصلها الفصيح - كما هو معروف - : (ماء) و (السَّماء) .

ويُعَدُّ الإدغام ظاهرة صوتيّة تندرج – هي أيضاً – ضمن مظاهر الاقتصاد اللّغويّ المحقق للانسجام الصّوتي. وللإدغام أشكال متعدّدة نذكر منها إدغام تاء تفعَّل أو افتعل في فاء الفعل لقرب المخارج بينهما كما في هذا اللّغز: « عبد الصمد قال كلمات، واتصّنتوا يا شهودي، بعيني ريت الماء في مسكن الدّم، وإذا كذبت قصّوا ازنودي » [3]. (القربة). ففي كلمة (اصّنتوا) أدغمت تاء (تفعَّل) (اتّصّنتوا) في فاء الفعل (الصاد) فصارت: (اصّنتوا).

ومن الظّواهر الصّوتيّة الأخرى الإبدال كإبدل الجيم زايًا في مثل: (زُوج ← زُوزْ).

« زُوزْ أخوات متضادّات: واحدة عاقر، وواحده تجيب البنات » [4] . (الشمس والقمر).

ومنها أيضاً نطق القاف كافاً مجهورة كما في كلمة قال: (عبد الصمد قال كلمات)، وفي لغز الميزان السابق: (قاعد متربّع).

---

[1] عالم الجماد: (39).

[2] نفسه: (43).

[3] نفسه: (49).

[4] نفسه: (173).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2- المستوى المعجمي:

نهدف من وراء هذا العنصر الجزئيّ في البحث إلى معرفة الدلالة اللّغويّة لبعض الكلمات الواردة في الألغاز الشّعبية بوادي سوف من حيث علاقة معانيها في اللّهجة المحليّة بأصولها في الفصحى. فهذه الدلالة اللّغويّة

« تفيد من حيث إنَّنا نريد أن نعرف نقاوة لغتنا العامية، ومدى تعلقها بالفصحى، واستنادها إليها، وبعدها عن العجمة والرّطانة » [1].

وفيما يأتي جدول يبين معاني بعض الكلمات الواردة في الألغاز بين اللّهجة المحلية والفصحى:

الكلمة	معناها في اللّهجة السوفية	معناها في الفصحى
قطاطيه: (عالم النبات: 10)	عناقيد التمر المتدلية من العرجون، وهي مشهورة باسم "شماريخ" ومفردها "شمروخ".	جاء في لسان العرب: القَطط: شعر الزنجيّ. الشعر القطط: الشّديد الجعودة أو الحسن الجعود وجمعه: قِطاط. (علاقة مشابهة)
اشطاطها: (عالم النبات: 09)	الأماكن المكتنزة بالشحم واللّحم في النّاقة .	جاء في اللّسان: ناقة شطوط وشطوطي: عظيمة جنبيْ السَّنام. (شبه تطابق في الدّلالة).
شاحد: (عالم الجماد: 67)	حادّ – قاطع. (سكين، سيف، منجل ... إلخ).	شحذ السكين أو السيف: سنّه وأحدّه (تطابق في الدّلالة مع إبدال الذال دالاً في اللّهجة).
منفود: (عالم الجماد: 92)	مخيط باليد بواسطة الإبرة والوحده المخيطة تُسمَّى: "نفدة" .	أنفد القومَ: خَرقَهم ومشى في وسطهم (تشابه في الدّلالة).
كرد: (عالم الإنسان: 22)	أطلقت - في اللّغز - على القلب في تكتّله وتجمعه.	جاء في اللّسان: الكرديدة: القطعة العظيمة من التّمر (حبّات التّمر إذا جُمّعت وكتّلت). (تشابه في الدّلالة مع ملاحظة مالحق الكلمة الفصيحة من حذف ونحت طلباً للتخفيف) .

[1] ينظر: د. عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ، ص113 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكلمة	معناها في اللّهجة السوفية	معناها في الفصحى
عسَّاس: (عالم الإنسان: 21)	حارس، مراقب.	عسَّ –يعسُّ- عسًّا: طافَ باللّيل للحراسة ونحوها . (تطابق في الدّلالة).
شاف: (عالم الإنسان: 42)	رأى – شاهد...	شاف الشيء :جلاه، إشتاف: تطاول ونظر، وتشوّف إلى الشيء: تطلّع إليه (تطابق في الدّلالة).
بارك: (عالم الجماد: 08)	البعير بارك: جاثٍ على الأرض .	برك البعير بروكاً: استناخ. وبرك: ألقى بركه على الأرض وهو صدره. (تطابق في الدّلالة).
ترّاسنا: (عالم الجماد: 61)	الترّاس أي: الرجل.	رجل تَرّاس: صاحب ترس (تعميم الدّلالة، والترس–عادة-ينسب إلى الرَّجل المقاتل).
سحّتوا: (عالم الحيوان: 10)	اطردوا..	السُحت: الحرام الذي لا يحلّ كسبه لأنَّه يسحت البركة أيْ يُذهبها (يطردها) (تطابق في الدّلالة).

ولعلَّ من أهمّ ما يمكن استخلاصه من هذا الجدول الصّغير يتمثّل في التقارب الكبير بين لهجة منطقة سوف واللّغة العربيّة الفصحى على المستويْن معاً: مستوى لغة التّخاطب اليوميّ، ومستوى لغة الإبداع الأدبي. ولقد سبقَ أن أشرنا إلى هذه الحقيقة في الفصل التّمهيدي *.

وتجدر الإشارة في هذا السّياق إلى أنَّ الألفاظ الواردة في الألغاز. قد وظّفت توظيفاً إبداعيًّا خاصًّا ينطلق من الدلالة المعجميّة ليتجاوزها. فالنّخلة مثلاً وُصفت بأنَّها "أنثى عنقنق". وسألنا بعض الخبراء في اللّهجة عن معنى "عنقنق". فلم نجد ضالّتنا.

وفي لسان العرب. لم نجد اللّفظة بهذا الوزن : "فعلعل" الذي يبدو أقرب إلى التحبّب والتودّد على شاكلة الترخيم. ولكن وجدنا معنى قد يكون هو الأقرب إلى ضالّتنا: (فرس معناق أيْ: جيد العنق)

فلعلَّ المراد جودة العنق. والعنق الجيّد في المرأة هو الطويل: "عُلية بعيدة مهوى القرط" كما تقول العرب. وهو وصف يناسب النخلة المعروفة بطول عنقها على سبيل المجاز.

* للتوسع في هذا المجال يُنظر:

1- أحمد زغب، التطور الدلالي في لهجة منطقة سوف. (مرجع سابق).

2- ثريا التجاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصّة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري (مرجع سابق).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- المستوى التّركيبي:

نعني بالمستوى التركيبي نظام الجملة من حيث هي عبارة عن كلام مفيد. وإذا كانت اللّفظة تتكون من مجموعة من أصوات، فإنَّ الجملة تتكون من مجموعة ألفاظ تُركب وفق نظام معيّن بحسب الدلالة المقصودة من الكلام. ولهذا يدرس علم التركيب الوظيفة التي تؤدّيها الكلمة داخل نظام الجملة كما يدرس العلاقات الرابطة بين مختلف الكلمات المكوّنة للجملة.

ويتّفق الدارسون على أنَّ « بنية التركيب تتكون على أكثر تقدير من ركنين:
الأوَّل أساسي والثاني جانبي » [1]. والرّكن الأساسي هو الرّكن الإسناديّ الذي يُسمّيه علماء النحو القُدامى: العُمدة. أمَّا الركن الجانبي، فهو "الفضلة" على حدّ تعبير القُدامى. وله تسميات أخرى حديثة[2]. والتراكيب في اللّغة عديدة ومتنوعة تتوزّع على الخبر والإنشاء، فمنها الأمر والنّهي، والنّداء، والاستفهام، والتعجب، والشرط، والقصر، والاستثناء ...إلخ.

وفيما يأتي سنتناول – باختصار – بعض هذه التّراكيب كما وردت في الألغاز الشعبيَّة المتداولة بمنطقة وادي سوف. ومن خلالها، نتعرف على بعض الخصائص التركيبية للّهجة المحليّة عبر لغة الإبداع الشعبي ممثّلة في الألغاز الشعبيَّة:

التراكيب الخبريَّة:

التراكيب الخبريَّة تناسب الألغاز لأنَّها قائمة – أساساً- على الإخبار بالوصف والتصوير. والتراكيب الخبريّة ترد تارة مثبتة وتارة منفيّة، كما تُساق في جمل اسميّة أو فعليّة. وفي الألغاز يبدو أنَّ الإثبات أكثر من النّفي.

وقد يجتمعان في لغز واحد. كما يلاحظ هيمنة الجمل الاسميّة على الجمل الفعليّة. وتعليل ذلك أنَّ اللّغز – في جوهره – تقرير وإثبات لحقيقة الموصوف المقصود وخصائصه. ولهذا، فالإثبات أولى، بل إنَّ النَّفي نفسه يُستخدم في اللّغز لخدمة غرض التقرير والإثبات. أمَّا هيمنة الجمل الاسميّة، فتعليلها أنَّ اللّغز وصف لذات من عالم الإنسان، أو الحيوان، أو النبات، أو الجماد، وليس وصفاً لفعل أو حدث مرتبط بزمن معيّن. وعلى هذا، فالجمل الاسميّة – في الألغاز- أولى وأنسب.

---

[1] ينظر: أحمد زغب، المرجع السابق، ص25.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص-ص 25، 26.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن جانب آخر نعلم أنَّ الجملة الاسميّة تُفيد تقوية الحكم وتقريره، وهذه الخاصيّة تناسب طبيعة اللّغز ووظيفته. فقولنا: " عبد الصمد قال كلمات " أقوى في الدلالة من قولنا: " قال عبد الصمد كلمات " . ذلك أنَّ تقديم ماحقّه التَّأخير – هاهنا- أفاد تقوية الحكم وتقريره، فبدا وكأنَّ الحكم نُسب إلى عبد الصمد مرّتين: مرّة من طريق الابتداء به والإخبار عنه بالاسناد (المسند والمسند إليه)، ومرّةً من طريق عودة الضمير المستتر الفاعل في الفعل (قال) إليه. ناهيك قبل ذلك وبعده بالأثر الايحائي الكبير الذي يُحدثُه استهلال اللّغز باسم: "عبد الصمد" على كيان المتلقي الذي يعرف – سلفاً- خطر هذا الاسم في عالم الألغاز.

بعد هذه التوطئة، نمرُّ مرًّا سريعاً ببعض النماذج اللّغزيَّة الخبريّة في تنوعاتها التركيبيّة:

فمن الألغاز الخبريّة ذات التّراكيب المثبتة نذكر:

- « الأبيض يدرس، والأحمر يكنس، والسّاقية تدّي. والبحر يحبس » [1].(الأسنان، اللسان، البلعوم، المعدة).

- « شجرة رقيتها، وقصّيتها، وغليتها في مقالي زيتها، وداويت بيها الهمّ ومات » [2].

(القطران دواء لجرب الإبل).

- « طير طيَّار في السّماء غيَّار، جناحاته حديد، وقلبه نار » [3] .(المقرون).

ومن الألغاز الخبريَّة التي امتزجَ فيها الإثبات بالنّفي، وكان النّفي لخدمة الإثبات والتّقرير ما يأتي:

- « كبشنا بشواكله، لا من يقدر ياكله » [4] (رمضان).

- « لبيض في الأرض الحُرّه، هبّت عليه الرّياح ماغبّت له جرّه » [5] (البرص).

---

[1] عوالم مشتركة : (05).

[2] نفسه : (7).

[3] عالم الجماد : (182).

[4] عالم الإنسان : (91).

[5] نفسه : (92). ماغبّت له جرّه: ما أزالت له أثراً.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن التّراكيب الخبريّة الّتي وردت في أساليب شرط ما نجده في الألغاز الآتية: « عبد الصمد قال كلمات، واصقروا يا شهودي: بعيني ريت الماء في مسكن الدّم، وإذا كذبت قصُّوا زنودي »[1](القربة).
أسلوب الشّرط في هذا اللّغز يتمثّل في التركيب الأخير: وإذا كذبت قصُّوا زنودي. وأسلوب الشرط يُعدُّ من أساليب تأكيد المعنى. وهو يقوم على تعليق شيء بشيء آخر.
« غرد شهلول بهلول رقاي روس العوامي، كان دهّم على زرع مبلول مايخلّي فيه حتّى امَّالي » [2].
(شفرة الحلاقة). أسلوب الشرط نجده في القسم الثاني من اللّغز: " كان دهَّم ...إلخ" والأداة المستعملة للشّرط في هذا اللّغز هي: " كان + الفعل" وهذه الصّيغة الشرطيّة شائعة كثيراً في اللّهجة المحليّة ولعلّ أصلها الفصيح هو: "إذا كان..." وحُذفت إذا الشرطيّة من باب التّخفيف، ومن باب كونها مقدّرة في السّياق ومفهومه ضمنيًّا.
ومن التّراكيب الخبريّة الواردة بأسلوب الاستثناء نذكر:
« ميّت وما تقبرشي، حَيْ كان بالنَّفس، الماكله ما يكلشي، يعرف غير يدسّ » [3] (البخيل). الاستثناء -هنا- في تركيبتين:
- الأوَّل: "حيّ كان بالنّفس" فالملاحظ في هذا التركيب – كتركيب الشرط السابق- قيام "كان" بالدّور الأساس في الاستثناء بدلاً من الأدوات الشهيرة: إلاَّ، غير، سوى ....إلخ.
يقول الباحث أحمد زغب في هذا السّياق: « فلا نعلم كيف تطورت (كان) إلى أداة استثناء، ولعلّها اختصار لعبارة (ما كان إلاّ)... » [4].
- الثاني: "يعرف غير يدسّ" . وهنا استعملت الأداة المشهورة (غير)
ويبدو أنَّ الأصل في التركيب أن يبدأ بحرف النفي (ما) – وهو شائع في اللّهجة – ولكنَّه حُذِفَ للتخفيف. وهذ النوع من الاستثناء يسمّى الاستثناء المفرغ. وبلاغيًّا يُسمّى أسلوب قصر وطريقته هنا النفي و الاستثناء. وهو كذلك من أساليب تأكيد المعنى وتقريره في الأذهان بما يناسب فنّ اللّغز طبيعةً ووظيفةً.

---

[1] عالم الجماد: (49).
[2] نفسه : (119).
[3] عالم الإنسان: (94).
[4] التطور الدلالي في لهجة منطقة سوف، ص29 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التراكيب الإنشائية:

تعرف التراكيب الإنشائية بتعدد أنواعها وصيغها، وتنوع أغراضها البلاغية فمنها الطلبية كالأمر، والنهي والنداء والاستفهام والتمني ...

وغير الطلبية كالتعجب والقسم وصيغ المدح والذم .

ونجد في الصيغة الواحدة كالأمر- مثلا – عدة أغراض بلاغية تفهم من سياق الكلام والحالة الشعورية لصاحبه من خلال ظروف الموقف الداعي إلى الكلام وملابساته، ومقتضيات المقام والأبعاد الدلالية المناسبة لذلك كله . فالأمر قد يكون للإلزام أو الالتماس أو الدعاء أو التعجيز أو التهديد أو السخرية أو التمني ...الخ .

وأساليب الألغاز الشعبية ليست بمنأى عن هذه الألوان البلاغية ،وإن كانت طبيعة اللغز ووظيفته تتحكمان في هذا المجال وتجعلان للغز أغراضا محددة ومحدودة تتناسب مع طابعه التداولي فالأمر في اللغز – على سبيل المثال – يصلح أن يفيد الاختبار أو التحدي أو التعجيز ...على حين لا يصلح أن يفيد الدعاء أو التهديد أو التمني إلا في حالات خاصة استثنائية كلغز أبي الهول في أسطورة الملك أوديب مثلا .وسنتعرف فيما يأتي على بعض الألغاز الشعبية التي وردت في تراكيب إنشائية متعددة الصيغ والأغراض البلاغية .

" افهم لو كنت فهام ، تفهم حروف المدارس، نبيني عن غصن رويان ،نواره عود يابس " [1] (الأصبع والظفر) . في هذا اللغز صيغتا أمر : "افهم " و "نبيني " بمعنى أخبرني وأصلها(نبئني) ولكن قلبت همزتها ياء للتخفيف فهي إذا فصيحة وبخصوص الغرض البلاغي للأمر في هذا اللغز فالأرجح أنه لا يعدو الأغراض الثلاثة المذكورة آنفا وهي : الاختبار أو التحدي أو التعجيز لأنها تنسجم مع الطبيعة التداولية والجماعية للألغاز الشعبية . وذلك لأن الأدب الشعبي – في عمومه- ينسب إلى الجماعة حتى لو كان منشؤه فرديًّا.

---

[1] عالم الإنسان: (18).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعض الألغاز تشتمل على أسلوبين إنشائيين ضمن تركيب واحد على سبيل التتابع لتعزيز الأغراض البلاغية المتسقة مع جوهر اللغز ووظيفته الاختبارية كما أسلفنا ومن هذا النوع نذكر : " تكلم يا عمارة ، وتكلم يابا حمد ، هراجل دبر دباره ووجهه ماورّاه لحد " [1] (العقل) فالملاحظ في هذا اللغز تتابع الأمر والنداء لشخصين مختلفين في كل من التركيبين : الأول والثاني . وهذا التعدد في الصيغ والأسماء يؤكد الطبيعة الإخبارية والتداولية على السواء للألغاز الشعبية .

وقد يتتابع الأمر والاستفهام لتحقيق الأغراض ذاتها كما في اللغز الآتي :

" عبد الصمد قال كلمات اصنتوا يافهاما ، واش فيك يدخل النار ، ويخرج بلا حرق سلاما " [2]

(ظل الإنسان) وصيغة الاستفهام : واش ...؟ أصلها الفصيح : أي شيء ؟ وهي لهجة عربية لحقها نحت وحذف في العامية الجزائرية [3] .

ومن الأساليب الإنشائية غير الطلبية التعجب الذي نجده في مثل اللغز الآتي : " منقال فضة ، ومحراك ذهب ، وزرع يتكلم ما اطمك عجب ! " [4] واضح أن صيغة التعجب تتجلى في التركيب الأخير : ما اطمك عجب ! بمعنى " ما أعظمك من عجب !" والملاحظ أن الصيغة في العامية جارية على وزن صيغة التعجب القياسية في الفصحى وهي : "ماأفعله ! "وانفعال التعجب مشترك بين المبدع والمتلقي وقد أودع آخر اللغز ليظل راسخا في ذهن المتلقي ملحا عليه حتى يجد الحل وإذا عرف السبب بطل العجب .

---

[1] عالم الإنسان: (18).

[2] نفسه: (107) .

[3] نفسه: (93) .

[4] ينظر: د. عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، مرجع سابق، ص 36 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البنية الهيكلية للّغز :

تتكون البنية الهيكلية لنص اللغز من ثلاثة عناصر أساسية [1]:

1- المقدمة :

2- السؤال:

3- الجواب:

1/ المقدمة: وهي العبارة التي يفتتح بها نص اللغز تمييزا له عن باقي فنون القول الشعبي ، وإلى جانب هذه الوظيفة التمييزية تؤدي المقدمة وظائف أخرى كالدعوة إلى سماع الألغاز أو التباري فيها أو التهيئة العقلية والنفسية للولوج إلى عالمها .والمقدمة في مباريات الألغاز أشبه ما تكون بصفارة الحكم في مفتتح المباريات الرياضية .

ونص المقدمة المشهور في الألغاز الجزائرية هو : " حاجيتك ما جيتك " وفي ألغاز وادي سوف يقال " ما حاجاتكم يا ما حاجاتكم " . بيد أن الملاحظ في الألغاز التي جمعناها خلوها من هذه العبارة الافتتاحية وقد يعود هذا لكونها – من كثرة الاستعمال – غدت مألوفة معروفة ولا ضير في غيابها .

أما الألغاز الصمدية الشهيرة فقلما تخلو من مقدمتها المتميزة التي تشير إلى مصدرها الخطير ." عبد الصمد الشابي " وكثيرا ما تبدأ بالعبارة الآتية " عبد الصمد قال كلمات واصنتوا يا شهودي أو " ياشهود عدالة، أو ياشواشي ...الخ .

2/ السُّؤال: وهو أهم عنصر في الهيكلة النصية للغز ،وفيه تتجلى براعة مبدعه حين يتألق وصفا وتصويرا وتعمية للموصوف المعروف لديه والمجهول لدى سامعيه من المتلقين. وفي نص السؤال تتألق الاستعارة مصطحبة معها ألوانا بلاغية أخرى متنوعة ليصنع هذا المشهد البلاغي بانسجامه وتناغمه جمال اللغز ودهشته واستفزازه أيضا ! .

واللغز الصمدي – وهو اللغز النموذجي في وادي سوف – عرف بأن نص سؤاله يشتمل في – الغالب – على أربع صفات أو خصائص للموصوف مطابقة له .

---

[1] ينظر: سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص 103 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفيما يأتي ، سنحاول تطبيق ما قلناه على لغزين من الألغاز الصمدية :

1)- " عبد الصمد قال : ياقابس بعيني شفت النوار فوق العود اليابس " [1] .

(القرآن الكريم فوق اللوح).

الخصائص الأربع المطابقة للموصوف هي :

1- تأكيد رؤيته : (بعيني شفت)

2- النوّار (القرآن الكريم – استعارة)

3-فوق العود
4- اليابس } اللّوح.

ونلاحظ أن النعت الأخير (اليابس) قد أدى وظيفتين متقابلتين :

الأولى : وظيفة التعمية لأن رؤية النوار فوق عود يابس مثيرة للدهشة حقا .

الثانية : وظيفة مطابقة دلالة الواقع، لأن اللوح هو في الأصل عود يابس وهذا التقابل الـــوظيفي يعـــد من عجيب صنع الاستعارة .

2)- " عبد الصمد حلف يمين ويمينه ما فيه حناثة : يعني شفت ابن آدم دخل من باب وخرج من ثلاثة! " [2] (الإنسان عند لبس الجبة).

الخصائص الأربع المطابقة للموصوف هي :

1-تأكيد الرؤية : (حلف يمين: بعيني شفت)

2- جنس الموصوف : (ابن آدم)

3- الفعل الأول المنسوب إليه : (دخل من باب)

4- الفعل الثاني المنسوب إليه : (خرج من ثلاثة !)

3/الجواب: وهي المحطة الأخيرة والحاسمة في نص اللغز . ومن خلاله تفك الرموز وتـــزال الدهـــشة ، ويعترف لصاحب اللغز وللمجيب المصيب معا بالبراعة والذكاء والتفوق العقلي. وقد يلجأ صاحب اللغز - عند العجز عن الجواب – إلى تذليل بعض الصعوبات بطرق مختلفة ، وغالبا ما يكون الجواب بـــسيطا في شكل كلمة واحدة من عالم واحد : إنسان أو حيوان ، أو نبات أو جماد ... وقد يكون أحيانا مركبا من عدة عوالم مشتركة كما أثبتنا في ملحق المدونة المجموعة .

---

[1] عالم الإنسان: (87).

[2] نفسه: (89) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبنية الهيكلية للغز من مقدمة وسؤال وجواب وما تعكسه من علاقة بين المبدع والمتلقي أو بين السائل والمسؤول فردا كان أو جماعة كل ذلك يجرّنا إلى الحديث عن البعد التداولي في الألغاز الشعبية ولو بإشارة سريعة في ختام البحث :

- **البعد التداولي للّغز الشّعبي:** اللغز الشعبي -بلا أدنى ريب- ذو طبيعة تداولية تتوارثه الأجيال المتعاقبة وتتداوله الجماعة في أوساطها لتحقيق أغراض ووظائف مقصودة . فاللغز – دائما – يتداول عبر شبكة تواصلية متكاملة تتشكل من باث ومتلقي – فردا حينا وجماعة أحيانا – ورسالة لغزية " مشفرة " تستهدف وظيفة محددة، ومرجع مشترك يتمثل في اللغة والبيئة بمختلف مظاهرها وتجلياتها .

ولقد أشرنا إلى هذا البعد التداولي للألغاز الشعبية في عدة مواضع من هذا البحث ولا سيما عند حديثنا عن الوظائف الاختبارية والتعليمية والترفيهية التي يضطلع اللغز بأدائها في أوساط الجماعة التي تتداوله فيما بينها .

وفي ضوء ما تقدم تبين لنا أن المنهج التداولي بوصفه أحد المناهج الحديثة في الدراسات الأدبية يجد في عالم الألغاز الشعبية تربة خصبة لتطبيق آلياته التحليلية التي تعنى بدراسة علاقة النصوص بمستعمليها إبداعا وتلقيا وتداولا. فالتداولية " تشمل كافة الظواهر المجاورة للغة extraling ابتداء من السياق المرجعي وانتهاء بالمعطيات الاجتماعية ، الثقافية كما ينص عليها التصور التقليدي بحيث تبرز خلف التواصل " الوظيفة التداولية " التي هي وظيفة " الرابطة الاجتماعية " [1]. ومجمل القول في خاتمة هذا الفصل الأخير أن البنية الأسلوبية للغز الشعبي تعكس عدة مظاهر لغوية وأسلوبية منها أن لغة الألغاز الشعبية تنقسم إلى قسمين : لغة بدوية قوية جزلة ،ولغة حضرية رقيقة مهذبة .وعلى المستوى البلاغي تبين لنا أن الاستعارة بيانيا والسجع بديعيا يشكلان أبرز مظهر بلاغي على مستوى الألغاز الشعبية مع اشتمالها على ألوان بلاغية أخرى متنوعة من البيان والبديع والمعاني أسهمت في صناعة جماليات اللغز الشعبي كالمستوى الصوتي والمستوى المعجمي والمستوى التركيبي من الوجهتين اللغوية والبلاغية. وخلصنا من خلال ذلك إلى نتيجتين: تتعلق الأولى بمدى التقارب بين اللهجة المحلية بمنطقة وادي سوف واللغة العربية الفصحى . أما الثانية فتتمثل في الوقوف على بعض الجوانب الجمالية الأخرى في نصوص الألغاز الشعبية . وفي ختام الفصل عرجنا على البنية الهيكلية للغز الشعبي المتكونة من مقدمه وسؤال وجواب وختمنا بالإشارة إلى أهمية البعد التداولي في عالم الألغاز الشعبية .

---

[1] ينظر : وتيكي كميلة، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (مقاربة تداولية)، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2004 ،ط1 ،ص 14 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، يمكننا أن نسجل أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال أبرز الإشـــكاليات و التساؤلات التي أثرناها عبر مختلف فصوله، وما تبع ذلك من فرضيات تم التحقق منها :

- تبيّن لنا أن اللغز في طبيعة بنيته، وأصل مفهومه يتسم بطابع الغموض والتعمية سواء أكـــان فـــصيحا أم عاميا، وأن معيار التمييز بين النوعيين يعتمد على اللغة دون الموضوع والوظيفة اللذين يعدان مـــساحة مشتركة بين اللغز في الأدبين : الرسمي و الشعبي .

- أكد الباحث صعوبة تحديد النشأة الأولى للغز الشعبي وأسبابها لإيغالها في القدم، ونـــاقش عـــدة آراء في هذا الشأن، ثم أدلى بدلوه في الموضوع بطرح إمكانية ارتباط النشأة الأولى برؤى المنـــام، ولاســـيما الرؤى التنبؤية لاشتراكها مع الألغاز في عدة خصائص.

- أوضح الباحث أن تطور اللّغز الشعبي شمل أساسا المفهوم والمضمون والطقوس: فبخـــصوص تطـــوّر المفهوم ، حاول البحث تفسير ارتباط مفهوم اللّغز "بالخرّاف" لدى عامـــة أهـــل ســـوف، فتوصّـــل إلى أنّ سبب ذلك قد يعود إلى التناص بين اللّغز وباقي السّرديات الشعبية منذ القدم، بالإضافة إلى التشابه بين الألغاز و الحكايات الخرافية والشّعبية من حيث طقوس التداول اللّيلي. كما اتّضح أنّ تطوّر المضمون مرهون بالتطوّر الحضاريّ العام. أمّا الطقوس المصاحبة لتداول الألغاز، فيحكم تطورها عاملان: يتعلـــق الأول بطبيعة المجتمع، ويعود الثاني إلى طبيعة اللّغز ذاته بنية ووظيفة.

- وفي مبحث الوظيفة ، بيّن الباحث أنّ للّغز – في عمومه- وظيفتين أساسيّتين : التّعلـــيم و التّـــسلية. أمّا الثبات والتغيرّ في الوظائف، فيرتبطان ببواعث إبداع اللّغز وتداوله، فتكون الوظائف - تبعا لذلك – طقوسيّة موسميّة، أو اختباريّة تأهيليّة، أو تعليميّة ترفيهيّة.

- وتطرق الباحث – بعد ذلك – إلى محدوديّة تداول الألغاز- حاليّا- بالقياس إلى أجناس أخرى كالمثل و الشعر ، وتبين أنّ اللّغز الشّعبي – خلافا للمثل والشعر- قد حاصره التطور الحضاري العـــام وضـــيق نطاق تداوله بإيجاد بدائل له تؤدّي وظيفته.

- كانت الألغاز الشعبية بوادي سوف بمثابة وعاء إبداعيّ رحيب حوى صور الحياة و البيئة في المنطقـــة المذكورة على اختلاف مستوياتها وتجلّياتها، ونقلها بصدق وأمانة وأصالة وإبداع :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- فلقد تناولت ألغاز "عالم الإنسان" الإنسان في مختلف أبعاده الفيزيولوجيـــة، والدينيـــة، والنفـــسية، والاجتماعية، والأخلاقية.

وفي ألغاز " عالم الحيوان" ركّز الخيال الشعبي وصفه وتصويره- في المقـــام الأول- علـــى المحـــاور والموضوعات التي تتعلق بأهم حاجاته وضروراته المعيشية كالبيض والإبل ولبن الأنعام من غير أن ينـــسى بقية المحاور في عالم الحيوان مما يحيط ببيئته الصحراوية .

وبخصوص "عالم النباتات " حظيت ألغاز النخيل بالحظ الأوفر من حيث العدد والتفنن في الوصـــف والتصوير وذلك راجع إلى الأهمية الكبيرة التي يحظى بها النخيل في حياة الناس هناك. ومع ذلك، لم يغفل الخيال الشعبي باقي أنواع النبات والمزروعات على قلتها في البيئة الصحراوية .

أما ألغاز" عالم الجماد" فقد كانت هي الأكثر على الإطلاق بالقياس إلى باقي العوالم. وقد شملـــت الجمادات الطبيعيّة، والجمادات الاصطناعية.

وقد استنبطنا من خلال ذلك نظرة المجتمع الحميمية المتفائلة إلى الطبيعـــة تـــأثرا بـــالقيم الإســـلاميّة. وفي الجمادات الاصطناعيّة، صورت الألغاز مختلف المنتوجات المحلية في مجـــال الـــصناعات التقليديـــة، إلى جانب بقيّة الأدوات والوسائل ذات الطابع المحلي، أو الوافد مما عرفته المنطقة بمـــا فيهـــا الوســـائل الحضاريّة الجديدة التي تعاطى معها الخيال الشعبيّ- على العموم- بشكل إيجابي سلس.

وفي قسم "العوالم المشتركة"، تناول الخيال الشّعبي عدّة صور من البيئة المحليّة بتأليف عناصر متفرّقـــة من عوالم مختلفة على نحو بديع.

- للبعد الديني حضور بارز في ألغاز مختلف العوالم بما يؤكّد العلاقة الوثيقة لسكان سوف بالدّين الإسلامي وتأثيره الكبير في حياتهم وإبداعاتهم.

- في ألغاز مختلف العوالم، سمعنا صوت الشعب، وعرفنا طابعه الذهني، ومستواه الفكري، وأهمّ ما أثـــار انتباهه، وشغل اهتمامه من صور الحياة والبيئة المحيطة في مختلف مجالاتها، فصوّرها خياله تصويرًا مبـــدعًا لعبت فيه الاستعارة – بوجه خاص- الدور الأساس عبر إثارة دهشة المفارقة التي هي جـــوهر اللغـــز. ومن أبرز ما كشفته عموم الألغاز.مدى دقّة الملاحظة وبراعة الوصف والتّصوير في الإبداع الشّعبيّ.

- وفي البنية الأسلوبيّة للّغز الشعبي على الصّعيدين : اللّغوي والبلاغي، تبيّن أنَّ لغة الألغاز الشّعبية تَتبدَّى بمظهرين: لغة قوية جزلة تعكس الطابع البدوي، ولغة رقيقة مهذّبة عليها مسحة من الطابع الحضَريّ .

كما اتضح أن بلاغة اللغز الشعبي تتشكل- في المقام الأول- من ركيزتين:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ركيزة خياليّة بيانيّة هي الاستعارة ببعديْها: الدلالي والجماليّ.

* ركيزة لفظيّة بديعيّة هي السّجع بإيقاعه الصّوتي ونغمه الموسيقيّ المؤثّر بما ييسّر حفظ الألغاز وتداولها.

وقد كشفت المستويات الصوتية، والمعجميّة، والتركيبيّة عن جماليّات أسلوبية وبلاغيّة أخرى، كما أسفرت عن مدى التقارب بين اللّهجة المحليّة بوادي سوف واللّغة العربية الفصحى، ولاسيّما على مستوي لغة الإبداع الشّعبي.

- وفي الختام، نرى أنّه من تمام الفائدة خدمةً للبحث العلميّ، أنّ نُشير إلى أنّ هذا العمل قد كشف للباحث جوانب هامّة في الأدب الشعبيّ الجزائريّ يمكن أن تكونَ موضوعات مقترحة لبحوث جامعية بالعناوين الآتية أو بغيرها:

1- البعد التداولي في الأدب الشعبي.

2- التناص بين أجناس الأدب الشعبي .

3- المؤثّرات الشّيعية في الأدب الشعبي الجزائري.

- والحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصّالحات -

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المـــــلحـــــــــقات

1- مدونة الألغاز الشعبية المجموعة.

2- تعريفات موجزة بالرواة .

3- معجم المفردات والتراكيب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملحـــــــق رقم: 01

مدونة الألغاز الشعبية المجموعة

(مرتبة وفق التصنيف الموضوعاتي)

ملاحظات حول التصنيف:

1- يشمل (عالم الإنسان) كل لغز له علاقة بالإنسان في أبعاده الفزيولوجية، أو النفسية، أو الدينية، أو الاجتماعية ...إلخ. وحتى الظواهر المشتركة مع عوالم أخرى كالموت أو النوم –مثلا- إذا قصد بها اللغز الإنسان- تحديدا- فقد أدرجت ضمن ألغاز عالم الإنسان.

2- أدرجنا في عالم الحيوان كل مادة تستخدم للغذاء أو الشفاء فقط من مصدر حيواني كاللبن ومشتقاته، والعسل لأن اللغز الشعبي لا يعني باللبن –مثلا- إلاّ مايحلب من ضرع الشاة مباشرة، وكذلك تعاملنا مع عالم النبات وثمره .

3- نعني بالعوالم المشتركة الألغاز التي يكون حلها مركبا من عالمين مختلفين أو أكثر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عالم الإنسان

1. حكّة لولبيّة مغطاها شعر تستحي من الشّمس و تقابل القمر. (العين)
2. أحلى من آش، و أمر من آش، و أبشع من آش ؟
   - أحلى من آش: ولدك يلعب في الفراش.
   - أمر من آش: حبيبك إذا هزّوه في النعاش.
   - أبشع من آش: عرضك اليا تقّطع ما تجبراش.
3. يتوضا و ما يصليش، و يروح و ما يوليش. (الميت)
4. شقاقة الارض، دخّالة الغيران، كرشها التالي، و ظهرها القدّام. (رِجْل الإنسان) أي قدمه
5. طاح الثلج فوق روس لجبال، وطاحت الديار في السّاحل، اثنين يستنّوا في واحد باش يخلصو الواحد. (الهرم، الشيب، سقوط الأسنان، الرجلان و العكاز)
6. شايبنا الهرماني خالق بلا سنّين، يفزعوله عَدّة و يحكموه اثنين. (الأنف و الأصابع)
7. سندو و بندو، وفي باطن الارض فنّدوا كثروا و ما ولدوا. (أهل القبور)
8. هي واحلة، و تفتش علّوحل في قرنوعة الواد و في باطن الجبل. (الأذن الباحثة عن الذّنوب)
9. سردوك يا خايب الرّيش، خيّرت زينة القطاطي، حيّرها بالتعوعيش،و الليل مازال باطي.(موت الأم)
10. ما حاجاتكم ياماحاجاتكم عن عُرمة صفوف و واحد يطلب في المعروف. (الإمام و جماعة المصلّين)
11. طاحت حبّة في بير ما عرفناها قمح ولّا شعير. (الجنين في بطن أمّه)
12. راس الشايب كلّه غرايب. (الشّيب)
13. عبد الصّمد قال كلمات، و صنّتوا يا شهود عدالة، تنبّوني على الأنثى ما تولدش من غير البغلة لالا. (الحور العين في الجنّة)
14. زوز امْهار يسايرَنْ اللّيل و النّهار. (الأنف بثقبيه)
15. لحمة في غار لا تَنْتَنْ لا تِخضارْ. (اللّسان)
16. هلواس وسواس ولّادْ لهْمُوم الكثيرة و وجهه ما ينشَافشْ. (القلب)
17. طيْ بن طيْ و طيْ يَكيدْ الرّجال، لا دمْ الثِرْثْ فيه، و لا من شافله خيال. (النّوم)
18. أفهم لو كنت فهّام و تفهم حروف المدارس، نبّيني عن غصن رَوْيانْ نُوّارَه عُودْ يابس. (الإصبع والظفر)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

19. الانثى الشّقية و تْعيِّطْ بالصّوت العالي، تخدم ما تنال حيّة، و تبات صقع اللّيالي. (يد العامل)
20. الانثى الشّقية لِرّبي عالم بفسادها، لا حطّت على معادها، و لا رفدت شحم في خدّها، هي أفسد من كل مفسدة. (السوسة)
21. بيضة في كاس محوّط عليها ألف عسّاس. (العين)
22. كرد مصموط مليوح في جرعة وادي أطرش بكّوش سمّاع صوت اللّي ينادي. (قلب الإنسان)
23. زوج أخوات مولّدات في دشرة، واحدة اتجيب بالواحد، و الأخرى اتجيب بالعشرة. (الحسنة والسيّئة)
24. الزّرع اللّي زرعناه ما كْلِنَاهْ، غسلنا مرابع وين كان فلاه. (شعر الرأس)
25. شايفة شافت شوفة، و جَتْ قاصدها بالنيّة. اللّي شافها منع و اللّي ما شافها لصقت فيه القضيّة. (الشهوة، الخانه، الوحمة)
26. مطرف عاج بين أبراج لا يلُوطه ريح و لا عجاج. (المخ)
27. علّي تشبحه و ما تلقاشي يَرُدّْ الميّت حيّ و ما تُوجداشي. (رؤيا المنام)
28. عدو حقارْ لا يُضربه كرطوشْ و لا حجارْ، يتغلبْ بالاذكار و حسن الافكار. (الشيطان)
29. يا والدي نبّيني و نَبِّيك عن واد عجم عادى الاحرار أنت لا ياذيك و نايَ مايلقوشْ زرّيعته في الدّار. (الشيب)
30. يمشي على الاقدام لا ولداته بيضة و لا أرحام. (آدم عليه السلام)
31. عبد الصّمد قال كلمات و اصنَّطوا بالشريعة، هو كلّم اللّي فيك و أنت لا بدّْ اطِّيعه. (الاسم)
32. الانثى الزهيدة من كلّ شيء يصنعوها تُفصل بين البلدان بعدما سَعوْ لوَّحُوها. (قرعة الحجّ)
33. أحلى من العسل و أثقل من القنطار، لا يتباع في سوق ولا يشروه تجار. (النّوم)
34. أسود من اللّيل وفيه بطعة نظيفة، ينسام باسم"مثل" الخيل، و هو في الخطوة قصيفة. (العبْد/الوَصيف)
35. علّي ماتت و نسيناها و الحيّة تشري وتبيع والميّتة تستنّه في الحيّة حتّان يروحن جميع. (العين العوراء)
36. جملنا الهدّار رَبّاطْ فم الغرارة، يُعطف على لمّازيز، و يعطي العصا للبدارى. (شهر رمضان)
37. يبدأ بالثّاء، وبين لوحة ضعيفة، دمه حلال و لحمه جيفة. (ثدي الأم)
38. اسمه بالخاء معروف عند العرب و البوادي، ليقوله يبات مرتاح واللّي يسمعه يبات شاقي.(الخرّاف/الألغاز).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

39. تكلّم يا عمارَه و تكلّم يابّا حمَدْ هالرّاجل دبَّرْ دباره و وجهه ما ورّاه لحد. (القلب/العقل)
40. يبدأ بالرّاء مُرَّارْ لا يتعدَّى، ويح اللّي جاه و ويح اللّي بات عنده. (الرَّمدْ)
41. علي اسمه بالجيم، جاب القاف معاه، وصله للميم، وراح وخلاّه.(جبريل،القرآن،محمد صلى الله عليه وسلم)
42. عبد الصّمد شاف شُوفَه عقله منها انْخلعْ، عن خمس روس و أربع نفوس و مائة اصبعْ. (الميت وحاملوه الأربع)
43. يمشي و يطبّس. (لقّاط التمر)
44. يمشي و يتلفت. (السارق)
45. تهبط ريشه، يهبط الريش الكلّ. (الإمام و المصلين)
46. هيك هيك، ينقز عليك و يخطف اللقمة من بين يديك. (النّوم)
47. اتْشُوفه و ما تلَبْساشِ، و تلبسه و ما تْشُوفَاشِ. (الكفن)
48. علي بن السلطان رقد ولاّمازال،رقد مع الخادمة العجمية خلى طنيجرة المهوية للريح والندى، زلزل ياجان واسخطهم يا سماء.(الضرة).
49. موت بلا وجيعة، و شبعة بلا تقريعة. (النوم، الحمل)
50. يجرحك و ما يخرجشي منك الدّم. (الكلام البذيء)
51. أنثى شبيها كل شيء فيها. (الأذن)
52. صمتين بين حيطين صبّت المطر. (الكلوة)
53. شجرة الخُمس أغصانها مستقيمة، ثلاثة في الظلّ و اثنين في الشّمس ديما. (الصّلوات الخمس)
54. عن المزَن اللّي طاح في الارض الحرّة، قد ما هبّت ارياح ما غبتله جُرَّهْ. (البقع على وجه الإنسان)
55. عن مرض ما يدّواشي، ونقش ما يغباشي. (الكبر)
56. تتعشى عشاك، و ترقد و هي حذاك. (اليدين)
57. اثنين أخوات، واحدة تروح و الأخرى تبات. (الأظافر/الرجل)
58. جانا ضيف و فرحنا بيه ونشدناه منين جيت، قال: " لا جابني سحاب و لا ضباب و لا على رجلي مشيت ". (المولود)
59. نُوّاره فوق قارة جَتْها لبياضْ ولمعيزْ تجارى. (العروس)
60. ثْوضَّى ما صَّلى و لِبَسْ ما خَلَّى و راحْ ما ولَّى. (الميت)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

61. في كلّ وقت اتَّبعْ فِينا، كِي انتَّبْعُوها تحمينا. (الصلاة)
62. ها وِينَه، ها وينه، ما احمر عِينَه تَحْت اللّبّينة.(الراعي/السارح)
63. اسمه بالحاء، وإذا عانه المعين، يا سعده يطلع باسم، ويترل باسمين. (الحاج)
64. أسود ساكن في عقبة وساكن له سنين، جاه لبيض و سكن مع الساكنين. (الشّيب)
65. أنثى شهيّة نبت الرّيش في عضاها، تطوي الارض طي لا من يقدر يقلب اغطاها. (العين)
66. أم لعزاز والرّيش داير بيها تعطيني كنوز الدنيا و ما انفرّط فيها. (العين)
67. أبيض من الكتّان و ارطب من الدقيق، فوق قرنوعة عالية وما عُرْفُولَه طريق. (الدماغ)
68. اسمه بالطاء واحرْز الطاء عَلاشْ يَفوتْ، اللّي مرض مرضتَيْن، الثالثة فيها يموت. (الطلاق)
69. اسمه بالشّين و العصيان امْشَوِّمْ حاله، المسلم ما هو عمَّه، والكافر ما هو خاله. (الشيطان)
70. أفهم يا فهّام وإذا تَفْهم حديث المعاني عايش 270 يوم، و يتمنّى عمر ثاني.(الجنين)
71. اسمه بالرّاء والرّاء في وَكْرَه، خرج من وكره حرم أكله. (الرّيق)
72. اسمه بالعين، و العين ما تُنقطاشي، كَنُّوه بامَّهْ و ابَّاهْ ما تعرفاشي. (عيسى بن مريم عليه السلام)
73. تبدا بالميم، والميم في قلبك يا محلاها، إذا راحت الميم عمرك ما تنساها. (ماما)
74. جانا ضيف ضيّفناه و جانا من بلاد الظلام، اعطيناه لحمتين بلا عظام. (الجنين)
75. جنينه في الدّار مليانة نُوَّارْ تحيا وتعيش بلا ماء منظرها يسبي لَنْظارْ. (العين)
76. خلّيني يا عمّي في حالي، خو مرات الميت خالي. من الميت ؟ (الميت هو الأب)
77. درس مدروس فيه 32 بركوس. (الفم و الأسنان)
78. زوج حمام فوق راس مقام، الثمرة تتكلّ و اللّحم حرام. (الأثداء)
79. زوج نفوس متضاربات، واحدة تولد بالميّات والأخرى عاقرة للممات. (ذقن المرأة و ذقن الرجل)
80. ستّة يمشوا في الشط، خمسة جُرّتْهُم غَدتْ و واحد جرّته بَقتْ. (الأصابع و القلم)
81. سبعة لا هم من الإنس و لا هم من الجنون، و لا هم من الظهور و لا هم من البطون. (آدم، حواء،
غراب قابيل، ناقة صالح، كبش إسماعيل، و حيّة موسى، البُراق)
82. شجرتنا اتهلّت بثلاثين عرف اندلّت، البيضاء منها حرمت و السّوداء حلّت. (رمضان)
83. شايفَة ما شافت شيْ، و الشَّيْ ما شافهاشي، منعت الشايفة من الشَّيْ، وقعد الشَّيْ في اللّي ما شافاشي. (الأم والجنين)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

84. صيّاد في الارْض إذَا صَيَّدْ يجيب اثنيْن و إذا ما صيَّدْشي يجيب أربعة. (صلاة الجمعة 2 للمحروم 4)
85. صاحبك معاك ديمة مثل المُنقالة، يأمر و ينهى يبيع و يشري، و ما تشوفش خياله. (القلب)
86. طِير لغَّاطْ و لغطته حَنينه، ساكن ما بين الكاف و المدينة. (اللّسان)
87. عبد الصّمد قال يا قابس بعيني شفت النوّار فوق العود اليابس. (القرآن فوق اللوح)
88. عبد الصّمد قال كلمات جابهن بالقريحة مَالكْ: يا صَفْ لبناتْ ما قعدت فيكن مليحة؟. (الأسنان في الكبر)
89. عبد الصّمد حلف يمين - و يمينَهْ ما فيه حناثَهْ - بعيني شُفت بن آدم دخل من باب و خرج من ثلاثة. (الإنسان عند لبس الجبة)
90. عمّتك أخت ابّاك خال ولدها واش يقرب لك ؟ (أبي)
91. كبشنا بشواكله، لا من يقدر ياكله .(رمضان)
92. لبيض في الارض الحرّة، هبّت عليه لارياح ما غبّت له جُرّه. (البرص)
93. مُنقالْ فضّة ومُحراك ذهب و زرع يتكلّم ما اطمَّك عجَب!. (القلم و الكتابة)
94. ميّت و ما تقَبْرشي، حي كان بالنّفس، الماكلة ما ياكلشي، يعرف كان يدِّسْ. (البخيل)
95. نعجتنا الدّرعاء كان رقدت جلالها يغطّيها و كان ثارت لرِضْ تطويها. (العين)
96. هي غريبة و زينها غريب كبرت و ما ذاقت حليب. (حواء)
97. هما اثنين اخوة.و لثنين ملاح. واحد حلواني و واحد قتّال ارواح.(العيدان: الفطر و الأضحى)
98. يا خُويَ يا ولدْ أمّي ياللي ابّاكْ خُو ولدي، فسّر والّا نُوضْ من عندي. (امرأة و ابنتها و رجل و ابنه، تزوّجت الأم الابن و تزوّج الأب البنت، فعندما ينجب كلّ منهما الأولاد يصحّ هذا القول)
99. أوّله بالدّلْ و الدّلْ تَوَقّى شَرَّهْ. تصفار منّه الوجوه، و تركب منه الفَدّه. (الدَّيْنْ على الانسان)
100. زوج اَعْوادْ جَوْ من بلاد بعيدة، لا ياكلو، لا يشربو، و لا اتمرّغوا في مصيدة. (العيدان)
101. خمسة اخوة، أربعة عَطوهم ثلاثة ثلاثة و الخامس عطوه قرعتين وقبل. (الأصابع)
102. نُوّاره فوق قارة جاتها لمعيز تِجّارَى. (العروس)
103. سلطان كبير فيه خمس غيران و نورين و فوق منّه غابة ما تصلحش للجّديان. (الرأس)
104. عالحيّْ نستاهل الكيّْ، و عالكذب نقرض لساني، صاحبي لكواني حيّ نكويه كيما كواني. (صاحب الشر)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

105. لواني ما لويته، لواني جابني تحته، نَعَمَى ما شبحته. (النوم)
106. الزّنينة زنينة كابو، و الورقة ورقة فقوس في اللّيل معزة، وفي النّهار عتروس. (شرطية المرور)
107. عبد الصّمد قال كلمات و اصّنتوا يا فهّامة: واش فيك يدخل النّار و يخرج بلا حرف سلامة؟. (الخيال/ ظل الانسان)
108. عن شي ماهوش محتوم بالسّيف لا هو صلاة لا هو عبادة، إذا مشى يمشي بكّلــه و إذا رجــع يرجع بالزّيادة. (السّلام)
109. أقل من عفسة الفار و أوسع من بحيرة السّبيخة، هذا حجّاي عبد الصّمد ماهوش حجّاي ليهودي الجيفة. (سواد العين)
110. عَلْمِبْنِي اللّي بنيتو بيدي و كادني بنيانو، نْعِدْ السّما ونجومو و ما نْعِدِشْ بِبَانُو. (العِلْمْ)
111. علَى اللّيْ هلال الحيّان حارو فيه النّاس الفاهمين، لا دروه في السّما متخبّــي و لا في الجبــال العاليين. (علي بن أبي طالب)
112. كتر مدسوس ما هوش تحت التراب * بعد 270 يظهر اذا كان غاب. (الجنين)
113. اسمه بالحاء و هن متحاوحات، من فوق ذكر ومن تحت زوج بنات. (الحمل)
114. أنثى شريفة و هي ضنت أولاد حلال * خضت ابّاها صُوبِيًّا وتزوّجها في الحلال. (حواء)
115. راكب شقوطي و كلا الحشيشة المُرَّه *يدحي على داره، امغيَّط ما شبَحْ السّما كــان مــرّة. (الميت)
116. الارض صبّت و السّما روا * القطران اشرَبْ ما لقيناله دوا. (الشّيب)
117. لبْعاد قْرَبُوا و الاثنين وَلّوْ ثلاثة والجماعة تفرقوا. (الشّيخ المسنّ)
118. جانا ضيف ضيّفناه و كتّفناه. (الوليد)
119. علّي تحسّه و ما تحسّه و ايدَكْ منه فاشله * كان دار بيك ما عُدْتْ تعرف الدنيا من الآخرة. (النوم)
120. نانة تحت كويف وتشاور بطريف. (العين)
121. يبدأ بالفاء و اللّي فيه قاف * أشرب القاف و رُدّْ الفاء لَّليهَ. (الفنجان)
122. أسود لملوم في البحريعُوم. (العين)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عالم الحيوان

1. أبيض منّي و أبيض منّك و أبيض من حجرة الدبدابة، اعرف و الا نْحَرِّشْ بابا.(الحليب/ الملح)
2. الانثى شَدّت في لَحْبَالْ وقالت: يا عالي الدّرجات. جابت الانثى و الـذكر و الانثـى غلبـت باللّذات. (الزبدة و اللبن)
3. خششت ايديّ للغارْ، خرجت كمشة نُوّار. (الزبدة)
4. عريان لاحقْ في منتّفْ، وطالبْ منّه النفّيعهْ، يا هل ترى يلحقاشْ، هيا خرّصـلي هـل بيعـهْ. (السلوقي لاحق الغزال أو الأرنب)
5. عبد الصّمد قال: نشوف في وصيفة فوق القطيفة. (الخنفساء)
6. غمزتني غمزة، و همزتني همزة، فزعولها خمسة و جابوها اثنين. (القملة)
7. عبد الصّمد قال كلمات و اصنّتوا يا شواشي، كل شي خالق بشي كان شي خالق بـلا شـي. (الجمل بلا مرارة)
8. أنثى شهيّة و كل الناس تشتهيها في عمرها جابت بنيّة و ليشوفها يبزق عليها.(الكبدة و المرارة)
9. أوّله بالفاء، و ردّ بالك تقول الفاس، الصنّة صنّة يهودي و الطبع طبع فلاّس. (الفار البلدي)
10. عبد الصمد قال حاح. سحّتوا الغنم و احلبوا المراح. (العسل حيث يُطرد النحل لأخذ العسل)
11. طير طيّار و جلاجله تونسيّة محدّر على بير عمّار، ما تلقاله حتى ثنيّة. (الجراد)
12. قالب صابون في الارض مدفون. (الجربوع)
13. نُصْ مراية مدفون في رملاية. (اللّفع)
14. أبيض لمّاع، صوته سمّاع، و ذنيه وقوف، و ذيله معكوف. (الكلب)
15. بهيمنا ساري معبّى بْلِبَارِي. (القنفد)
16. قربتنا الزندَى لا ترشحْ لا تندَى. (البيضة)
17. على طيّب من طيّب و هو اخيار المطايب كان كتبله الله المكاتيب من النّـي يخـرج طايـب. (الحليب)
18. النّار اللّي تقدي بلا ضوء و القلم شاهي اسماها، ترقى و تْهوِّدْ من الجوّ و هي ساكتة في وطاها. (العقرب)
19. عالشَيّْ اللّي السَمِّنَاهْ، والعَشِيَّه بدلنا سماه، و غدوه زِدْنا سَمِّنَاه و سَمِّينَا بنته معـاه. (الحليـب، اللّبن، الزّبدة)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

20. سيف جبته من بعيد ايبانْ ضواه، اتلمّوا الطُّلبة و العزَّامة لا من قد يرده لجواه. (الحليب)
21. دهمّت على قرية نحلفلك باليمين ارجالها يزغرتوا و نساها ساكتين. (الدّيكة)
22. هانْها. وينْها ؟ هانْها هي في نجوع الخليّة لا فيها كبدة و لا ريّة. (الجرادة)
23. ثمانية و ثمانية ولدوا فرد النّهار، ثمانية كبروا، و ثمانية قعدوا اصغار. (أظافر الماعز)
24. ضيف جانا بالتوّحيد في الدنيا عاش يوم واحد. (كبش إسماعيل عليه السّلام)
25. ناقتنا الصّفراء ولدت في حفرة، ولدها ما ينساق، و حليبها ما ينذاق. (العقرب)
26. من البرّا لوح، و من الدّاخل روح. (السّلحفاة)
27. أربع مطارق في بير غارق. (الحُوار فبي بطن أمّه)
28. نكبسك كبسة حديفي مانثورش عنك كلاّ عدت كيفي.(الدجاج و البيض)
29. ستّة من النّاس مشوا ساعيين كان سَعَوْ وَلَّوْ اثنين، و كان ما سَعُوشِ وَلَّوْ ستّة. (بوبزنّة: حشرة صحراوية)
30. ربعة متربعاتْ، راقيات الجبال الواعرات. (البعير بحمله)
31. أسود مايشيب. (الغراب)
32. البير بير واحد، و الجمّة جمّتين. (البيضة)
33. الحيّ جاب الميّت و الميّت جاب الحيّ. (الدجاج و البيض)
34. شجرة للستارْ تنقص من لَجْذارْ لا تِيبَسْ و لا تِخْضارْ. (الصوف)
35. عُرمه حَجَرْ ولَّتْ ذَرْ ما عرفنا لَنْثَى من الذكّر. (البيض و الفراخ)
36. فَرد جفَّال وهرَّاب من كل غاشي، لا هو في السّماء طيَّار، و لاهو في الوطا ماشي. (السّمك)
37. كثير لعيون قليل النظر، رزقه احذاه و هو صايم ما فطر. (شمال النّاقة)
38. اللّحم الدّاخل و العظم البرَّا. (البيضة)
39. مربيّة البَزُّول و مقللة الضّرع هي تَرْضَعْ و ما تترضعْ. (البغلة)
40. مْكَرْكَبْ لا فيه رَاسْ لا عين، الجلد جلد واحد و اللّحم لَحْمينْ. (البيضة)
41. نذبحوها و ما نسلخوهاش، و نسلخوها و ما نذبحوهاش. (الدجاجة و البيضة)
42. يَطلعْ لِلْبِلْ في المَرادس يموت إذا كان مبلول، و يحيّا إذا عاد يابس. (الجرب)
43. أوبيرة في حفيرة. (الأرنب)
44. صندوف باجه مخصوص حاجة. (الجمل بلا مُرَّارة)
45. قصّوها من الجدّار لا تَنتَّن لا تِخْضارْ. (صوف الشاة)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

46. حبرقو بن حبرقو عينيه سود ويبرقو بلا جنحين و يسبقو. (الغزال)
47. هبٌّ الرّيح، ماهي الفضّة ركبت عالذّهب!. (البيضة)
48. صدَّت لرياح لا فيها باب لا مفتاح. (البيضة)
49. اسمه بالفاء وعندك تقول فاس * هو مفسد ويخاف من ترّاس. (الفار)
50. اطْوال لِيلْها و عَسْعَسْ * و ثْفكَّرتْ خَزين خَزينها
واش يخرج اللّهجة من اللّهجة؟! * واش يردّ اللّهجة لضِميرها؟!. (الاجترار عند الشّاة)
51. شاطر في يدّ شاطر وهي شاطره في غناها * كي يهبّ عليها ريح الخواطر تجي خارج من قساها (هدّارة البعير)
52. كنتي بن كنتي * تخرج منّه حيّة تلغط بالتّرك. (هدّارة البعير)
53. ناقتنا حارة حارة، يارجلين الحُمّاره * انْهَدْ عليها ثلب أزرق، جابت عقدين مهَاره. (النّعامة)
54. صَوّاط لَوّاط، جَيّاب اخْبار النِّزالي * يسُوق في سَعْيه بكِرعيه، و رجليه مقلوبة الْتالي. (بوبزنّة: حشرة صحراوية)
55. اسمه بالحاء ماذا قاسَى مسكين * وبعد الممات حيا، وعاد يسمى بالسّين. (الحليب / السّمن)
56. كركب يا كركب ياراس بلا وذنين * الفريسة فريسة واحدة، و الطعمة على اثنين. (البيضة)
57. ڤد مهراس، يعيّط عيطة ترّاس. (الديك)
58. ڤبة ڤبب نُصّها فضّة ونُصّها ذهبْ. (البيضة)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عالم النبات

1. بلادنا الخَضرة سُكّانْها عَبيد، تِتْسكَّرْ بالقُدرة، و تِتْحَلْ بالحديد. (الدّلاعة)
2. أخضر من لعشبْ، وأصفر من الذّهب، وأسود من اللّيل اللّي ضَرب. (البلح، البسر "الرطب"، التمر)
3. عمّتي حرحارة لابسة عشرين قدوارة. (البصلة)
4. صبَيْ بِطْرِيبيشته فيه البلاء في كريشته. (قرن الفلفل)
5. سلك النّحاس في الوُطا غاس. (الجزر)
6. نذبح فيه وكي نْعود في النصّ نبكي. (البصل)
7. أخضر نبات أحمر في يدّ البنات. (الحنّاء / الخضاب)
8. سَعْينا امْولِّد حلاليب حلاليب، واثق مَراتِع دياره * لا يَسْرَح لا ياكله ذيبْ، و لا قُــوم تِــدِّي اخباره. (النّخيل)
9. على ناقتنا السّمينة و النّاس واحلة في اشطاطها * لحمها كلاته المدينة، و النّاس رعت في فلاتهــا. (النخلة)
10. حافِل و مْدَرْبي قطاطيه و راوْيانْ بِبْكَارْ زاهي * بْالسّيف قُطْعُوا رْقَابيه، طايَعْ بْلا قلب شاهي. (العرجون)
11. حُكَّة تحت رُكْبَتِي فيها مالي و مال إخوتي. (الرُّمانة)
12. نجع لْمُرسم حليته واذف منازل دياره * لا يهيج لا ياكلــه ذيــب، لا قــوم تــدِّي خبــاره. (الغوط/غابة النخيل)
13. زُوزْ قصب يصبّن صبّ * واحدة فضّة و الاخرى ذهب. (القمح)
14. أحمر منّي و أحمر منّك و أحمر من قطرة الدّم، اعرف و الاّ اُقْعِدْ ثَّمْ. (الفلفل الأحمر)
15. شَرّْكينا فُوق عليب، مازالت صغيرة و راسها غادي شِيبْ. (الحلفاء)
16. أبيض من الشاش مغسول بين يدين أهل الرباصة، أخضر من الخز مبلول، يصفار كيف النحاسة، يحمار من كثرة الهول، بالشرّع يتقص راسه. (عرجون التمر و مراحل تطوّره)
17. أنثى طريّة سبحان ربّي اللّي نَشاها * ولدت صغير خايب اللّون، ولّى عليها و كلاها. (الفولــة والسُّوسة التي بداخلها)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

18. لالّه أمّ الدّلال، ولدّ لالاها وافي، متحزمة بالشرطان و متخلّلة بالاشافي. (النّخلـــة، العرجـــون، اللّيف، الشوك)
19. أخضر يتعلّـق مدّي ايديّ تعلّـق، لا يفكّني ابّاك لا أمّك. (الحنّة)
20. لا نَيْ لا خاصْه ملح، طُرْفات لأهْل الشَّهاوي. (التّمر)
21. اسمها بالحاء و هي الحاء بجودها * نَبّيني على شجرة تنبت من غير عودها. (الحنّة / الخضاب)
22. شاهية و مشتهيّة و الناس كلّ تشتهيها * و لدّت و لدّ خايب النِيّة ولّى عليها كلاها. (القمح وسوسته)
23. زُوز أخوات متضادات صابغين بالخضورة * واحدة تزّوجت و تهنّت و الاخرى تحطّت عليهـــا البُورة. (الدّلاعة و الحدّجة)
24. فحلنا الدهدوك قطاطيه بالمسك فاحو * في عمره لا زام زومة، لا هز مع نجع راحل. (الذُكّار)
25. عجوزنا الكبيرة ونبت الشيب في عضاها، سنين الجدب و الخصّة ولدّت صغيرة و ولّـــت عـــن منتهاها. (الحلفاء)
26. أنثى شهيّة وفي الملك موجود طنجها، ولَد اسّنّة تْرَضَّعْ فيه و ولَد العام اللّي فات في كرْشـــها. (الحلفاء، و نبتتها)
27. أنثى شعر راسها زين و الحَرّ يَبَّسْ عضاها، و صغيرك اللّي ذبّل العين يُسكُت إذا عَطوه ضناها. (النّخلة والتمر)
28. اسمها بالحاء وافهم يا القاري، في اللّون تبان خضراء و هي حمراء قشاري. (الحنّة / الخضاب)
29. أبيض من الكَتّان مِنّين كان، و اَرْطب من سلْك الحرير في جْوَاهْ، يشرب من راس العين متوســـد ركبةللاّه. (طلعة النخل)
30. خضراء في رباطها، حمراء في نباتها كان كذّبتوني انِشْدوا مُولاتْها. (الحنّة)
31. قالب صّابون في الْوِطا مدفون. (البطاطا)
32. يشرب وما ياكل الطعام، مافقص من بيضة و ما ولداته ارْحام. (النّبات)
33. أخضر من الجْنان و أبيض من الكَتّان.(أوراق اللفت و راسه)
34. في الارض مْفَرْشَه وفي السّماء مْكَرْشَه. (العنبة)
35. خَزّ خَزّ حُكّه مْعَبّيه بالخَرَزْ. (الرُّمانة)
36. فْرِيخَة مْحَذْقَه فِيمْها مْعَلْقَه من ذْوِيلْها. (الرُّمانة)
37. حاجَة تَبْدا بالفاء و عندك تقول فُلْ، لابْسَة مظلّة و واقفه عالرْجِل. (الفُقّاعه: الفطر)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

38. كبشنا لدْرَع عمره ما صَيَّح في غنم، قبل العصر حلال و بعد العصر حْرِم. (العنب)
39. عروقها في الماء و راسها في السّماء. (النّخلة)
40. أنثى منقّشه على الارض مفرّشة * و لدها سلطان و ولد ولدها شيطان. (العنبة)
41. عمّي دحدوح كَرشَه مليانة فروخ. (اليقطينة / الكابوية)
42. وصِّيف معَلقْ من سُرّْته. (الزّيتون الأسود)
43. بَقْرِتْنا السَّوداء ذبحناها في الجبل العالي * الدّم شربناه و اللّحم طيشناه. (الزيتون و زيته)
44. هيّ هيّ دايره اِلْقاطْ و رِيحيه، من بسكرة جبناها هدية. (الكَاوْكَاوْ / الفول السوداني)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عالم الجماد

1. زوز خدَمْ يَتْنادبن، و مَايْصِيرِشْ الدَّم. (القرداشة)
2. قدْالفولة تَمْلا الدَّار. (ضو الشمعة)
3. صْبَيْ مْجينين يكَرْكِرْ في مْصيرين. (الإبرة و الخيط)
4. غنمنا الكثيرة، العدَّان مانْعُدوها، و كان غدَت شْويهة نفقدوها. (خيوط المنسج)
5. بَغَلتْنا الحمراء، رْوَاقْها خيط، ما تجيب الثمرة كان بالتزعبيط. (الشكوة)
6. انقولِلْكُم عن كلامي اللِّي جبْتَه عاجل، أربع إناث و ذكّرين يَسَّمو فرد راجل. (الكِتَبْ)
7. اثنين خارجين من الماء متْضادين ارْداعي، واحد نزهة الدّنيا و الحال بعده بْضَاعي، والآخر مساكنه الظَّلْمة، يجرح بلا قلب واعي. (ملحا الطعام و البارود)
8. جَمَلْنا بارِكْ و وليداته حذاه. (السخّان و الكيسان)
9. أوّلها بالسّين، لا هي سلسلة، لا هي سكّين، لا هي ساقية تجري بماها تحكم بحكم السلاطين، النّاس الكلّ تمشي برضاها. (الساعة)
10. أبيض عَلام، بكوش و يرُدْ السّلام. (الرسالة / الجواب)
11. قدّه قدّ لِبْرَه، و لِبْرَه هي قياسه، النّاس تُهْرِب من الشّر و هو حامْله فوق راسه.(عود الكبريت)
12. اثنين شادّينه، و ثلاثة شاهدين عليه، و النّار شاعلة فيه. (السيجارة)
13. شايب عْبّوكي، ديمه متَّكي، و بْنَيّاتَه في لَبْرور سايْبَات. (الجبل الذي تصنع منه صخرة الرحى)
14. دارنا الدَّمْسَه تْرقّد خمسه. (الحذاء)
15. يمشي بالجُرّة و ما يمشي بالأقْدام، لا هو ذيله التّالي و لا راسه القْدام. (الوادي الجاري)
16. عبد الصّمد قال كلمات و اصّفَروا يا شْهودي الانثى شريفة و الذكر يهودي.(الجمعة والسبت)
17. بقرتين و ثور في مَرْقَبْ عالي:نَبَشْ الثور، شَرْبَنْ البقرات، و رجع الثور التّالي. (الموس و المغايث)
18. عبد الصّمد قال كلمات و اصَّنْتُوا ياحْزُوني بْعيني شُفِتْ الماء في مَعْدَرْ الدَّم، و كان كذبت احرقوني. (القربة المربوطة من عنقها)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

19. الزّمَلْ جايْ من شرڤ و في يدّه مفتاح السّريرة عطي الارض عَزْڤاتْ و خلّـــى الثِنِيَـــة مريـــره. (طلوع الفجر)
20. عن ملّي حطّوه ترّاس و ترّاس ولّى ظبيبّه نفخله الله في عمره ولّى ولد كيف زيّه.(الهلال-القمر-الهلال)
21. عبد الصّمد ڤال كلمات و حَلَفْ يَمِينْ ويَمِينَه ما فيه حْنَاتَه، هو صغير سَمُّوه ذَكَرْ و كِي كْبِـــرْ سَمُّوه أنثى. (الهلال / القمرة)
22. طويله طويله بلا ظلّ. (الثَنيَّة ، الطريق)
23. أنثى شهيَّه سبحان ربي اللِّي انشاها، منعت عن خيل سبڤ، بوڤرين هو اللِّي خضاها. (المنجل/النّخلة)
24. خَلِّيتْ طـَبَـڤْ صِيشْ فوڤ العِشَّه، نُضتْ الصَبْحَه لقيت صِيشَه وَحْدَة. (نجمة الصبح)
25. حُرّْ بن حُرّْ و عَطوه خادم هجينه، زادوه شْوَيْ من المُّرْ ولّى من غِيرْ دينه. (البَخنُوڤ)
26. من البعد يبان زما هيز و من القُرْ بْ مَسْمَحْ انْصَابَهْ مْخَلّطَه ضان و مْعيز رجليها عودان غابـــة. (الخيمة)
27. زوز فردات بِلاليْ وهن مايُصُلْحِنْشي يحَوْسِنْ في لِبْلادات يفَرْڤِنْ ما يَجَمْعَنْشي. (الجلم)
28. صاحبي صاحبته مات لي دفنته جتّْ الحيّة تِرْبِشْ خرج فيها مِتْكَعْبِشْ. (المنداف / الفخ)
29. شايب كبير شينه حرڤيفَه جاته زِينَة الصِّيفَه صَبَحْ عنها مَتْكَمِشْ. (الفخ / المنداف)
30. شَهْلول بَهْلول في يَدِّين طُفْلَه صغيره تُضُرْبَه بين كفِّين اتْجي دموعه ڤطيرة. (الغربال)
31. سَنطح مَنطح في كل بلاد يَنطح. (الدورو)
32. بعِيرْنا بارِك و ذِرْوتَه اتْعارِك. (الرَّحى)
33. اثْنين وُڤوفْ و واحد يُطْلُبْ في المَعْروفْ. (الخُطَّارَه)
34. وصيفة و وصيف مِتْحَزْمينْ بالسِّيفْ. (القدِرْ و الكَسْكَاسْ)
35. يطبخ وما يطيب. (الماء)
36. بْهيمَه ما تَمْشيش و كانون ما يَڤْديش وڤمرة ما تَضْويش و واد ما يَجْريش. (لبهيمة، كوينين، ڤمار، الوادي)
37. أربع دَحادِح، ميره وصالح، عود الزّبلَّح مطَنِّشْ كراعه. (المغرف)
38. هِيّه ماي هِيّه، هِيّه بنت حصان، تَڤْلي في المِڤْلِيّه و تڤلز في الدهان. (العُكَّه، الدّهان)
39. يدز في الخير بصدره لا يذوڤه لا يستنفع بيه. (الطبق)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

40. كَلْبِتْنا هَابَه هَابَه تَنْبح في الغابة. (الرفش)
41. جَمَلْنا يا هَدَّارْ يا لَقَّاطْ غْبَارْ الدَّارْ، يا لْسَانَه تحت خُفَّه يا عينين النّاس فيه. (هلال رمضان)
42. هايلة مايلة وفيها ثلاثين قايْمه. (الشهر)
43. سْطيل مِي معلق في السِّمي. (المطر)
44. ناقِتْنا الرَّغّايه من بعيد تسمع رْغَاهَا. (الرَّحَى)
45. الضُّبابْ لِمْضَبِبْ و السُّواقي جَرَتْ والمطر ماصَبَّتْ و لِقْرِبْ تْمِلَتْ. (القطران)
46. عبد الصّمد بلا لسان و يعطي حقوق النّاس. (الميزان)
47. زوز اخوة قْرابْ لا يرَبُّوا لا ياكلو حرام. (الميزان)
48. بيتنا الكَبيرة و غنمنا النَشيرة و فَرَحْنا الدَوّايْ و مِصْباحْنا الضَوّايْ. (السّماء، النّجـــوم، الرّعـــد، الشّمس)
49. عبد الصّمد قال كلمات، و اصَنَّتُوا يا شْهُودي بْعِيني رِيتْ الماء في مَسْكَنْ الدَّم باتْ و إذا كذبت قُصّوا زْنوُدِي. (القرْبَة)
50. اسمه بالكاف، و الكَتَّانْ يلمَّهْ، راسَهْ في السّماء و عينيه في بطن أمّه. (الكسكاس)
51. يُخْرِجْ من كَرِشْ أمّه و يحُكْ ظهر ابَّاه تَرْجَعْلَه ما تلقاه. (عود الكبريت)
52. اسمه بالصّاد بَالكْ تْقُولْ الصّيد، جيّد من الاجواد، و ين يحاربوه يزيد. (الصّابون)
53. من بعيد اتْشُوفَه عامِل مْرِيرَة أَخَفّْ من رَمْشة العين أَبْشَعْ من الثقيلة. (الكهرباء)
54. راسه قُبّة جامع و سَلْعُومَهْ سَلْعُوْم جمل. (الإبريق)
55. يلدغ بلا دَمْ، و في ضربته يكون كافي، كسَّار في حجرة الفمّ، في مشيته وافي. (الكهرباء)
56. شَيْ بْروقْ بلا عْروقْ. (اللُّوسْ)
57. كبشين في مَعْلَفْ واحد، واحد سمين و الاخر ضعيف. (المنسج)
58. أنثى حُرَّه و الضّرب فيها اكْثَرْ، يخيّروه بخياره أنثى ولا ذكر. (التافزة / الجبس)
59. زوز بنات مْتَاوْمَاتْ واحدة تَطْلَعْ و الاخرى تْبَاتْ. (الشمس و القمر)
60. ذَكَرْ في راس الذكور و الجناح بجناحاته، و ما يطير كي الطيور. (البرنوس)
61. تَرَّاسْنَا القارح عاش مدة من الزمان في العام يتغطى مرة وباقيها عريان. (جبل عرفة)
62. صغيرة ما تكبر وكبيرة ما تصغر و تتكسّر ما تتجبّر. (الحجرة)
63. عقرب حمراء قاسَتْ بَدْرَة السَّماء طلع إبراهيم. (النّار و البُرْمَة و الكسكاس)
64. جاي بقرونَه عاش بلا قرون مات بقرونه. (الهلال)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

65. زوز كْبَاشْ واحد أبيض و واحد أَحَمّْ، واحد يفرّق و واحد يلمْ. (اللّيل و النهار)
66. بهيمْنا جيفَه مْعَلَقْ من كْتيفَه. (الباب)
67. أسود قُطْنَه شَاحِدْ بطنه كان رْقَدْ لا فُطْنَه و كان ثارْ يخلي وطنه. (الْمِنْجِلْ)
68. 100 دار بَحَدّْها جاء خيط ذَرعْها يلمّها من عْقَابْها. (السبْحَه)
69. عَلّي بَطّوه ستّة بَطّات ما سالت نُقْطَه دم طيشوه قالوا مات كَلّموه قال نعم. (الناي)
70. طيرْ و ماهو طيرْ وبِجْناحاتَهْ، بَابَا شيخ كبير دَاسْ تحته وليداته. (البَرْنوسْ)
71. شَايِبْنا القعقاعْ واقِفْ عن كْراعْ. (الباب)
72. ناقِتْنا الشَقْراء هازَّه حِملْ بْلا عْراءْ. (الدار)
73. طويل و عايِبْ، يضرب ضربة المصايب. (السيف)
74. غرسنا المغروس أَخَفْ من البرق ليلة الدَموسْ. (الفخ أو المِنْدافْ)
75. خبزة باردة و خبزة حامية. (القمر / الشمس)
76. يطير بْلا جِنْحينْ و ياكل اللّحم بلا سِنِّينْ. (الزربوط أو الرصاصة)
77. دارْنا ثلاث أرباعْ الحديث بالفم و الماكلة بالاصْباعْ. (السبحة)
78. زوز وُخَيَّاتْ هَزَّنْ الصُّوتْ عن خُوهِنْ مات قلْبَنَّه حيّ. (القَرْداشَة)
79. تحفظ الوصيّة تمشي بالدَّزانْ عمياء زَحَّافَة تتكلم بْلا لْسَّانْ. (الرِّسَالة)
80. علّي فَمْها في كَرِشْها و جلدها مِتْكَمّشْ * المَضْغانْ تمضغ و الصَرْطانْ ماتمَّشْ. (القَرْداشَة)
81. عشرة بِيضْ روسْهُمْ وعشرة بيض خلاصْ * و ثمانية بْسَرَاوِيلْهُمْ و اثنين سُودْ دْمَاسْ. (ليالي القمر)
82. كِي يعُودْ حَيّْ يَخْدِمْ لِرُوحَهْ وكِي يمُوتْ يَخْدِمْ للنَّاس. (القِرْبَة)
83. أربعة كْحُولَه هازين حديد نوع فولة. (السّيارة)
84. أسود سْوَيِّدْ فوق راس عْوَيِّدْ، جيتْ الآغيهْ طَاحُو حْوَاليه. (الكبريت)
85. سلسلة فيها جدّك و خُوك وسلطان الملوك. (الجَبَّانَة أو المقبرة)
86. شْرِيكتْنَا مَبْهَاهَا، سْمِيحَة لا من ذَمّْهَا، دَارُوهَا في الرَّسُونْ وسَدَّو فمها. (الفِليكَة أو القرط)
87. أسود طِليسْ لا فيه عظم لا ريش. (القطران)
88. يَمْشِي بْلا رَاسْ، و يَحْفرْ بْلا فَاسْ، و يقتل بْلا رصاص. (الماء)
89. اسمه فيه الحاء و بَالِكْ تْقُولْ الحوت، خالق من الماء وكانْ دخل الماء يموت. (الملح)
90. صيّاد لا يمشي و لا يجري جاب اصْيَادْتُو و جاء. (الكُلاّبْ)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

91. عمّتي النَّانَه مِنِينْ كانت و كان زْمَانْهَا، بْفَمْها و اسنانها، بْكَرِشْهَا و مُصْرَانْهَا، و تَوْ فمها بْلا أسنان، وكَرشْهَا بْلا مُصْرَانْ. (القرْبَة)
92. عَلِّي في دِعغْ مَنْفُودْ بِالوُدَغْ، نَفْدُوهْ نَفدْ صحيح، و تحف ثقل فوق لنهاد إذا انْقَطَعْ يطيح. (السرج)
93. اسمه بالحاء و الحاء لايق بيه ، يفرح بالضّيف اللّي جاء و من بعد ما يجي يْوَلِي يُطْلُبْ فيه. (الحانوت)
94. اسمها بالخاء و الخاء مْتَزَحْزِحَه المَاكْله فيها و المَضَغْ و البَلَعْ لا. (لعبة الخربقة " لعبة شعبية ")
95. أَصْفَحْ صْفِيحْ مْسَمَّرْ مِليحْ، لا هو في الوُطَا و لا هو في السّماء مْعَلَقْ يطيح. (البابور)
96. أربع سلاطين متقادرين يدخل واحد يخرجوا الاخرين. (الفصول الأربعة)
97. أربع قصب يصبّن صب، واحدة فضّة، واحدة ذهب، واحدة سخط، و واحدة عجب. (الشمس، القمر، الشتاء، الصيف)
98. ثلاثة و ثلاثة في الحال مشبوهين، ثلاثة وِلْدُو ثلاثة، وثلاثة خُرْجُوا حِيَلْ. (الشين والسّين)
99. ثلاثة أخوة: واحد ياكل ما يشبع، و واحد يَسْرَحْ ما يرجع، و لاخَرْ يُرْقد مَا يْنُوضْ. (النّار، الدّخان و الرماد)
100. جماعة في حانوت، اللّي يُخْرُجْ منهم يموت. (أعواد الكبريت)
101. جُرْتَه في الشَّطْ وفي الشَّطْ جُرْتَه بايْنَه، و ما تِتْنَحْ جُرْتَه من الشَّطْ ديمَه تبقى بايْنَه. (القلم)
102. جَمَلْنَا المعقولْ ثارْ واطلق اعْقَالَهْ، دَهَّمْ على حَرَثْنَا المَبْلُولْ ما خَلاشْ احْثَالَه. (شفرة الحلاقة)
103. جارْيَه إِذَا عُطْشَتْ عاشَتْ وعاشْ جَنِينْها، وإِذَا شَرِبَتْ ماتت ومات جَنِينْها. (السفينة)
104. جنينة في الدَّارْ، مَلْيانَه نُوَّارْ وتعيش بْلا ماء، منظرها يَسْبِي لَنْظَارْ. (الزَرْيبه)
105. جاوب جواب: لْقِيتْ عشرة حيِّينْ يُرْقص من بينهم ميّت. (الأصابع و المغزل)
106. دارْنا لْمَدَوْرَه، من الدّاخل مْنَوْرَه، فيها قَدُورْ يَشْطَحْ ويدور. (المُنَبِّهْ)
107. دارْنا اللّم و مِفْتَاحْها في يدّ رايِسْ * في اللّيل تِتْلَّمْ و في النهار تَغْدِي غَطَايِسْ. (النجوم)
108. ادّاه في كرش جدّاه و ما جت ادّاه غير لقت الزمان ادّاه.(عود الكبريت)
109. الرَّبيع مْرَبَّعْ و النُوَّارْ مْوَاتيهْ الرَّاجِلْ يمشي و المراه اتّبّع فيه. (الذَّبالْ و الخْلالَه)
110. رِقِيقَةْ الجسم رِقِيقَةْ الجَنبْ حَفِيرْهَا في الرَاسْ و عينها في الذَنَبْ. (الإبرة)
111. زوز عَجَايِبْ مْغَرَّبَاتْ ما عَرَفْنَالْهُمْ جُرَّه و لا نبات. (الشمس و القمر)
112. السّحاب و الضباب يغَيِّبهْ، و الشمس و القمر يحْييهْ. (الظلّ)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

113. سلسلة من سلسلة تَقْطَعْ الجبال بسلسلة، فيها خوك وبوك وفيها النّاس اللّي يَعْرفوكْ. (القطار)

114. ظهره عَنِزْ و كرشه نَعْجَه، ويُصْلَحْ لِلْمِدَسْ، اعرف و الاّ تتْحبِسْ.(العَفَّانْ)

115. عبد الصّمد قال كلمات: اصَنْتُوا يا شْهُودِي بعيني شُفِتْ ستّة بنات في كرش بنت اليهـــودي. (البندقية/ الستاتي)

116. عبد الصّمد قال كلمات: بِيَدَّهْ يِلمّها طاح الجمل على البِكْراتْ عددّت لِحْوارَه في كرش أمّهـــا. (البندقية و طريقة عملها)

117. عالية و متعلّية و لِيهَا في العَلا مكان، في الْحَمُو تَتقّى و في الشّتاء تْبَانْ. (نجمة المِرْزِمْ)

118. عندي بْنَيَّه تضحك و عاجْبْتْها رْوِيحْتْها حتَّى السلطان يلبس عِيفِتْها. (ماكنة الخياطة)

119. غُرُدْ شَهْلُولْ بَهْلُولْ رَقّايْ رُوسْ الْعَوَامِي كان دَهَّمْ على زَرَعْ مَبْلُولْ ما يخلّي فيه حتى امـــالي. (شفرة الحلاقة)

120. فيه الرّاس و ما فيه الوجه وفيه الظّهر و ما فيه الكرش و فيه الجنحين و ما يطيرش.(البرنوس)

121. قاعد متربّع و النّاس تروح لِيهْ لا ياكل لا يشرب و الناس اتثيق فيه.(الميزان)

122. قصعة خَرَزْ ما تتَهزْ.(الأرض)

123. كلينا لحمها و كدّدنا عظمها و باتت تخدم عن أهلها.(القربة)

124. كرشه جلود وظهره عود و راسه في جهنّم ممدود.(الكير)

125. كبيرهم في جماعة احتلْ و سط القاعةْ طعامهم لغيرهم و حظهم مجاعَةْ.(الإبريق و الكيسان)

126. لاحقة القوافز وهي بلا حوافز.(البندقية)

127. لا فيها لا فم لا معدة لا ضلوع مع المغرب تشبع و مع العشاء تجوع.(القصعة)

128. المناصب ماء و القدرة خشب و اللحم فيها يتكلم يا عاجب العجب!.(البابور)

129. متكبر تكبير و قاعد قعيدة السلاطين جاته السوسة في جنبه خلـــت قلبه عريـــان.(الـــصندوق و المفتاح)

130. مرسول من عند الرب، لا عنده لا أم لا أب يفك الفلاح و الراعي من الغلب.(المطر)

131. نجعنا الطميم يرحل و يقيم لا جرّه و لا أثر قديم.(البابور)

132. نعجتنا الصغيّرة خرجت من البيت مطيّرة(الخرطوشة)

133. هايمة ومتلايمة اللي فيها فاطر و هي صايمة.(الخيمة)

134. ولد قبل اباه في الارض غمه كي ولد اباه خرج من فمه.(الماء و البئر)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

135. يحيا و يموت و ما تقولش الحوت إذا دخل الماء يموت و يخرج معاك حي ممسوك.(الظل)
136. يبكي بلا عين ويمشي بلا رجلين ويطير بلا جنحين لا انف فيه و لا وذنين.(السحاب)
137. يمشي بلا راس و يحفر بلا فاس.(الماء)
138. يمشي بلا راس و يحفر بلا فاس و يدفن جرّته.(المخيط)
139. لالّه الظريفة و ما اظرف حالتها كل الناس تلبس عيفتها.(الإبرة)
140. كوز من كركوز في الوطى مغروز.(البئر)
141. نحكيلك على ضلعة الضلوع لاتنتن لا تجوع لا ترحل مع النجوع.(الغرفة)
142. عبد الصمد قال كلمات و اصنتوا ياغواشي،قد الولد قد اباه سماه و ما نساشي.(الظل)
143. ناقتنا باركة تتكلم بالتخميم النواجع راحلة و السلطان مقيم.(السبحة)
144. هايشة فيها فمين و 12 عين.(خشبة المنسج)
145. حوشنا الجديد و تعلمنا بنيانه اتعد النجوم و ما تعدش بيبانه.(الغربال)
146. علّلي ماضي نابه عطيناه المراه ولى عن انسابه.(الفاس)
147. شايب كلوكمان من قديم الزمان في العام يتغطى مرة و باقيها عريان.(جبل عرفة)
148. الزقيطي و النعيطي و الجحشة و الدابة، حط الزقيطي على النعيطي جت الجحشة هاربة.(البارود)
149. شبلي الازرق بوهدارة مثقل بالحمل معبّيه، داير ثلاثة بكارى قدامه ديمة راهن يتبعن فيه، حامي يكريط في نيبانه لا من يقد يقرب ليه، داروا عنه نسي و رجاله قالوا يوصفوه الفهّامة، بالعربية نورد ليه.(قدر اللحم)
150. شايب أعور يمشي يتكعور.(المخيط)
151. تشوفه وما تسمعاشي و تسمعه و ما تشوفاشي.(البرق و الرعد)
152. انت فيه و ماكش فيه و ما تقدش تدخل فيه.(المرآة)
153. يا ماذا جريت في الأرض و طويت العود اللّي سقيته به اتكويت.(الماء)
154. ناقتنا البيضاء هازة حمل بلا عرى. (حوزة التمر)
155. علّلي اسمه بالفاء و بالاك تقول فوت، الذكر مفحج على الانثى خايف عنها اتموت.(الفنار)
156. عالانثى ذلالا صفرا زلالا الميت خذاها صبية و الحي خذاها هجالة.(البلغة)
157. ستة في الملك لاجو، ثلاثة اتسقموا و ثلاثة تعوجوا.(النجوم الثلاثية)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

158. واحد و عشرين بالفرد، و خلقهم الله وكانوا. سبعة غابوا و اربعطاش بانوا.(السموات و الأرضين)
159. شايب متكبر و ساس الكبر فيه يكنوه بالانثى و الانثى خاطيه.(جامع الزيتونة)
160. أنثى شهية و عند الله اتعز، تدخل عالمريض بإذن الله يفز.(المطر)
161. الطير اللي طار و خلف ستة صغار. كل طير مقرم من فمه حول العام بش يرضع أمه.(الأعياد)
162. سلطان يحكم في حكم اللياش عنده ميات ولد وكل ولد عنده سطاش.(الميزان)
163. عن المدينة و المدينة لا فيها الاكل و فيها الموت و الشرب لا.(لعبة الخربقه:لعبة شعبية)
164. هدوكة و هدوك متربيين في فرد قفص. الهدوكة تتكلم و الهدوك يرد النفس.(الكلاب)
165. ذكر مذكور فراق الذكور فيه الجنحين و ما فيهش ريش الطيور.(البرنوس)
166. زوج معيز مربوطين في رسوة واحدة.(المقص)
167. شايب في ركيكينه ياكل في مصيرينه.(الشمعة)
168. طويل بلا ظلة قصير بلا غلة.(الطريق)
169. بير فوق بير وكل بير بمغطاه.(القصبة)
170. جبناه من عند النجار و ظهره من عند الجزارحطوه في التاڤ طار.(البندير)
171. كاشة حاكمة كاشة. ڤالت والله ما نسيب كاشة حتى تجيبلي كاشة من أرض الكشواشة.(السلسة)
172. الآخر قال به بابا علاه رافد قوس.قاله اتكسر و تشريه بالفلوس.(العكاز)
173. زوز أخوات متضادات واحدة عاڤر و واحدة تجيب البنات.(الشمس و القمر)
174. جدي النوشة معلڤ من خنشوشة.(المغزل)
175. سلطان شيخ السلاطين و السلاطين الكل وزراء.(الماء)
176. ظهرها عود و كرشها جلود و هي تشبه القنفود.(القرداشة)
177. المطر ما صبت و البحر ما فيه و ربي ما خلقني و نايا ما عبدته.(الماء)
178. حامل و محمول نصها ناشف و نصها مبلول.(السفينة)
179. رجليه في الطين، يسبق الطايرين يشرب في قهوة في فناجين فارغين.(عمود الهاتف)
180. عمتي النقنوڤه طبست على الماء و الله ما تذوڤه.(الخطارة)
181. ثلاثة وڤوف و الرابعة حنكها منفوخ.(الحمارة والقربة)
182. طير طيار في السماء غيار جناحاته حديد و ڤلبه نار(المڤرون)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عوالم مشتركة

1. ثلاثة يزيدن في ثلاثة و ثلاثة ينقّصن من ثلاثة:
   - ثلاثة يزيدن في ثلاثة: الحنة تزيد في يدّ العروس، و الززّة تزيد في البركوس، والسدريّة تزيد في البرنوس.
   - ثلاثة ينقّصن من ثلاثة: اللّسان ينقّص من الحُرْمة، و المَغْرف ينقّص من البُرْمة، و الرُّبعي ينقّص من العُرْمة.
2. أنثى عنقنق متخبلة في سماها، هي تعيّط عالرّب، و بوقرين هو اللّي خضاها. (النّخلة و المنجل)
3. ناقتنا الزّرقه كلّ البّلاد تدّي منها ورقه. (الموت)
4. كانك قاري و فهّام تقرأ حروف السّين. نبّيني عن شيء ميّت بين الحيّين. بين القاعد و الماشي. (السرج بين الراكب و الحصان)
5. لبيض يدرس، و لحمر يكنس، والساقيه تدّي، و البحر يحبس.(الأسنان، اللّسان، البلعوم، المعدّة)
6. حاجاتكم يا ما جاتكم عن شجرة اللّي باللّي، تنجاب يوم لِمْفاخِر، هي ميّتة و تحتها حي وفوق منها حي آخر. (الجحفة: الهودج، و الجمل، و العروس)
7. شجرة رقيتها، و قصّيتها، و غليتها في مقالي زيتها، و داويت بها الهم و مات. (القطران: دواء جرب الإبل)
8. ثلاثة وقوف و الرّابع معلّق و الخامس يشوف. (الحُمّارة، الشكوة، و المرأة)
9. أبيض رفروف يشرب في شراب الخروف. (الصّوف و الجبس)
10. أرض من خشب و زرعها من ذهب و محراثها من قصب. (اللوح، و القرآن الكريم، والقلم)
11. منسج بلا قيام، خضراء بلا وشام، سابقه بلا لجام. (منسج العرّاقيّة، الدّلاعة، الغزال)
12. ناقتنا الحامل جُوها الجْمَال الهايْجين،هي صُبْحَت حايِل وهم صُبْحوا حامْلين.(القصعة والأكلة)
13. يُطْبَخْ ما يطيب، يَكْبَرْ ما يشيب، يِتْعَوَجْ ما يعيب. (الماء، الغُراب، الحنش)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

14. طاحت نُقطة من السماء، حاروا فيها العلماء، ما لقولها حتى دواء. (الموت)
15. ما هو ليها و ما هي ليه، هو يمشي و هي اتَّبَعْ فيه. (الحمار و العربة)
16. وصيف مْرَكِّبْ للاّه. (الطاوة و خبزة الكسرة)
17. يحطها خضراء تمرڤ يابسة.(الخبزة في الطاجين)
18. دارنا الدمسة هازينها خمسة لاحوها في مركب راحت تتكركب.(اللقمة باليد)
19. متفرشة بالهم، ومتغطية بالهم، والهم اللي جاها أطم وأطم.(خبزة الملة).

الملحـــــــق رقم: 02
تعريفات موجزة برواة ألغاز المدونة

1) - من مدينة الوادي:

الشيخ مصطفى بن الصادق بن محمّد الصالح بن سيدي سالم العايب، ويكنى بسيدي مصطفى وهو أحد شيوخ الزاوية العزوزية الرحمانية (زاوية سيدي سالم) ولد خلال عام 1914 بالزاويـــة الـــساليّة بحـــي الأعشاش وسط مدينة الوادي. بدأ طلب العلم من الزاوية فحفظ القرآن الكريم في سنّ مبكّرة على يـــد أعمامه واشتغل معلّما للقرآن بالزاوية المذكورة. كما عمل بالتجارة مع أخيه مابين بـــسكرة وخنـــشلة خلال عام 1937 ثمّ تركها. عُرف بالتدوين والنّسخ لمؤلفات العلماء ... كان يقيّد كـــل الحـــوادث والأخبار من ولادات ووفيّات، حكم وأمثال. وأحداث ثقافية وسياسية، ومعلومات اقتصادية ومظـــاهر اجتماعية، ومسائل دينية توفيّ يوم الثلاثاء 20 أوت 1996 . ودفن في ضريح جـــدّه ســـيدي ســـالم بالزاوية [1] .

2) - من ڤمار: [2]

الجدّة الكريمة لعج حليمة. ولدت خلال عام 1907 بڤمار وهي من عرش أولاد هويمل (أولاد عبد الله)

3) - من البياضة: [3]

- السيد الهاشمي بن عمر (عمّ الباحث). ولد بالبياضة سنة 1950 ينتمـــي إلى عـــرش المـــصاعبة، ذو مستوى تعليمي متوسط. ويعمل حالياً بحاسي مسعود.

---

[1] نقلا عن: الدّر المصفى من تقاييد الشيخ سالمي مصطفى – ترتيب وتصنيف وتعليق الأستاذ علي غنابزية، ص- ص3، 4، 5 (مخطوط) .

[2] دائرة تقع شمال مدينة الوادي. تبعد عنها بحوالي 15 كلم وتُعَدُّ – مع الوادي -من أقدم مناطق سوف وأهمها (ينظر نجاح ص 32، و voisin ، ص149) .

[3] دائرة تبعد عن مدينة الوادي بمسافة 6 كلم من جهة الجنوب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- الأمّ الكريمة: مبروكة بن عمر (عمَّة الباحث) ولدت بالبياضة خلال 1932 من عرش المصاعبة، أميّة وزوجها المرحوم (محمّد العايب) أحد رواة الشعر الشعبي ومبدعيه بالبياضة .

- الجدة الكريمة: فاطمة بوعزيز. ولدت بوادي العلندة خلال 1926 من عـــرش المـــصاعبة، لاتـــزال ذاكرتها تحتفظ ببعض الحكايات والألغاز الشعبية.

4) - من النخلة: [1]

- السيد: محمود فرجاني وُلد بالخبنة (حي في النخلة). في 05 مارس 1949

المستوى الدراسي: الشهادة الإبتدائيّة سنة 1973 .

المهنة: بناء وفلاح ،من عرش أولاد أحمد

- الجدّ الكريم: محمّد قطرون ولد بالنخلة خلال عام 1910 من عرش المصاعبة

5) - من وادي العلندة: [2]

- الجدة الكريمة خضراء فريجات. ولدت بوادي العلندة. وهي الآن في العقد السابع من عمرها تنتمـــي إلى عرش الأعشاش زوجها المرحوم: البشير بن بكار بن عمر (عمّ الوالد الكريم) كان معروفـــاً بحفـــظ الألغاز الشعبية وروايتها، وتحدّي أهل بلدته بفكّ رموزها لمدّة قد تبلغ الأسبوع أحيانـــاً كمـــا روت لي ذلك الجدّة الكريمة خضراء.

- السيّد: إبراهيم بن البشير بن عمر: وهو الابن الأكبر للشيخ المرحوم؛ البشير بن بكار المذكور آنفاً ولد بوادي العلندة خلال عام 1928 . عمل بفرنسا سنين عديدة. وهو الآن متقاعد.

6) - من سحبان: [3]

- السيد الكريم: عبد الرزاق صحراوي. ولد خلال 1939 بسحبان.

عرش: الأعشاش (فرقة أولاد أحمد). ببلدية اميه ونسة .

الأم الكريمة:مسعودة بوغزالة ولدت خلال 1942. عرش:الأعشاش(فرقة أولاد أحمد).ببلدية اميه ونسة.

7) - من الزقم: [4]

---

[1] بلدية تبعد عن مدينة الوادي بمسافة 12كلم من جهة الجنوب

[2] بلدية تبعد عن مدينة الوادي بمسافة 20 كلم من جهة الغرب.

[3] قرية تبعد عن مدينة الوادي بحوالي 30 كلم من الجهة الغربية الجنوبية، يذكر العوامر أنَّها من أقدم قرى سوف التي سكنت قبل الفتح الإسلامي. ينظر العوامر: ص: 113.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ- السيّد الكريم: علي سعداني.العمر: 54 سنة، عرش: أولاد سعود. بلدية حساني عبد الكريم.
ب- الجدّة الكريمة: خطرة بيّة. العمر: خلال 1925 .عرش: أولاد سعود بلدية حساني عبد الكريم.

الملحـــــق رقم: 03
معجم المفردات والتراكيب

- شرح معاني بعض المفردات والتراكيب الواردة في مدوّنة الألغاز وفق الترتيب المعتمد في التصنيف -

المفردة أو التركيب	المعنى	الموقع في المدونة
حُكّة	علبة مستديرة	عالم الإنسان: (1)
يستنّوا	ينتظرون	نفسه: (5)
سنّدوا	صاروا كخشب مسنّدة	نفسه: (7)
فنّدوا	يبسوا	نفسه: (7)
واحلة	متورطة في الوحل	نفسه: (8)
لّماد	جمّاع	نفسه: (16)
خيال	ظلّ	نفسه: (17)
كرد مسموط	المراد: شكل القلب كالقطعة العظيمة من التمر/ مسموط: مخفي محمي	نفسه: (22)
لا يلوطه	لا يمسّه	نفسه: (26)
تشبحه	تراه	نفسه: (27)
لوّحوها	رموها	نفسه: (32)
بطعة	بقعة	نفسه: (34)
الغرارة	حاوية ضخمة توضع على ظهر الجمل	نفسه: (36)
لّمازيز	الصغار	نفسه: (36)
البدارى	الكبار	نفسه: (36)

(4) بلدة عريقة أسّسها بنو عدوان إثر نزولهم أرض سوف سنة 665 هـ 1277 م تقع شرق مدينة الوادي بحوالي 10 كلم. وبها مسجد العدواني العريق نسبة إلى الشيخ محمد العدواني صاحب الكتاب المعروف:"تاريخ العدواني"(عاش العدواني خلال القرن 17 م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقريعه	تجشّؤ	نفسه: (49)
صمّتين	صخرتين	نفسه: (52)
المزن	السّحاب	نفسه: (54)
مايَغْبَاشِي	لا ينمحي أثره	نفسه: (55)
ڤارة	مكان مرتفع	نفسه: (59)
لبياض	الخرفان	نفسه: (59)
اللّبينة	نبات صحراوي	نفسه: (62)

المفردة أو التركيب	المعنى	الموقع في المدونة
هاوينه	هاهو	نفسه: (62)
عڤبة	مسلك مرتفع	نفسه: (64)
ڤرنوعة	المراد بها: الرأس	عالم الإنسان: (67)
ماتنقطاشي	لا تضع فوقه نقطة (الحرف)	نفسه: (72)
بركوس	كبش	نفسه: (77)
المِيّات	المئات	نفسه: (79)
اهلت	هلّ هلالها	نفسه: (82)
المنڤالة	الساعة	نفسه: (85)
ما غبّت له جرّة	ما أزات له أثراً	نفسه: (92)
ما اطمّك عجب!	ما أعظمك من عجب!	نفسه: (93)
حيّ كان بالنّفس	حيّ بالتنفّس فقط	نفسه: (94)
الفدّة	التنفّس بإجهاد وصعوبة	نفسه: (99)
خضت	أصلها: أخذت، والمراد: تزوّجت	نفسه: (114)
كويف	تصغير لكلمة (كاف): وهو جدار الحفرة	نفسه: (120)
لّاليه	لأصحابه	نفسه: (121)
لملوم	متجمّع في مكان واحد	نفسه: (122)
نحرّش بابا	أغريه بك/ أحرّضه ضدّك/ أشكو إليه أمرك	عالم الحيوان: (1)
خششت	أدخلت	نفسه: (3)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلوقي	نوع من الكلاب يتميز بالسرعة وقلة الشعر	نفسه: (4)
فزعو لها	هبّوا نحوها	نفسه: (6)
حاح	صوت يطلق لطرد الطير أو الحيوان	نفسه: (10)
وطاها	الوطى: الأرض	نفسه: (18)
دهّمت	عرجت على../ مررت بـــ...	نفسه: (21)
فردنهار	نفس اليوم	عالم الحيوان: (23)
الحُوار	ولد الناقة	نفسه: (27)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفردة أو التركيب	المعنى	الموقع في المدونة
الجمّة	قاع البئر حيث يجتمع الماء	نفسه: (32)
جفّال	كثير الهرب فزعاً	نفسه: (36)
الحُمَّارة	ثلاث عصي أو قضبان يتم ربطها من الأعلى وتعلق عليها القربة أو الشكوة	نفسه: (53)
قدوارة	جبّة / قميص	عالم النبات: (3)
سعينا	غنمنا	نفسه: (8)
حلاليب	مجموعات	نفسه: (8)
شطاطها	المراد: كثرة شحمها ولحمها	نفسه: (9)
امْدَربي	متدلّي	نفسه: (10)
قطاطيه	المراد: عناقيد التمر ويُطلق عليها لفظ (شمروخ) وجمعه (شماريخ)	نفسه: (10)
زوز	زوج (العدد: 2)	نفسه: (13)
طنجها	نوعها	نفسه: (26)
السّنَهْ	هذه السنّة / هذا العام	نفسه: (26)
جواه	غمده	نفسه: (29)
انشدوا مولاها	اسألوا صاحبتها	نفسه: (30)
مكرّشة	عالقة / ملتصقة	نفسه: (34)
الكِتبْ	يوضع على ظهر الجمل ويتكون من أربع خشبات ومحورين	عالم الجماد: (6)
اصقَّرُوا	أنصتوا	نفسه: (16)
الزّمل	القافلة	عالم الجماد: (19)
عزقات	العزق: حفر الأرض من حول النخلة وتقليبها عند تزويدها بالسماد	نفسه: (19)
يتكعبش	يمسك ويتعلق بالشيء	نفسه: (28)
شهلول	كثرت أعينه واختلطت	نفسه: (30)
بهلول	مرح كثير الحركة	نفسه: (30)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفردة أو التركيب	المعنى	الموقع في المدونة
رغاها	صوتها وصياحها	نفسه: (45)
مِي/السمِي	ماء/ السماء (إمالة شديدة)	نفسه: (43)
سلعوم	تطلق على الرقبة الطويلة	نفسه: (54)
ترّاسنا القارح	الرجل القوي	نفسه: (61)
شاحد	حادّ	نفسه: (67)
دماس	شديد السواد	نفسه: (81)
مترحرحه	مبسوطة	نفسه: (94)
حِيْل	غير حوامل	نفسه: (98)
جرّته	أثره	نفسه: (101)
المعقول	المشدود بعقاله	نفسه: (102)
تَغْدَى	تضيع	نفسه: (107)
المدس	ما يوضع في الرجل من أنواع الحذاء	نفسه: (114)
البكرات	مفرده بكرة: وهي الناقة الفتيّة	نفسه: (116)
نجعنا	مكان نزول الرُّحَّل	نفسه: (131)
هايشَهْ	حيّة	نفسه: (144)
يتكعور	يتمايل/ يتهادى	نفسه: (150)
مفحج عليها	المراد: مُحيط بها لحمايتها	نفسه: (155)
مقرّم	ممسوك الفم بعود "رتم"	نفسه: (161)
للياش	مفرده ليش: النذل اللّئيم	عالم الجماد: (162)
الززّة	الصوف	عوالم مشتركة: (1)
الرُبْعِي	إناء حديدي يستخدم لكيل القمح والشعير ونحو ذلك	نفسه: (1)
خضاها	أتلفها	نفسه: (2)
عنقنق	قد يكون المراد صفة للعنق الطويل الجيد	نفسه: (2)
حايل	غير حامل	نفسه: (12)
أطم	أكبر وأشد	نفسه: (19)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الرواة (ينظر: الملحق رقم:02،ص184).

الكتب المنشورة:

- إبراهيم العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلالي العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977 .
- إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1991.
- ابن منظور: لسان العرب، مجلد 3 مادة (لغز)، دار لسان العرب ، بيروت، (دون تاريخ).
- أبو محمد القاسم (الحريري): المقامات، ج1 ، موفم للنشر ، الجزائر، 1989 .

أحمد الشيخ: كتب الألغاز والأحاجي اللغوية، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان ، مصراتة، ليبيا، ط2، 1988 .

- أحمد بن الطاهر منصوري: الدر المرصوف في تاريخ وادي سوف، دار الهدى، ج1 (دون تاريخ)
- أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، مطبعة السنة المحمدية، مكتبة النهضة المصرية، 1971.
- أحمد زغب: ديوان إبراهيم بن سمينة – جمع وتوثيق وشرح وتعليق – من إصدارات الرابطة الولائية للفكر والإبداع ، الوادي، 2004.
- أحمد علي مرسي: مقدمة في الفلكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1975.
- ألف ليلة وليلة، ج3 ، موفم للنشر، طبع للمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر،1988.
- توفيق الحكيم: الملك أديب، دار الكتب اللبناني ، بيروت، ط1 ، 1978 .
- ثريا التجاني: دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، (وادي سوف نموذجاً)، دار هومة، الجزائر، 1998 .
- جلال الدين (السيوطي): الألغاز النحوية - جمع وتحقيق طه عبد الرؤوف سعد- مكتبة الكليات الأزهرية، 1978 .
- حسان الجيلاني: من التراث الغنائي بوادي سوف، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر (دون تاريخ).
- حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر – بحث استطلاعي اجتماعي- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ط8، 2004.
- خالد أحمد جندي: الجانب الفني في القصة القرآنية – منهجها وأسس بنائها، دار الشهاب ، باتنة، الجزائر (دون تاريخ).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- سليمان عشراتي: الخطاب القرآني – مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي- ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1998.
- سهل بن محمد أبو حاتم (السجستاني): كتاب النخلة – تحقيق أ.د. حاتم صالح الضامن- دار البشائر الإسلامية،بيروت، ط1،2002.
- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج4، دار الشروق،القاهرة، بيروت، ط10، 1982.
- شوقي عبد الحكيم: الحكاية الشعبية، دار ابن خلدون ،بيروت ، ط1، 1980.
- صلاح مصطفى الغوال: علم الاجتماع البدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، دار نافع للطباعة والنشر، ط1، 1974.
- طلال حرب: أولية النص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، ط1 ، 1999.
- عبد الحميد بورايو :- البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1998.
:- القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- عبد الحميد بوزينية: ظاهرة التطور الأدبي (النظرية والتطبيق)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- عبد الحميد قطـــامش: الأمثـــال العربية – دراسة تاريخية تحليلية- دار الفكر، دمشـــق، سوريا، ط1، 1988.
- عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، (دون تاريخ).
- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، موفم للنشر، 1991.
- عبد المالك مرتاض:- الألغاز الشعبية الجزائرية (دراسة في ألغاز الغرب الجزائري)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
:- العـــامية الجزائريـــة وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- عكاشة شايف:- اتجاهات النقد المعاصر في مصر، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (دت).
:- نظرية الأدب، ج1، القسم الأول، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1987.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- علي زيعور: صياغات شعبية حول المعرفة والخصوبة والقدر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط1، 1984.
- غراء حسين مهنى: أدب الحكاية الشعبية، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان، ط1، 1977.
- مايك كرانغ: الجغرافية الثقافية – ترجمة د.سعيد منتاق- سلسلة عالم المعرفة، من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، ط1، 2005.
- محمد الصالح بن علي: - الألغاز الشعبية "– 230 لغزا- "في وادي سوف ، سلسلة الثقافة الشعبية، (2)، ط1، 1998.
:- 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، سلسلة الثقافة الشعبية (1) ، مطبعة عمار قرفي ، باتنة، الجزائر، ط1، 1998 .
- محمد العدواني: تاريخ العدواني – تحقيق د. أبو القاسم سعد الله- دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1996.
- محمد المرزوقي: الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، 1967 .
- محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1998.
- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، ط1، 1985 .
- محمود ذهني: الأدب الشعبي العربي (مفهومه ومضمونه) ، مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم (5)، درا الإتحاد العربي للطباعة، 1972.
- مراد عبد الرحمان مبروك: من الصوت إلى النص – نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الاسكندرية، ط1، 2002.
- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ،1974.
- مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001 .
- نبيلة إبراهيم:- أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط3، 1981.
:- قصصنا الشعبي من الرومـــانسية إلى الواقعية،مكتبة غريب للطبـــــــاعة والنشر، القاهرة، 1992.
- المنجد في اللغة والأعلام دار المشرق ، بيروت، ط31 ، 1991.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرسائل الجامعية:

- أحمد زغب: التطور الدلالي في لهجة منطقة سوف، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001، (مخطوط) .
- علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13 هـ - 19م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001، (مخطوط) .

الدوريات:

- المجلة التاريخية المغربية، عدد يناير، 1979 .
- مجلة التراث الشعبي ، وزارة الإعلام ، العراق، العدد 8 ، السنة 8 ، 1977.
- مجلة التراث الشعبي، وزارة الإعلام ، العراق، العدد 10 ، السنة 8 ، 1977.
- مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والاتصال ، الجزائر، العدد 113، 1996.
- جريدة المجاهد الأسبوعي ، الجزائر، العدد 2345، جويلية 2005.

المخطوطات:

- أحمد محمد زغب: - أعلام الملحون في منطقة وادي سوف - نماذج وانطباعات - .
  : - ديوان غادة بن زغب.
  : - شعراء القادرية في واد سوف.
- الدر المصفى من تقاييد الشيخ سالم مصطفى ، ترتيب وتصنيف وتعليق الأستاذ علي غنابزية.

مراجع باللغة الفرنسية:

1- Ahmed Nadjah : Le souf des oasis, ed. la maison des livres , Alger , 1971 .
2- Andrés –Roger voisin : Le souf- Monographie, El-walid, El-oued, 2004 .
3- Isabelle Eberhardt : mes journaliers , par rene, luis doyon édition d´oujourd hui paris , 1985.
4- Joelle Gardes tamine , Marie claude Hvbert : critica- dictionnaire de critique littéraire Ceres- édition, 1998 .
5- scelles- millie, contes sahariens du souf , maison neuvre et Larose, - Paris, 1964 .
6- Le petit larousse illustré, 1998 , édition larousse ,Belgique ,1997.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس الموضوعات:

مقدمة:..... 1

الفصـــل التمهيـــدي

الإطار العـــام لمنطقة البحث

- تمهيـــــــــــــد:
- أولا: الإطار الجغرافي..... 7
- ثانيا: الإطار التاريخي 15
- ثالثا: الإطار الاجتماعي والإقتصادي 19
- رابعا:الإطار الديني والثقافي 29

الفصـــــــل الأول

هويـــــة اللغـــز الشعـــبي

- تمهيـــــــــــــد:
- أولا: مفهوم اللغز الشعبي 44
- ثانيا: نشـــــأته 55
- ثالثا: تطـــــوره..... 67
- رابعا: وظيفتـــه 76

الفصـــــــل الثاني

تجليات البيئة السوفية في الألغاز الشعبية

- تمهيـــــــــــــد:
- أولا: عالم الإنسان..... 83
- ثانيا: عالم الحيوان..... 104
- ثالثا: عالم النبات..... 111
- رابعا: عالم الجماد..... 114
- خامسا: العوالم المشتركة..... 122

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصـــــــل الثالث

البنية الأسلوبية للغز الشعبي

- تمهيـــــــــــــد:
- أولا: لغة اللغز الشعبي 126
- ثانيا:بلاغة اللغز الشعبي 130
  - § المستوى الصوتي 144
  - § المستوى المعجمي 148
  - § المستوى التركيبي 150
  - § البنية الهيكلية 155
  - § البعد التداولي 157
- الخـــــــاتمـــــــة: 158
- الملـــحقـــــــات:
  - 01- مدونة الألغاز الشعبية المجموعة 162
  - 02- تعريفات موجزة برواة ألغاز المدونة 184
  - 03– معجم المفردات والتراكيب 186
- قائمة المصادر والمراجع 191
- فهـــــرس الموضوعات 195

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

LA REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

UNIVERSITE HADJ LAKHDAR
-BATNA-

FACULTE DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES
DEPARTEMENT DE LA LANGUE ET DE LA LITTERATURE ARABE

LES DEVINETTES POPULAIRES DU SOUF

(COLLECTION , CLASSIFICATION ET ETUDE)

MEMOIRE PRESNTE POUR L'OBTENTION DU MAGISTERE

EN LITTERATURE POPULAIRE ALGERIENNE

PRESENTE PAR L'ETUDIANT :

KAMAL BENAMOR

ENCADRE PAR LE :

Dr. MAAMAR HAJIJE

- ANNEE UNIVERSITAIRE -
2006/2007

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Résumé

L'étude, « les Devinettes Populaires du Souf : Collection, Classification et Etude, » a pour finalité la sauvegarde du patrimoine littéraire orale dans ses différents genres et thèmes, par extension la sauvegarde de la mémoire du peuple.

La collection, la classification et l'étude sont les principales étapes de cette recherche. La collection a pour objet de rapporter et de répertorier les devinettes citées par la population autochtone Soufi. La classification s'est basée strictement sur la relation de la solution de la devinette avec l'environnement notamment (l'homme, la faune, la flore et la matière inerte).

L'étude est composée d'une introduction monographique sur le pays de Souf, suivie de trois chapitres et une conclusion. Le premier chapitre traite l'identité de la devinette populaire (notion, naissance, évolution et fonction). Le deuxième chapitre étudie la relation de ces devinettes avec l'entourage soufi. Le troisième chapitre est consacré à l'étude de la structure stylistique de cette dernière particulièrement linguistique et rhétorique.

Les conclusions déduites à partir de cette étude sont comme suit :

- La conformité de la devinette soufie (Khorraf : de l'arabe : Khorrafa : fable /conte) avec la définition de la devinette en général tel que l'ambiguïté de son contenu, la difficulté de situer son apparition dans le temps. D'autre part, l'évolution de cette devinette avec le progrès social et, sa fonction éducative et divertissante.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- Les devinettes soufies laisse entendre cette voix populaire qui révèle la mentalité et le niveau intellectuel de la société et l'attachement de l'homme à son environnement, d'où se manifeste l'intimité du Soufi avec son entourage qui inspira ses sens par des images de la nature et de la vie qui enrichirent son imagination (l'homme, le dromadaire, la tente, le palmier, l'artisanat…etc.). Et, sa réaction positive envers le progrès technologique. Sans oublier l'enracinement du Soufi dans sa religion que démontre une grande partie des devinettes citées.
- La devinette populaire Soufie est exprimée dans deux langues différentes : une rude bédouine, et l'autre fine citadine. Quant à la rhétorique, c'est la prédominance de la métaphore et cette mélodieuse harmonie du rythme et de la rime.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com